الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

Mngool.com

غير مخصص للبيع

ISSUE 137 - 12TH YEAR - JUN/JUL. 1988.

العدد (١٣٧) ـ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ ـ السنة الثانية عشرة ـ حزيران (يونيو) ـ تموز (يوليو) ١٩٨٨ م



صفحة مفقودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

AL-FAISAL MAGAZINE

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE • PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

ISSUE 137 - 12TH YEAR - JUN/JUL. 1988. العدد (١٣٧) ـ ذو القعدة ١٤٠٨ هـ ـ السنة الثانية عشرة ـ حزيران (يونيو) ـ تموز (يوليو) ١٩٨٨ م

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

• ALL CORRESPONDENCE TO :

AL-FAISAL MAGAZINE P.O.BOX (3) RIYADH 11411 - SAUDI ARABIA
Tel. 4653026 - 4653027, Telex 402600 DRFATH SJ, Telefax : 4647851

• المراسلات :

مجلة « الفيصل » ص ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧ ـ تلكس : ٤٠٢٦٠٠ DRFATH SJ ـ فاكسملي : ٤٦٤٧٨٥١

• EUROPE - AMERICA - ASIA :

Belgium	BF 200	Pakistan	RS 15		
Denmark	DKR 30	Portugal	ESQ 100		
Finland	FMK 30	Spain	PTS 150		
France	FF 15	Sweden	SKR 30		
F.R.G.	DM 10	Switzerland	SF 6		
Greece	DR 200	United Kingdom	£ 2		
Italy	L 4000	U.S.A.	S 5		
Netherlands	DFL 10				
Norway	NKR 30				

• أسعار بيع النسخ في البلاد العربية :

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	مصر	١٠٠ قرش
الكويت	٦٠٠ فلس	السودان	١٠٠ قرش
الامارات العربية المتحدة	٧ دراهم	المغرب	٥ دراهم
قطر	٧ ريالات	تونس	٥٠٠ مليم
البحرين	٦٠٠ فلس	الجزائر	١٠ دنانير
سلطنة عمان	٦٠٠ بسة	العراق	٤٠٠ فلس
الأردن	٤٠٠ فلس	سورية	١٠ ليرات
ج. ع. اليمنية	٦ ريالات	ليبيا	٨٠٠ درهم
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس		

• ANNUAL SUBSCRIPTION RATES :

Personal Subscription S.R. 150   Others S.R. 250
Payable to AL-FAISAL MAGAZINE

• أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالاً سعودياً   لغير الأفراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة « الفيصل »

• الإعلانات يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة

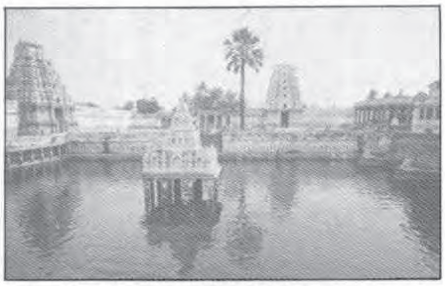
طبع بشركة العبيكان للطباعة والنشر ـ الهاتف : ٤٩٨٣٣٩٢ ـ الرياض

في هذا العدد

من كتاب هذا العدد ٥
بحث في المصطلحات النحوية « الأدوات » .... د . محمد علي سلطاني ٦
كوينزلاند .. بلاد الشمس المشرقة في استراليا (في بلاد الله) فكري بكر محمود ١١
الطقوس الهندوسية .. عجائب وغرائب (من عادات الشعوب) ١٩
الشرق .. في عيون الغرب ٢٦
الجمال النائم (من ديوان الشعر السعودي) .... محمد علي مغربي ٢٧
التربية والتغير الثقافي في واقعنا العربي .... د . لطفي بركات أحمد ٢٨
الشعر والشعراء في جنوب أفريقيا .... محمد جلال عباس ٣٥
نوادي الاستماع والمشاهدة ودورها في تكامل أساليب الاتصال د . محمد معوض ٤٠
الاستاذ عبد الله كنون (لقاء مع) .... أجرى اللقاء : أحمد المسناوي ٤٣
الترشيدالاقتصادي عندالخليفة العباسي أحمدبن الموفق .... د . عبد الكريم عبده حتاملة ٤٧
الحجر الكريم (قصيدة) .... هارون هاشم الرشيد ٥١
مكبر الصوت (بدايات) ٥٢
من المكتبة السعودية ٥٣
العلم عند الأتراك العثمانيين (رحلة في كتاب) تأليف : د . عبد الحق عدنان آديوار
عرض : د . الصفصافي أحمد المرسي ... ٥٩
عسكرة الفضاء (مطالعات في الكتب) .... تأليف : جاك مانو
ترجمة : اللواء الركن عبد الله سيد أحمد ... عرض : عبد الجبار محمود السامرائي ٦٣
المجرات .. « الجزر الكونية » (موضوع خاص) .... عدنان عضيمة ٦٧
عمر الشباب .... سعد البواردي ٧٥
الثقافة للجميع ٧٦
صدى الصرخة (لوحة وفنان) .... دافيد الفارو سيكيروس ٧٨
فن الكتابة العربية .... خلف طايع ٨٠
السعال الديكي .... د . حسن محمد شريف ٨٥
عيون النرجس (قصيدة) .... عبد الرحمن العبد الكريم ٨٧
قضايا تربوية من التراث - المثوبات والعقوبات .... نذير حمدان ٨٨
شوقيات مجهولة في كتاب مجهول .... مصطفى يعقوب ٩٤
الغياب الأصفر (قصة قصيرة) .... عبد الله باقازي ٩٩
حدث في قلب الليل (قصة قصيرة) .... عبد القوي إبراهيم جلهوم ١٠٠
قصة من الخيال العلمي ـ محطة الفضاء (قصة قصيرة) إعداد : رؤوف وصفي ١٠٢
أحزان الليل (قصة قصيرة) .... طه الدسوقي أبو شحاتة ١٠٥
محاسبية (دائرة المعارف) ١٠٧
الحركة الثقافية في شهر ١١١
مسابقة مجلة الفيصل ١٢٠



• عن موقع، وتاريخ، واقتصاد، ومعالم منطقة كوينزلاند في استراليا.. طالع موضوعا مصورا.. ص (١١)



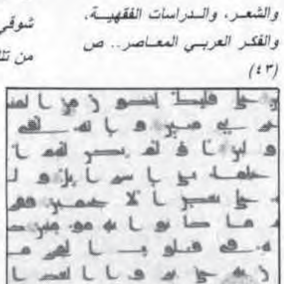
• في الطقوس الهندوسية.. النافراتري.. والمهرجان هولي وغيرهما.. عجائب وغرائب.. ص (١٩)



• لقاء مع الأستاذ عبد الله كنون، من المغرب الشقيق، حول الثقافة، والشعر، والدراسات الفقهية، والفكر العربي المعاصر.. ص (٤٣)



• عن الشوقيات المجهولة، وكتاب «ذكرى الشاعرين»: شوقي وحافظ، ونماذج شعرية من تلك الشوقيات.. ص (٩٤)



• حول رحلة الكتابة العربية، منذ عرب الأنباط، وأصل، ونقاط، وحركات، وقواعد الخط العربي .. ص (٨٠)

من كتاب هذا العدد



فكري بكر محمود

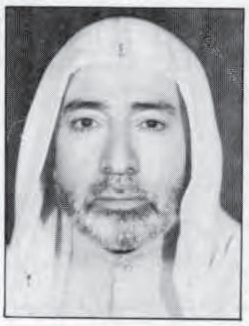
● من مواليد القاهرة ـ مصر ـ عام ١٩٥٢ م .

● ليسانس في الصحافة ـ كلية آداب جامعة القاهرة .

● يجيد الإنجليزية والفرنسية .

● عمل محرراً للشؤون السياسية بوكالة أنباء الشرق الأوسط، وجريدة «الجمهورية».

● يعمل حالياً محرراً في جريدة « البيان » في دبي ـ بالإمارات العربية المتحدة .



د . محمد علي سلطاني

● من مواليد دمشق ـ سورية عام ١٩٣٣م .

● دكتوراه في النحو والصرف .

● يجيد شيئاً من الإنجليزية .

● عمل في حقل التدريس .

● يعمل حالياً أستاذاً في قسم النحو والصرف ـ كلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

● له من المؤلفات (١١) كتاباً منها : « فصول في النحو » ، « شرح أبيات سيبويه لابن السيرافي » (تحقيق) ، « البلاغة العربية في فنونها » .. وغيرها إلى جانب عدد من الأبحاث .



د . عبد الكريم حتاملة

● من مواليد ١٩٣٨ م .

● دكتوراه في التاريخ ـ بيروت ، ودبلوم تربية ـ الأردن .

● عمل مدرساً ، ثم مديراً لمدرسة فمشرفاً تربوياً ، ثم معلماً ، فمدير مدرسة ابتدائية .

● يعمل حالياً مشرفاً تربوياً في مديرية التربية والتعليم في منطقة « أربد » الأولى ، ومحاضراً غير متفرغ بجامعة اليرموك .

● يجيد الإنجليزية .

● له مجموعة من الكتب والأعمال المنشورة في المجلات: منها كتاب « المعتمد في خلافة المعتضد العباسي » ، وكتاب « البنية الإدارية للدولة العباسية » ... وغيرهما .



مصطفى يعقوب

● من مواليد المنيا ـ مصر في ١٩٤٤/١٢/٣٠ م .

● بكالوريوس علوم (كيمياء ـ جيولوجيا) .

● يجيد الإنجليزية .

● عمل جيولوجياً بإدارة الاستكشاف ـ الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية ، ثم رئيساً لمعمل الأشعة السينية بإدارة الاستكشاف ، فعضواً بهيئة التدريس ـ معهد شؤون النفط ـ طرابلس ـ ليبيا .

● يعمل حالياً رئيساً لقسم المعادن والصخور بالمتحف الجيولوجي المصري ، ومنتدباً لتدريس المعادن والصخور بكلية الآثار ـ جامعة القاهرة .

● له ما يربو على أربعين مقالة علمية وأدبية نشرت في مجلات عربية مختلفة .

بحث في المصطلحات النحوية "الأدوات"



بقلم : د. محمد علي سلطاني

درج العصريون من علماء النحو على إطلاق مصطلح (الأدوات) على مجموعة من العوامل والألفاظ تضم : الحروف وبعضاً من الظروف والأسماء والأفعال .. فمن أين ورد هذا المصطلح ؟ وكيف ساغ لهم استعماله وهو يضم هذا المزيج المتباين من المفردات ؟ وهل انعقد اجماع النحاة على اختياره ؟ وما مدى التوفيق في هذا الاستعمال العصري لمصطلح الأدوات ؟ .

الحق أن ما نسميه في أيامنا **بالأدوات** ، عُرف من قبل باسم **الحروف** ، تلك التي تشكّل القسم الثالث من أقسام الكلام منذ نشأة النحو العربي . يقول **علي ابن أبي طالب** رضي الله عنه ـ فيما نُسب إليه ـ : « **الكلام اسم وفعل وحرف** ، فالاسم ما أنبأ عن المسمى ، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى ، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل »[١] .

وقد اعتمد **سيبويه** هذا التقسيم الثلاثي للكلام ، وورد الحرف عنده ثالث هذه الأقسام حيث يقول : « فالكلم اسم وفعل ، وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل . فالاسم .. وأما ما جاء لمعنى وليس باسم ولا فعل فنحو ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ونحو هذا »[٢] .

ومع أن سيبويه أوضح مراده بمصطلح الحروف بأمثال « ثم وسوف وواو القسم ولام الإضافة ... » وهي في الحقيقة حروف ليست بأسماء ولا أفعال ، غير أن معنى الحرف قبل سيبويه وفي كتابه نفسه كان أوسع كثيراً من هذا المدلول ، إذ « يطلقه **الخليل** على الكلمة أي كلمة »[٣] .

معانيه

فمن معانيه : **الحرف الهجائي** ، بدليل أن الخليل نفسه ألف كتاباً سماه « **الحروف** »[٤] لم يخرج فيه عن حروف الهجاء وبيان ما يعنيه لفظ كل حرف منها[٥] . والحرف كذلك يعني اللغة ، مصداقاً لقوله عليه الصلاة والسلام :

(أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها كاف شاف) ، أراد بالحرف اللغة »[٦] . « وكل كلمة تقرأ على الوجوه من القرآن تسمى حرفاً . تقول : هذا في حرف ابن مسعود ، أي في قراءة ابن مسعود »[٧] . كما دل مصطلح الحرف على أحد حروف المعاني مما أراده النحاة فيه .

اتساع المصطلح

إن هذا التعدد لمعنى الحرف لم يلتبس يوماً بما نحن فيه من معنى الحرف في مصطلح النحاة ، لكنه لم يقتصر عندهم على ما ليس باسم ولا فعل كما عرّفه سيبويه في خطبة كتابه ، حتى عند سيبويه نفسه كما أسلفت ، بدليل أنه أورد تحت هذه الحروف ما هو من الأسماء والأفعال والظروف .. **فكأن هذا المصطلح قد اتسع عند البحث الفعلي ليشمل كل لفظ لا يستوفي علامات الأسماء أو علامات الأفعال ، من المبنيات من الأسماء والظروف ، والجامد من الأفعال ، إلى جانب الحروف التي ليست بأسماء ولا أفعال** . والأدلة كثيرة على صحة هذا في كتاب سيبويه .

من ذلك قوله في (٦٤/١) : « تقول مَن أَمةَ الله ضربها ، وما أَمةَ الله أتاها ، نصبٌ في كل ذا ، لأنه أن يلي هذه الحروف الفعل أولى » . فأشار إلى (مَن وما) وهما اسما استفهام بالحروف .

وقوله في (٤٤/٢) : « هذا باب الظروف المبهمة غير المتمكنة ، وذلك لأنها لا تضاف ولا تَصَرَّفُ تَصَرُّفَ غيرها ولا تكون نكرة . وذاك : **أين وكيف ومتى وحيث وإذ وإذا وقبلُ وبعدُ** ، فهذه الحروف وأشباهها .. » . فبدأ بتسميتها ظروفاً وانتهى بتسميتها حروفاً ، مما يؤكد أنه لا يعني الحرفية بمعناها الضيق ، بل بالمعنى الواسع الذي يضم إلى جانب الحروف والظروف « **المبهمة غير المتمكنة** » ، الأسماء مثل (غير وسوى وكل وبعض) في (٣١٠/٢) والمصادر مثل (بله) في (٣١٠/٢ ـ ٣١١) ، والأفعال مثل (عسى) في (٣١١/٢) .

تعريف الزجاجي

ولعل مثل هذا التعدد في مفهوم (الحروف) هو الذي دعا **الزجاجي** (ت ٣٣٧ هـ) بعد قرن ونيف من الزمان ليقول : « **الحروف على ثلاثة أضرب : حروف المعجم التي هي أصل مدار الألسن عربيها وأعجميها ، وحروف الأسماء والأفعال التي هي أبعاضها نحو العين من (جعفر) والضاد من (ضرب) .. ونحو النون من (أنْ) واللام من (لم) وما أشبه ذلك ، وحروف المعاني التي تجيء مع الأسماء والأفعال لمعان** »[٨]

فما أضافه الزجاجي عما قدمه سيبويه هو توضيح مصطلح (الحروف)



★ الفارابي ★

بإضافته إلى (المعاني) ليغدو (حروف المعاني) تمييزاً لها من غيرها مما يفهم من كلام الزجاجي نفسه حيث قال بعد ذلك :

« فأما حروف المعجم .. وأما الحروف التي هي أبعاض الكلم .. وأما حد حروف المعاني وهو الذي يلتمسه النحويون ـ فهو أن يقال : الحرف ما دل على معنى في غيره نحو (مِن وإلى وثم) وما أشبه ذلك . وشرْحه أنّ (مِن) تدخل في الكلام للتبعيض ، فهي تدل على تبعيض غيرها لا على تبعيض نفسها ، وكذلك إذا كانت لابتداء الغاية كانت غاية غيرها ، وكذلك سائر وجوهها ، وكذلك (إلى) تدل على المنتهى ، فهي تدل على منتهى غيرها لا على منتهاها نفسها ، وكذلك سائر حروف المعاني »[٩] .

مرحلـة أخـــرى

ويعدّ القرن الثالث الهجري بما شهده من حوار جاد بين الحضارة الإسلامية وحضارات الأمم الأخرى نجم عنه قيام حركة واسعةَ جادة لترجمة عيون التراث اليوناني خاصة ، يعدّ هذا القرن مفترق الطرق بالقياس إلى مصطلح (الأداة) في الدرس النحوي ، فالأداة أحد أجزاء المقولة عند أرسطو ، عرف اللغويون المسلمون مثل هذا قبل أن يعمد **متّى بن يونس** ت ٣٢٨هـ إلى إخراج ترجمة تامة لكتاب (**فن الشعر**) لأرسطو ، وقبل أن يعمد **أبو نصر الفارابي** ت ٣٣٩ هـ إلى شرح كتاب العبارة (**باري أرميناس**) لأرسطو أيضاً مما سيلي تفصيله .

وقد لمس الدكتور **أحمد مكي الأنصاري** هذه الحقيقة حين كشف عن رغبة الفراء (ت ٢٠٧ هـ) في إدخال مصطلح (الأداة) بديلاً عن (حروف المعاني) وذلك في كتابه (**معاني القرآن**) ، غير أن الدارس الفاضل كان مبالغاً حين قال :

« رأيت الفراء في معانيه يطلق مصطلح (الأداة) على كلمة الجواب (نعم) وعلى (إذ) و(أن) و(لو) وأمثالها ، مما يطلق عليه البصريون (حروف المعاني) ، فهو يفرّق بين الحروف : فما كان منها للمعاني سماه (أداة) وما كان منها لغيرها وضع له مصطلحاً آخر .. »[١٠] .

تعقيـــب

وفي التعقيب أقول : إن الجزم بأن الفراء كان يطلق مصطلح الأداة على حروف المعاني لا يقبل على إطلاقه ، لأن هذا المصطلح لم يرد في كتابه كله بأجزائه الثلاثة إلا في مواضع محدودة ، فلم يتخذ من إيراده منهجاً يلتزم به ، بل إنه كان ينثر هذا المصطلح بين الحين والآخر على سبيل التعريف به والتمهيد له ، بدليل أنه لم يتخلّ عن مصطلح (**الحروف**) للدلالة على حروف المعاني . من ذلك قوله في (٢٠٧/٢) تفسيراً لقوله تعالى ﴿ **لقد علمت ما هؤلاء ينطقون** ﴾ : « .. والعلم والظن بمنزلة اليمين .. كقول القائل : والله ما أنت بأخينا ، وكذلك قوله تعالى ﴿ **ما لهم من محيص** ﴾ ، ولو أدخلت العرب (أنْ) قبل (ما) فقيل : علمت أنْ ما فيك خير ، وظننت أنْ ما فيك خير ، كان صواباً ، ولكنهم إذا لقي شيئاً من هذه الحروف أداةٌ مثل (إنْ) التي معها اللام .. » .

فعبّر عن (ما) وأشباهها بالحروف ، وعن (إنْ) بالأداة ، وبذلك زاوج بين المصطلح المألوف والمصطلح الجديد ، تمهيداً لإدخاله ميدان الدرس النحوي .

ولعله بهذا العمل أراد الابتعاد عن تقليد المصطلح البصري (الحروف) ليستكمل للمدرسة الكوفية كل أدوات الاستقلال عن المدرسة البصرية ومنها المصطلحات ، وقد رأينا أن مصطلح (الحروف) أصيل في الدرس النحوي في كتاب سيبويه وعند غيره عبر العصور .[١١]

وممن اهتم بهذا في العصريين الدكتور **مهدي المخزومي** في كتابه « **مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو** » فنسب إلى الكوفيين القول بمصطلح الأداة دون أن يقدم لقوله دليلاً أو يناقش نصاً أو يحيل على مصدر ، فكأنّ الأمر من المسلمات ، وذلك بقوله :

« وسمّى الكوفيون الحرف أداة لسببين فيما أظن : **الأول** المغايرة بين لفظ يطلق على أحد حروف الهجاء ، ولفظ يطلق على أحد حروف المعاني . **والثاني** : أن الأدوات عندهم هي حروف المعاني كهل وبل ، وهنّ أدوات يستعان بهن على التعبير عن الاستفهام والإضراب وغيرهما .. »[١٢]

وقد كان الفرّاء مصيباً في خطوته هذه ، ذلك لأن الحرف في التراث اللغوي صالح للدلالة ـ كما أسلفت ـ على معانٍ كثيرة ، إذ يدل على الحرف الهجائي ، والكلمة المفردة ، والجملة ، والقراءة القرآنية ، وعلى اللغة من لهجات العرب[١٣] . حتى **إن الفرّاء نفسه في (معاني القرآن) استعمل مصطلح الحرف لهذه المعاني كلها**[١٤] **ففتح بجديده الباب أمام النحاة الخالفين ليختاروا مصطلح (الأداة) بديلاً من (حروف المعاني)** . غير أن الذي حصل أن **نحاة الكوفة** وحدهم اختاروا مصطلح **الأداة** ، وبقي البصريون مقيمين على (**حروف المعاني**) ، حتى إن مصطلح الأداة نفسه بقي عندهم بحاجة إلى تفسير لتحديد مدلوله بعد مضي قرن ونيف على وفاة الفراء ، بدليل ما ذكره الزجاجي ت ٣٣٧ هـ في كتابه (الإيضاح في علل النحو) في عرضه لبعض حجج نحاة المدرستين بقوله « احتجاجٌ آخر للكوفيين ، قال بعضهم : وقع الفعل بين الأداة والاسم ـ يعني بالأداة حروف المعاني ـ قال : فأشبه الأداة بأنه ... »[١٥] ، فنجد الزجاجي يعترض الحجة ليفسر مراد الكوفي بمصطلح (الأداة) .

المصطلـح وحركـة التـرجمـة

وحين تتسع حركة الترجمة إلى العربية ، وتلقى من الخلفاء تشجيعاً فريداً[١٦] وتظهر كتب أرسطو بثوبها العربي ، يتبين لنا أن مصطلح (الأداة) يدخل في أجزاء المقولة عند **أرسطو** حيث يقول : « **تتألف المقولة كلها من الأجزاء التالية : الحرف الهجائي ، المقطع ، الرباط ، الأداة ، الاسم ، الفعل ، التصريف ، القول** »[١٧] .

بحث في المصطلحات النحوية "الأدوات"



★ أرسطو ★

كما يتبين لنا هذا الجانب بشكل أوضح فيما فعله المعلم الثاني أبو نصر الفارابي ت ٣٣٩ هـ في تفسيره كتاب العبارة (باري أرميناس) لأرسطو ، حيث يقول في معرض حديثه عن الاسم والكلمة (أي الفعل) : « **وكل واحد من هذين المعنيين اللذين يدل عليهما الاسم والكلمة ، تلحقه في الذهن إضافات أمور ، بعضها موجود خارج الذهن ، وبعضها من حيث هي في الذهن ، ولتلك الأمور المضافة ألفاظ تدل عليها ، وهي الألفاظ التي تسمى الأدوات ، وتسمى حروف المعاني .**

« وسميت أدوات لأنها دالّة على أمور إذا أُخذت في المعاني تصرفت بها المعاني بحسب ما يُقصد بها ، فلا تتصرف المعاني إلا بأحد هذه الأمور مضافة إليها .

« فسميت أدوات ، لأنها إذا أُخذت فيها تصرفت بحسب الغرض فيها ، وسميت حروف المعاني لأنها معان بها تتصرف هذه »[(١٨)]

وبذلك سوّغ الفارابي المصطلحين ، فجعل من مصطلح (**الأداة**) عاملاً متأثراً بالمعاني ومؤثراً بها ، وجعل لمصطلح (**حروف المعاني**) تصرفاً في توجيه المعاني[(١٩)] .

وتابع الفارابي كلامه ليوضح للنحاة بعض الأصول المتعلقة بتخصص هذه الأدوات ليقول :

« **وهي تنقسم ثلاثة أقسام : إما أدوات تختص بالأسماء ، وإما أدوات تختص بالكلم (أي الأفعال) ، وإما أدوات تختص بهما جميعاً** .. » ثم يأخذ في تفصيل كل قسم من هذه الأقسام .

والذي يهمنا في هذا النص ، تأصيل الفارابي لمصطلح الأداة والتسويغ لقبوله ، بوصفه يعبر عن أمر يفتقر إليه مصطلح (حروف المعاني) ، وهذا الأمر هو جانب العمل متأثراً بالمعاني التي يراد التعبير عنها نتيجة لهذا العمل في الكلام .

كتب الحروف والأدوات

وقد لقي كلام الفارابي صدى مقبولاً لدى بعض النحاة ، فوجدنا كتباً مما أُفرد لبحث حروف المعاني تجمع بين المصطلحين ، من ذلك مما عرفنا كتابان :

أولهما **لأبي الفضل الميداني أحمد بن محمد** ت ٥١٨ هـ ، أطلق عليه اسم **(الهادي في الحروف والأدوات)**[(٢٠)] ، والثاني **لابن القيم محمد بن أبي بكر** ت ٧٥١ هـ بعنوان **(معاني الأدوات والحروف)** .

فهل كان وراء الجمع بين المصطلحين في هذين الكتابين معنى مقصود حقاً .. إن الإجابة عن هذا السؤال ـ بالقياس إلى الكتاب الأول ـ غير ممكنة ، لأنه مفقود ، ولم يتحدث عنه المؤرخون . أما الكتاب الثاني ، فيعدّ في مضمونه صورة لعنوانه ، فقد جمع فيه صاحبه بين معاني الأدوات وعملها ، وجعل من الأدوات النحوية نوافذ نافعة يطل منها الفقيه على ميدان غني بالأساليب وما تدل عليه من المعاني المختلفة ، وما يبنى على هذا كله من الأحكام الفقهية ..

ونستعير عبارة ابن القيم معرِّفاً بكتابه حيث يقول :

« .. فإن بعض الأئمة والفقهاء ـ أيدهم الله تعالى ـ سألوني أن أجمع لهم كتاباً يشتمل على مسائل الفقه مما يرجع إلى علم العربية وعلم النحو ، ما يوافقه وما يخالفه ، وهو علم معاني الأدوات والحروف والإعراب ، وكانت حاجتهم إليه ماسّة ، ومنفعتهم فيه عامّة ـ فأجبتهم إلى ذلك ... »[(٢١)]

إعـراض مقصــود

ولم يلق مصطلح الأدوات قبولاً منهجياً خارج هذين الكتابين ، إذ يختفي تماماً في بعض مؤلفات حروف المعاني في إعراض مقصود ، على حين يبدو في بعضها الآخر في مواضع متناثرة لا يعتدّ بها .

فممن أعرض عن هذا المصطلح **أبو القاسم الزجاجي** ت ٣٣٧ هـ ، مع أنه ضم في كتابه **(معاني الحروف)** ما وصل إلى مئة وسبع وثلاثين أداة بين حرف واسم وظرف وفعل واسم فعل أو جامع بين الحرفية وغيرها . فكلمة الحروف عنده تعني (المفردات) لا يسوّغ إيرادها سوى أدائها معنى خاصاً بها . فكان عمله هذا استجابة من نوع خاص لمعاصره الفارابي في نصه المتقدم ، تمثلت هذه الاستجابة : في إفراده جانب المعاني في كتاب مستقل هو (حروف المعاني) لم يخرج فيه عن معاني هذه الحروف ، وفي تناوله جانب العمل لهذه الحروف في أبواب خاصة من كتابه الآخر **(الجمل في النحو)** ، كان منها على سبيل المثال : **(باب الحروف التي تنصب الأفعال المستقبلة)** و**(باب الحروف التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار)** و**(باب حروف الخفض)** .. وهكذا[(٢٢)] .

هذا مع التزام تام بمصطلح (الحروف) دون غيره في كلا الكتابين ، كقوله في كتاب الجمل « وحروف الجزاء : إن ومهما وحيثما وإذ ما وكيف وكيفما وأين وأينما وأيّ وأيان وما ومَن ، فهذه الحروف تجزم الفعل المستقبل والجواب ... »[(٢٣)]

وشبيه بما فعله الزجاجي ما فعله **أبو الحسن الرماني** ت٣٨٤ هـ في كتابه **(معاني الحروف)** مع اختلاف شكلي ، هو أن الرماني جمع بحث عمل هذه الحروف ومعانيها في كتاب واحد ، فيبدأ كل حرف بدراسة عمله أولاً ، ثم يتبع ذلك بالنظر في معناه ، مما أشاع في كتابه مصطلحَيْ **(العامل والهامل)** ، إضافة إلى خصيصة أخرى اصطبغ بها كتابه هي ما بذله من التعليلات فيه ، فلم يكن ينكر شيئاً إلا أتبعه بعلة يستحدثها أو يستنبطها من ظواهر اللغة وأساليبها . مع التزام تام كذلك بالإعراض عن مصطلح الأداة والأخذ بمصطلح الحروف ، بالرغم من اهتمامه الملحّ بعمل هذه الحروف .

تتبـع المصطلـح

أما البعض الآخر من مؤلفات حروف المعاني ، فكان منها :

★ كتاب **(الأزهية في علم الحروف) للهروي** ت ٤١٥ هـ ، حيث أورد



★ الشيخ عبد الخالق عضيمة ★

مصطلح (الأداة) في موضعين متقاربين ، يقول في أولهما « وجميع الألفات التي في أوائل الأدوات هي ألفات القطع نحو .. » . ويقول في الموضع الثاني : « وقولك (اسم الله) لا يكون إلا في القسم فقط ، وهي أداة من أدوات القسم »[٢٤] . ويسكت عن المصطلح بعد ذلك مع حضور مواضعه ، كقوله في (إذ ما) : « وليست (ما) زائدة فيها كزيادتها في سائر حروف الجزاء »[٢٥] . مع أن سائرها من الأسماء .

★ **أما ألفية ابن مالك** ت ٦٧٢ هـ ـ التي غدت قطب الرحى في التأليف النحوي منذ القرن الهجري السابع[٢٦] فقد ورد مصطلح (الأداة) فيها في موضع واحد حيث يقول :

واجزم بإنْ ومَن وما ومهما   أيٌّ متى أيان أين إذ ما
وحيثما أنَّى ، وحرفٌ إذ ما   كإنْ ، وباقي الأدوات أسما[٢٧]

★ كما كان وروده نادراً في (**رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي ت ٧٠٢ هـ**) . من ذلك قوله ـ في معرض حديثه عن (**إنْ**) « هذا هو الأصل فيها وفي أدوات الشرط »[٢٨] .

فهو ملتزم بقوة (بالحروف) تسمية ومضموناً ، حتى إذا جمعت الأداة بين الأسمية والحرفية مثل (ما) تناولها بوصفها حرفاً ، وترك جانب الأسمية فيها قائلاً « **وحظنا من القسمين الحرفية** »[٢٩] . وكذا إذا جمعت الأداة بين الفعلية والحرفية مثل (حاشي) بادر بالتعليل لموقفه بالقول : « اعلم أن (حاشي) تكون فعلاً ومضارعها (أحاشي) وليست غرضنا . وتكون حرفاً خافضاً .. »[٣٠] .

★ ولا تتغير الحال في (**الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ت ٧٤٩ هـ**) فهو كما ينطق عنوان كتابه ـ ملتزم كذلك بحرفية أدواته تسمية ومضمونا ، فلا ترد الأداة عنده إلا إذا كانت حرفاً أو مشتبهة بالحرف . فإن كانت اسماً أو فعلاً وظهر لأحدهم أن يقول بحرفيتها أدخلها لهذا القول في كتابه ، وتناولها بالدرس مع الإشارة إلى ذلك .

ففي حديثه عن (**كم**) الاستفهامية والخبرية يقول : « .. وأما الخبرية فذهب بعض النحويين إلى أنها حرف ، ولذلك ذكرتها في هذا الموضع .. »[٣١] ويرد عنده مصطلح الأداة على ندرة ، كقوله في (**إنْ**) « وإنْ الشرطية هي أم أدوات الشرط »[٣٢] .

★ ويدخل **ابن هشام الأنصاري** ت ٧٦٢ هـ في حكم هذا الفريق الثاني من الباحثين في (حروف المعاني) ، إذ يرد عنده مصطلح (الأداة) في القسم الأول من كتابه (**مغني اللبيب**) في مواضع محدودة ، من ذلك قوله : « والألف أصل أدوات الاستفهام ولهذا خُصت بأحكام »[٣٣] . ويذكره ثانية في بحث (لمّا) بقوله « .. أحدها أنها لا تقترن بأداة شرط .. »[٣٤]

والجديد عن ابن هشام هو إعراضه كذلك عن مصطلح (حروف المعاني) نفسه ، إذا لم يجده مناسباً لاحتواء مجموعة من العوامل الحرفية وغير الحرفية ، ويفضل عليه مصطلحاً جديداً لم يسبق إليه هو (**المفردات**) ، ويقدمه للمختصين بقوله : « .. **وأعني بالمفردات : الحروف وما تضمن معناها من الأسماء والظروف .. وربما ذكرت أسماءً غير تلك وأفعالاً ..** »[٣٥] .

★ **وحين نصل إلى السيوطي** ت ٩١١ هـ ، يبدو لنا غير راض عما استحدثه ابن هشام من قوله (بالمفردات) ، كما يجد مصطلح (الحروف) قاصراً عما يراد به ، فعمد إلى التذكير بمصطلح الأداة ، معاوداً تقديمه إلى القوم من جديد ، وذلك في كتابه (**الإتقان في علوم القرآن**) حيث يقول :

« النوع الأربعون في معرفة معاني الأدوات .. وأعني بالأدوات الحروف وما شاكلها من الأسماء والأفعال والظروف »[٣٦] . ثم يتبع ذلك بإيراد أدوات العربية بمختلف صنوفها التي أشار إليها وزاد عليها ، كالهمزة وإذ وإذا وأفّ وأيان وظن وعسى وليت وليس وهيهات ..

المحدثـــون

وتتناهى التركة النحوية الجليلة إلى القرن الرابع عشر الهجري ، فيُسيغ نحاته مصطلح الأدوات كما بيّنه السيوطي ، فيغلب على مؤلفاتهم وفهارسهم وأبحاثهم ، حتى إن الشيخ **عبد الخالق عضيمة** رحمه الله قدّم هذا الجانب من علم سيبويه في فهارسه بعنوان (**الحروف والأدوات**) ، ولولا دقته العلمية ما أبقى على مصطلح (الحروف) الذي ما عَرَف صاحبُ الكتاب غيرَه مصطلحاً لهذا النوع من عوامل العربية وألفاظها .

رأي الكـــاتـــب

والحق أن مصطلح (الأدوات) راجح بلا مزاحم لما تقدم من أسباب أبرزها قدرته على استيعاب هذا المزيج من شوارد الألفاظ من جهة ، وسعة مدلوله ليشمل كل ما يتعلق بأمر الأدوات من تركيب ألفاظها وعملها ومعانيها .[٣٧] من جهة أخرى .

علماً بأن مصطلح (الحروف) لم يكن يقتصر في يوم من الأيام على صنف الحروف فحسب ، ولم تكن هذه الحقيقة غائبة عن ذهن سيبويه نفسه كما تقدم ، وإنْ مثّل للحروف بثم وسوف وواو القسم .. بدليل قوله بعد ذلك :

« هذا باب الجزاء ، فما يُجازَى به من الأسماء غير الظروف مَن وما وأيّهم ، وما يجازى به من الظروف أيّ حينٍ ومتى وأين وأنّى وحيثما ، ومن غيرهما وإنْ وإذ ما »[٣٨] .

ولكنها طبيعة المرحلة التي عاشها سيبويه وبدتْ في كتابه صورتُها .. فقد كان رائد التأليف النحوي فعمل على غير مثال يذكر ولم يتسع له من العمر ما يعاود فيه النظر في كتابه . والله تعالى أعلم ، والحمد لله رب العالمين .

الهوامـــش

(١) إنباه الرواة ٤/١ . قلت : ولعل هذا التقسيم هو لأبي الأسود الدؤلي نفسه ، نُسب إلى علي رضي الله عنه من قبل بعض المصادر بدوافع غير علمية ، إن صح أنه من نتاج هذه الفترة المبكرة .

(٢) الكتاب (بولاق) ٢/١ .

(٣) المصطلح النحوي ص ١١٦ .
(٤) طبع بتحقيق الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب سنة ١٩٦٩ م .
(٥) فالألف الرجل الحقير الضعيف .. والباء هو الرجل الكثير الجماع .. والتاء البقرة التي تُحلب دائماً . انظر كتاب الحروف للخليل ص ٢٨ .
(٦) لسان العرب (حرف) .
(٧) المصدر السابق (حرف) .
(٨) الإيضاح في علل النحو (حد الحرف) ص ٥٤ .
(٩) المصدر السابق .
(١٠) ص ٤٤٥ من كتاب (أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة) .
(١١) دون أن يعني هذا امتناع ورود مصطلح (الأداة) عرضاً في بعض كتب البصريين ، فابن السراج مثلاً ، أورد هذا المصطلح في كتابه (أصول النحو) الذي يعد تلخيصاً وتنسيقاً لكتاب سيبويه فقال في (٢٠٦/٢) في باب (الحروف التي جاءت للمعاني) : « .. وإنما هي أدوات قليلة تدخل في الأسماء والأفعال .. » . ومثل هذا الورود العارض لا يعد شيئاً مما نحن فيه .
(١٢) مدرسة الكوفة ص ٢٤٢ . ولهذا لم يُفد د . الأنصاري من دراسة د . المخزومي في هذا الجانب ، مع أنها كانت في مصادره .
(١٣) انظر اللسان (حرف) .
(١٤) فورد على سبيل المثال بمعنى حرف الهجاء في ١١٢/٢ وبمعنى الكلمة المفردة في ٢٠٠/١ و٢٠١ وبمعنى الجملة في ٩٥/٢ ، وبمعنى القراءة في ٩٦/٢ .
(١٥) الإيضاح ص ٨٢ .
(١٦) يصل إلى درجة أن يقرر الخليفة المأمون ت ٢١٨ هـ لحنين ابن إسحاق (ت ٢٤٦ هـ على الأصح) وزن ترجماته إلى العربية ذهباً مثلاً بمثل . انظر طبقات الأطباء والحكماء ١٨٧/١ .
(١٧) وهذا التقسيم للكلام عند أرسطو يرد رداً قاطعاً على زاعمي تأثر النحو العربي في نشأته متمثلاً بكتاب سيبويه بتراث اليونان عامة وأرسطو خاصة ، فأقسام الكلام عند سيبويه هي الاسم والفعل والحرف ، إضافة إلى فروق جذرية في معالجة كل قسم منها . انظر (فن الشعر) لأرسطو ص ٥٥ .
(١٨) كتاب العبارة ص ١٦ .
(١٩) وبذلك وجه أنظار الباحثين في حروف المعاني لتناولها من جانبي : العمل والمعنى ، وقد تركت إشارته هذه أثرها فيما أُلف في هذا الميدان بعد ذلك كما ذكرت بعد .
(٢٠) إنباه الرواة ١٢٢/١ .
(٢١) معاني الحروف والأدوات ٢/أ .
(٢٢) كتاب الجمل في النحو ص ٤١ ، ٦٠ ، ١٨٢ وغيرها كثير .
(٢٣) فهو متمسك بتسميتها حروفاً بالرغم من غلبة الأسماء عليها .
(٢٤) الأزهية ص ٨ وص ١١ . وواضح أنه في الموضع الثاني يريد بالأداة (الوسيلة) إذ لا يعقل أن يريد إدخال تركيب (اسم الله) في الأدوات النحوية .
(٢٥) الأزهية ص ٩٨ .
(٢٦) وهذا ما سوّغ ذكرها هنا ، إذ ليست ما اختص بدراسة الحروف .
(٢٧) شرح ابن الناظم ص ٢٧٠ .
(٢٨) رصف المباني ص ١٨٧ .
(٢٩) السابق ص ٣٧٧ .
(٣٠) السابق ص ٢٥٥ .
(٣١) الجنى الداني ص ٢٦١ .
(٣٢) السابق ص ٢٠٨ .
(٣٣) مغني اللبيب ص ١٩ .
(٣٤) السابق ص ٣٦٧ .
(٣٥) السابق ص ١٧ .
(٣٦) الإتقان ١٤١/٢ .
(٣٧) وهو المنهج الذي اتخذته في كتابي (الأدوات النحوية وشواهدها) معدّ للطبع .
(٣٨) الكتاب (بولاق) ٤٣١/١ ـ ٤٣٢ . ويبدو أن مراد سيبويه من (الحروف) ما ذكره أبو البركات الأنباري من تفسير ذلك في كتابه (أسرار العربية ص ١٢) بقوله : « فإن قيل : لمَ سمي الحرف حرفاً ؟ قيل لأن الحرف في اللغة هو الطرف ، ومنه يقال حرف الجبل أي طرفه . فسمي حرفاً لأنه يأتي في طرف الكلام » .

مصادر البحث

★ أبو زكريا الفراء ومنهجه في النحو واللغة . د . أحمد مكي الأنصاري ، نشر الرسائل الجامعية ـ بالقاهرة ١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٢ م .
★ الإتقان في علوم القرآن ـ للسيوطي . تح محمد أبو الفضل إبراهيم ط . الأولى ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م بالقاهرة .
★ الأزهية في علم الحروف ـ للهروي . تح عبد المعين ملوحي ط . مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م .
★ أسرار العربية ـ لأبي البركات الأنباري . تح محمد بهجة البيطار ط . مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م .
★ إنباه الرواة ـ للقفطي . تح محمد أبو الفضل إبراهيم ط . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م .
★ الإيضاح في علل النحو ـ لأبي القاسم الزجاجي ـ تح د . مازن المبارك ط . مكتبة دار العروبة بالقاهرة ـ ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م .
★ الجمل في النحو . لأبي القاسم الزجاجي ـ تح د . علي توفيق الحمد ط . دار الأمل بإربد ـ الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م .
★ الجنى الداني في حروف المعاني ـ للحسن بن قاسم المرادي . تح د . فخر الدين قباوة ونديم فاضل ـ ط . المكتبة العربية بحلب ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م .
★ الحروف ـ للخليل بن أحمد . تح د . رمضان عبد التواب . ط . الأولى بمطبعة جامعة عين شمس بالقاهرة ١٩٦٩ م .
★ حروف المعاني ـ لأبي القاسم الزجاجي . تح د . توفيق علي الحمد ط . دار الأمل بإربد ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤ م .
★ رصف المباني في شرح حروف المعاني ـ للمالقي . تح د . أحمد الخراط . ط . الثانية بدمشق ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م .
★ شرح ألفية ابن مالك لابن الناظم . منشورات ناصر خسرو بيروت ـ لبنان .
★ طبقات الأطباء والحكماء ـ لابن جلجل ت ٣٧٧ هـ . تح فؤاد سيد ط . المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ١٩٥٥ م .
★ العبارة لأرسطو . شرح أبي نصر الفارابي .
★ فن الشعر لأرسطو . د . عبد الرحمن بدوي . مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٥٣ م .
★ كتاب سيبويه ـ بولاق بمصر ١٣١٦ هـ .
★ لسان العرب لابن منظور
★ مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو . د . مهدي المخزومي ط . الثانية ـ البابي الحلبي ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٨ م .
★ المصطلح النحوي : نشأته وتطوره حتى أواخر القرن الثالث الهجري عوض حمد القوزي . ط الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م بالرياض .
★ معاني الأدوات والحروف ـ لابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) مخطوط .
★ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ لابن هشام الأنصاري . تح د . مازن المبارك ومحمد علي حمد الله . بمراجعة الأستاذ سعيد الأفغاني . ط دار الفكر ببيروت .

★ ★

كوينزلاند
بلاد الشمس المشرقة في أستراليا

بقلم : فكري بكر محمود



★ بورت دوجلاس شبه الجزيرة الساحرة ★



كانت في أواخر القرن الثامن عشر سجناً مفتوحاً للمجرمين البريطانيين الذين ضاقت بهم السجون في بلادهم ، وأرضاً لمعاقبة الخارجين على القانون ، فصارت الآن أهم ولاية في استراليا . إنها « كوينزلاند » التي تتطلع إلى المستقبل بثقة كبيرة وتنظر إلى الماضي على أنه حلقة من حلقات الصراع مع الطبيعة القاسية والظروف الصعبة .

في غضون أقل من مائتي عام استطاعت أن تطور نفسها وتبني مرافقها الأساسية وتفتح الباب على مصراعيه أمام السائحين ليشهدوا صمود الإنسان أمام أصعب المواقف وأعتى الأمواج .

« كوينزلاند » تخرج اليوم من عزلتها لتواجه عصر التكنولوجيا والليزر وتؤكد دورها في تطوير الحياة والتطلع نحو القرن الحادي والعشرين .

الموقع .. والسكان

تحتل « كوينزلاند » الركن الشمالي الشرقي من **استراليا** وتعد **ثاني أكبر ولاية من حيث المساحة** حيث تشغل نحو ربع مساحة القارة إذ تصل مساحتها إلى ١,٧ مليون كيلو متر مربع معظمها غير مأهول بالسكان . **وتزيد مساحة كوينزلاند عن ضعف حجم ولاية تكساس الأمريكية ، وأربعة أضعاف مساحة اليابان أو ألمانيا ، وسبع أضعاف حجم بريطانيا .**

ويبلغ عدد **سكان كوينزلاند** ٢,٤ مليون نسمة يتحدثون **اللغة الإنجليزية** ويمارسون عادات وثقافات ذات خلفية أوروبية **وبالولاية ثلاثة مطارات دولية** ، وبذلك تعتبر الولاية الاسترالية الوحيدة التي يزيد عدد مطاراتها عن مطار واحد .

هبطت بي الطائرة بعد رحلة طويلة استمرت نحو (١٥) ساعة من **مطار دبي** حتى **مدينة كارنيز الاسترالية** التي أصبحت الآن بوابة كوينزلاند واستراليا إلى نصف الكرة الشمالي بعد أن تم بناء مطار فيها وأصبحت المدينة لديها أحدث مطار في استراليا .

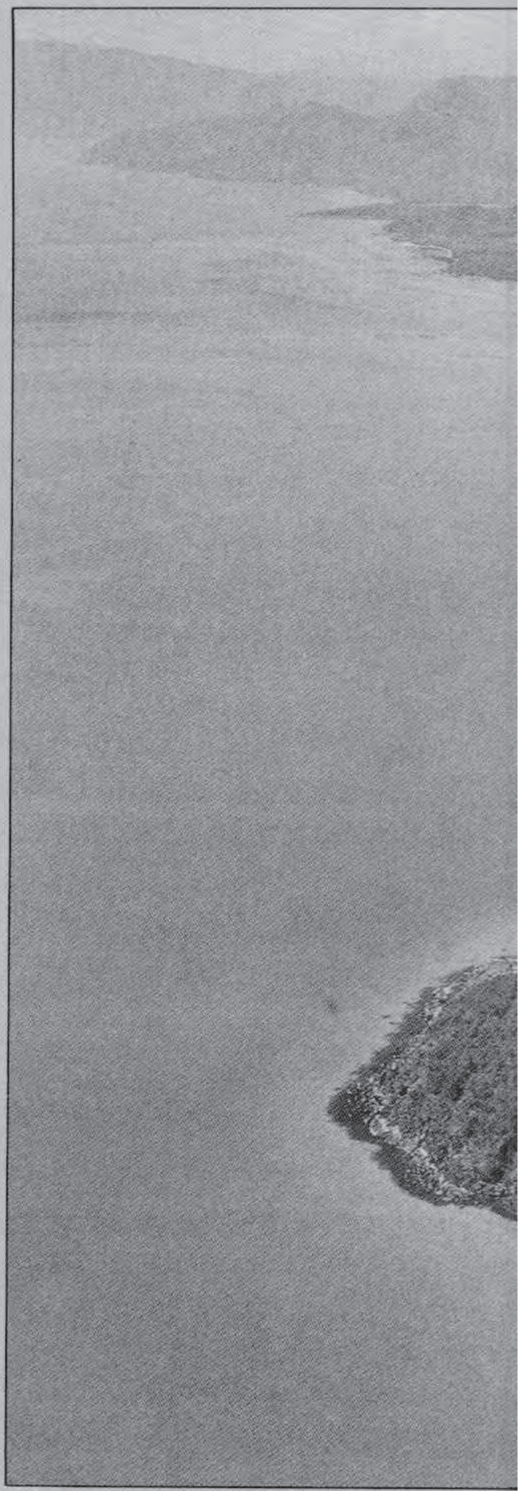
مدن .. في الولاية

تتمتع كارنيز Cairns بجمال طبيعي أخاذ فهي عاصمة الاستوائيات الاسترالية غير الرسمية لأقصى شمال ولاية كوينزلاند التي تعرف باسم « **ولاية الشمس المشرقة** » .

والأمر الذي أثار اهتمامي أنني وجدت اللوحات المعدنية لسيارات الولاية مكتوب عليها

★ مدينة بريسبان ، عاصمة كوينزلاند ★





« كوينزلاند ـ ولاية الشمس المشرقة » . وقد وصلت إلى كارنيز في منتصف شهر يوليو وهو قلب فصل الشتاء في نصف الكرة الجنوبي بعكس الحال في نصف الكرة الشمالي الذي نعيش فيه والذي يكون فيه هذا الشهر قلب



★ دنيا الأحلام ★



فصل الصيف . ووجدت أن المناخ معتدل ورائع حيث الشمس مشرقة وذلك بعكس مدن أخرى في استراليا مثل **سيدني ومالبورن** حيث يكون الجو في يوليو بارداً ومطيراً .

الأمر الأكثر إثارة في كارنيز ـ التي يسميها رجل الشارع « كانز » ـ هو **الحاجز المرجاني العظيم** *Great Barrier Reef* الذي يمتاز بثرواته البحرية والنباتية الغنية والذي يمتد على طول الساحل الشرقي لولاية كوينزلاند وخاصة أمام ساحل كانز في **منطقة بحر المرجان** Coral Sea . ويهوى الزائرون الغوص تحت المياه لمشاهدة الحياة البحرية الغريبة في هذه المنطقة . كما تعد كارنيز مركزاً لصيد الأسماك الكبيرة ، ويأتي إلى المدينة مئات الصيادين من

★ تاونزفيل تستقبل السائحين ★



★ الكنغر يتناول الطعام ★



مختلف أنحاء العالم وبقية مدن استراليا لمشاركة المدينة الاستوائية في مسابقة صيد أكبر سمكة .

في طريقي إلى الفندق الذي سأنزل فيه مررت بمساحات شاسعة مزروعة **بقصب السكر** الذي يعد أهم محصول بالمدينة وبمراعي الأغنام والماشية التي تشتهر بها قارة استراليا بصفة عامة .

انتقلت بالطائرة إلى **مدينة تاونزفيل** Townsville التي تعد أكبر مدن استراليا الاستوائية وتمتاز ببناياتها الحديثة وطرقها السريعة . والمنطقة التجارية بالمدينة تمتاز بطراز فريد . فهي مغلقة أمام المرور لإعطاء فرصة للمشترين بالتجول بحرية بين المحلات

التجارية . وتندمج البنايات الحديثة ـ مثل الفنادق والمباني الحكومية ـ مع المباني التقليدية التي تعود طرزها إلى **العصر الفيكتوري** مما يعطي جواً مؤثراً على وسط المدينة .

وفي تاونزفيل يوجد العديد من المدارس والجامعات والمعاهد الدراسية مثل **جامعة جيمس كوك ، والمعهد الاسترالي للعلوم البحرية ، ومعهد الأبحاث الزراعية الاستوائية** . كما يوجد **بالمدينة أكبر معمل في استراليا لتكرير النحاس** . ويعد **ميناء تاونزفيل** أهم منفذ للتصدير في ولاية كوينزلاند حيث تشمل صادراته **النحاس ، الفضة ، الرصاص ، والزنك** .

أما **مدينة بريسبان** Brisbane **فتعد عاصمة ولاية كوينزلاند** ويبلغ عدد سكانها ١,١ مليون نسمة وهي مدخل شبه استوائي للعديد من معالم **ساحل الذهب وساحل صن شاين** ، ويقع الحاجز المرجاني العظيم وعدد كبير من المنتجعات شمال مدينة بريسبان . وتقع المدينة على ضفتي **نهر بريسبان** ، وتعد مركزاً لحكومة الولاية ، ومركزاً للتجارة والصناعة والثقافة في كوينزلاند . ويوجد في بريسبان جامعتان ، **جامعة جريفيث الجديدة** وتهتم بالعلوم الإنسانية والدراسات الآسيوية ، **وجامعة كوينزلاند القديمة** ، التي تهتم بالدراسات الأكاديمية التقليدية .

أما ميناء بريسبان فيعد أحدث ميناء في استراليا وتستوعب مياهه العميقة سفن الحاويات من جميع أنحاء العالم . ويعد **ساحل الذهب** أهم منتجع صيفي لبريسبان وكوينزلاند . وتمتد رماله لمسافة تزيد عن ٣٠ كيلو متراً ، ويبلغ عدد سكان المصيف (١٦٠) ألف نسمة ويتزايد العدد بصورة كبيرة خلال موسم الصيف في ديسمبر .

من مستعمرة إلى ولاية

وصل المستوطنون الأوائل إلى كوينزلاند في عام ١٨٢٥ م ، وكانوا حفنة من المجرمين المحكوم عليهم بالسجن في بريطانيا . كان ذلك بعد ٣٧ عاماً فقط من وصول **الأسطول البريطاني الأول** إلى خليج سيدني لإقامة مستوطنة للخارجين على القانون في بريطانيا .

وكان **الكابتن جيمس كوك** قد اكتشف في عام ١٧٧٠ م منطقة شرق استراليا وقدم تقريراً إلى الحكومة البريطانية يرشح فيها خليج سيدني مكاناً مثالياً لمثل هذه المستعمرة .

وعندما أصبحت سيدني مكاناً للخارجين على القانون القادمين من السجون البريطانية التي ضاقت بنزلائها ، أصبحت « بريسبان » مكاناً للمسجونين غير المرغوب فيهم بمستعمرة سيدني .

وبوصول الأسطول البريطاني الأول إلى سيدني في عام ١٧٨٨ م ، اكتشف المسجونون وأفراد الحراسة أن المنطقة غير مثالية بالمرة ، وعانوا أقسى درجات الحرمان ، فبدأوا يندفعون نحو الشمال بحثاً عن مستعمرات جديدة ، ووقع الاختيار على « بريسبان » وتم تأسيسها في عام ١٨٢٥ م .

وظلت « بريسبان » مغلقة أمام المستوطنين العاديين حتى عام ١٨٤٢ م عندما بدأت مجموعات كبيرة من المغامرين تتدفق على كوينزلاند والموانىء الساحلية الأخرى » .

والمنطقة التي يطلق عليها كوينزلاند الآن ، كانت تمثل الجزء الشمالي من « نيو ساوث ويلز » حتى عام ١٨٥٩ م عندما طالب المستوطنون المحليون بالانفصال عنها ونيل الحكم الذاتي .

وقد أدت هذه الضغوط إلى قيام مستوطنة منفصلة عرفت في وقت لاحق باسم « كوينزلاند » . وفي يوم ٦ يونيو عام ١٨٥٩م وقعت **الملكة فيكتوريا** على إعلان يقضي بمنح كوينزلاند الاستقلال عن **نيو ساوث ويلز** . **ويحتفل الأهالي في هذا اليوم بعيد كوينزلاند** الوطني .

اقتصاد الولاية

يرتبط تاريخ التعدين في كوينزلاند بحدثين رئيسيين ـ **اكتشاف الذهب** في عقد الستينات من القرن الماضي الأمر الذي حقق الرخاء لمستعمرة كوينزلاند وزاد من أمواج الهجرة إليها ، **واكتشاف الفحم** في الستينات من هذا القرن الأمر الذي أنعش اقتصاد كوينزلاند .

وحقق الفحم الأسود المستخرج من **حوض بادين** في وسط الولاية نحو ربع إيرادات التصدير لكوينزلاند . ولايزال **منجم النحاس ـ الفضة والرصاص ـ الزنك** في « **ماونت ايسا** » الذي افتتح في عام ١٩٢٧ م أحد أكبر المناجم في العالم . وتعتبر « **تاونزفيل** » ميناء التصدير للنيكل المستخرج من جرينفيل . كما **أصبحت كوينزلاند أول ولاية استرالية تنتج النفط والغاز الطبيعي بكميات تجارية في عام ١٩٦١ م** .

وتنتشر **المراعي** في كوينزلاند وهناك نحو عشرة ملايين رأس من **الماشية** لدرجة أن كوينزلاند حصلت على لقب « **ولاية اللحوم في استراليا** » . والأمر الذي ساعد هذه الصناعة على التطور ، الفنون العلمية في تربية الماشية والسيطرة على الأمراض وسياسات التسويق القائمة على أسلوب البحث العلمي . **ومعظم الصوف عالي الجودة الذي يباع في الأسواق العالمية مصدره كوينزلاند** ، ويبلغ عدد رؤوس **الأغنام** في الولاية نحو ١٣ مليون رأس . أما **القطاع الزراعي** فإن أهم محصول هو **قصب السكر** المنتشر على طول الشريط الساحلي الشرقي للولاية . وفي ذروة الموسم يتم قطع نحو ٥٠٠ مليون طن من قصب السكر .

ويعد قطاع **السياحة** من أهم القطاعات باقتصاد الولاية وتهتم سلطات كوينزلاند بتطوير الخدمات والمرافق السياحية وتشجع الاستثمار المحلي والأجنبي في هذا المجال .



★ أطفال الأبورجينز يعانون من الفقر والحرمان في مجتمع الرفاهية ★

أهـم المعالـم

تمثل الفنون الجميلة والتشكيلية جانباً هاماً من حياة سكان كوينزلاند اليوم . وفي عام ١٩٦٨ م كانت كوينزلاند أول ولاية في استراليا تنشىء إدارة للأنشطة الثقافية لتطوير الفنون .

ويعد **مركز كوينزلاند الثقافي** في بريسبان أهم معلم من المعالم الثقافية للولاية . ويضم المركز قاعة للفنون التشكيلية على أحدث طراز حيث يتم فيها إلقاء المحاضرات وإقامة المعارض ، كما يضم متحفاً يحتوي على مليوني قطعة آثار تمثل تاريخ الولاية ، ومركزاً للأبحاث ومكتبة عامة ودار عرض مسرحي وقاعة لعروض الباليه . وفي الواقع فإن المركز عبارة عن سلسلة من البنايات المترابطة ضمن مجمع واحد في انسجام تام من الناحية المعمارية بما يعكس أسلوب حياة السكان وتنوع حياتهم الثقافية .

وعلى الطريق من بريسبان إلى ساحل الذهب يوجد **المجمع الترفيهي الضخم « دنيا الأحلام** Dream World » وهو عبارة عن حديقة مترامية الأطراف تناسب العائلات والأطفال الذين يقضون يوماً بهيجاً وسط الحشائش وبين ألعابهم المفضلة مثل المراجيح والقطارات الحلزونية وعروض السيرك . أما **عالم البحار** Sea World في ساحل الذهب فيركز على الأحياء المائية وعروض الدلفين وعروض إطعام سمك القرش .

وفي **حديقة كرومبين** التي تجذب الزائرين من جميع أنحاء العالم تقف الطيور بألوانها المختلفة فوق أيدي ورؤوس الزائرين الذين يقدمون إليها الطعام .

وقد تغير وجه ولاية كوينزلاند منذ أوائل الثمانينات من هذا القرن عندما استضافت عاصمتها بريسبان **دورة ألعاب الكومنولث** في عام ١٩٨٢ م . وهذا الحدث أعطى قوة دفع لإجراء العديد من التحسينات وقيام الكثير من الفنادق والمباني التجارية الحديثة ذات الواجهات الزجاجية . ولا تزال المدينة تشهد الكثير من عمليات التطوير والتحديث خاصة وأنها تنتظر حدثاً عالمياً هاماً وهو استضافة **المعرض العالمي الكبير « اكسبو ٨٨ »** الذي سيفتتح في أبريل ١٩٨٨ م ويستمر حتى أكتوبر من نفس العام . وسيقام المعرض على الضفة الغربية من نهر بريسبان وسيمثل جزءاً من احتفالات استراليا **بمرور مائتي عام على اكتشافها** . وهذا الحدث الدولي سيمثل قوة دفع أخرى للنهوض بالولاية وتطوير مرافقها . ويقام أكسبو ٨٨ تحت شعار « **أوقات الفراغ في عصر التكنولوجيا** » حيث سيركز على التغيرات الملحوظة التي طرأت على أنماط الاستمتاع بأوقات الفراغ في مختلف مجتمعات العالم نتيجة لتأثير التكنولوجيا الجديدة ، كما سيركز على مستقبل استغلال أوقات الفراغ والخطط التي يتم إعدادها لذلك المستقبل .

وتعد **الجزر** المنتشرة أمام شواطـىء كوينزلاند من أهم المناطق السياحية في الولاية حيث تتسم بالهدوء والمناظر الطبيعية الخلابة . ومن هذه الجزر : **لو إيلز** Low Isles **وجرين ايلاند** Green Island **وفيتزروي ايلاند ودنك ايلاند** .. وغيرها . كما تعد **بورت دوجلاس** الواقعة على شبه جزيرة في الحاجز المرجاني واحدة من أهم بقع السياحة في استراليا حيث تمتاز بموقع منعزل يماثل موقع الجزيرة .

ويعد **ساحل صن شاين** Sunshine Coast من أهم المناطق الطبيعية ومن أهم المراكز السياحية في كوينزلاند حيث يجمع بين سحر البحر وجمال الحدائق . **ويأتي نحو ربع محصول كوينزلاند من الأناناس في هذه المنطقة** ، إلى جانب كميات كبيرة من السكر والموز ومنتجات الألبان .

أما **مدينة توومبا** Toowoomba فتشتهر بمهرجان الزهور الذي يجذب الآلاف من الزائرين من بقية مدن استراليا وأجزاء من العالم .

ومن أهم معالم كوينزلاند « **سد سومرست** » بالقرب من **مدينة « ايسك »** الذي تم بناؤه منذ نحو ٤٠ عاماً ويمثل أهم خزان للمياه في جنوب

★ المنطقة التجارية في تاونزفيل ★



شرق كوينزلاند . كما إنه مفيد من الناحية الاستراتيجية حيث أنه يضبط تدفق المياه ويمنع حدوث الفيضانات ، ومفيد أيضا من الناحية السياحية حيث يوفر التسهيلات الخاصة بالتزلج على المياه وإقامة سباقات للقوارب السريعة .

تشجيع القطاع الخاص

تشجع حكومة ولاية كوينزلاند برئاسة « **جوهانز بيليك بترسن** » **رئيس الوزراء القطاع الخاص والاقتصاد الحر** وهي السياسة التي ساهمت في خروج الولاية من عزلتها وفي تطويرها وتحديث صناعاتها ومرافقها . ونتيجة لهذه السياسة استطاعت حكومة كوينزلاند استحداث وظائف جديدة وتشجيع الاستثمارات الخاصة لتنفيذ المشروعات الكبرى وفتح الباب أمام الاستثمارات الأجنبية لمساعدة المستثمرين المحليين .

وتعد المشكلة الأساسية التي تواجه كوينزلاند هي « الأبورجينز » وهم أهالي استراليا الأصليين قبل الاستعمار البريطاني . ويبلغ عدد الأبورجينز في كوينزلاند نحو ٥٠ ألف شخص ويعانون من مشكلات التخلف والمرض والبطالة وذلك نتيجة لعدم اندماجهم مع المستوطنين الجدد لبلادهم وعدم منحهم الفرصة للتطور والارتقاء .

الحياة البرية

يعد « **الكوالا** Coala » رمزاً للحياة البرية في كوينزلاند ، وهو حيوان من فصيلة الجرابيات مثل **الكنغر** المنتشر في جميع أنحاء استراليا التي تعد بصورة عامة مملكة لذوات الجراب . وقد أدت التغيرات الجيولوجية إلى عزل قارة استراليا عن بقية قارات العالم وتركها كجزيرة نائية تحافظ على فصيلة الجرابيات لديها من الانقراض . وتهدف سياسات الحفاظ على حيوانات استراليا إلى الإبقاء على الكنغر وعدم اصطياده وكذلك « الكوالا » والحيوانات الأخرى من ذوات الجراب . وتطبق نفس هذه السياسة على الطيور المنتشرة في كوينزلاند والزواحف بمختلف أنواعها وذلك لضمان الحفاظ على الحياة البرية الفريدة في الولاية .

وتشجع الحكومة على إنشاء الحدائق للحفاظ على الحيوانات النادرة . كما أعلنت الحكومة أن أجزاء من الحاجز المرجاني العظيم قد أصبحت بمثابة حدائق قومية للحفاظ على بعض الحيوانات والطيور والسلاحف وأنواع معينة من الأسماك . وتعد **حديقة « إيينج فوريست »** القومية آخر موطن معروف لحيوان « **ومبات** Wombat » الاسترالي الذي يماثل الدب .



★ طفلة ترتدي الزي الخاص باحتفالات مهرجان دوسيرا ★

الطقوس الهندوسية عجائب وغرائب

لا يكاد يمر يوم من أيام السنة إلا ويقام مهرجان أو احتفال في إحدى مناطق الهند . ومعظم هذه المهرجانات ، إن لم تكن كلها ، ذات طابع وثني يرتبط بمئات المعتقدات والأساطير التي قذفت بألوف المشعوذين إلى مصاف احتلال موقع التقديس في أفكار الناس هناك .

وتعد المهرجانات والطقوس في الهند بالنسبة لهم من أهم الأحداث الاجتماعية ، فمن خلالها يتقابل الناس ، ويتناقلون الأخبار ، ويوقعون عقود الزواج ، ويعبرون عن مظاهر ترفهم ، ويعرضون أزياءهم ومصنوعاتهم التقليدية ، وفيها يختلط الأمر اختلاطا تاما في نظراتهم لهذه المهرجانات والاحتفالات .

ومن الطبيعي أن يكون العدد الأكبر من هذه المهرجانات مشتقا من الطقوس الهندوسية الوثنية فالعدد الهائل من الطوائف الهندوسية وما يتفرع عنها من مذاهب ، والكتلة الهائلة من الأساطير المختلطة بالأحداث التاريخية ، جعلت مناسباتهم زاخرة بالعجائب والغرائب .

الدوسيرا Dussera

هو واحد من أهم المهرجانات الهندوسية ، ويتم فيه إحياء ذكرى انتصار دورغا Durga (زوجة **شيفا** Shiva) على **الجاموس - العفريت ماهياسورا** Mahiasura ، وكذلك انتصار الملك **راما** Rama (الذي يمثل تجسيداً أرضياً لفيشنو Vishnu) على **رافانا** Ravana **ملك لانكا** Lanka ذو الرؤوس العشرة الذي اختطف سيتا Sita (زوجة راما) حسب زعمهم .

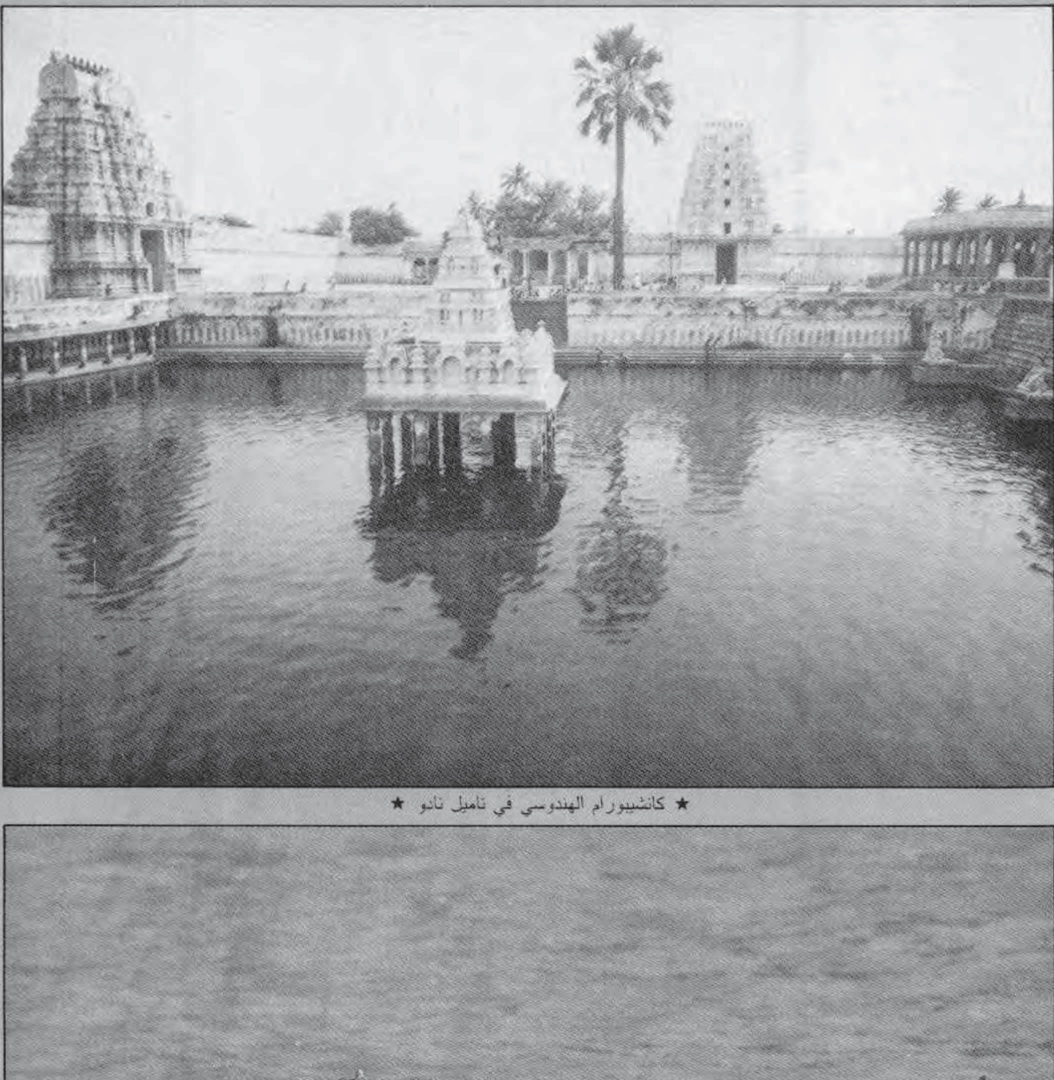
النافراتري Navratri

وهو مهرجان آخر يستمر تسعة أيام تخصّص بأجمعها لتبجيل **(الأم العظمى)** حسب زعمهم . ويتجلّى الاحتفال بتنصيب التماثيل ووضع الصور في البيوت لتقدم لها شعائر العبادة الوثنية ، كما يقوم الكبار برواية القصص والأساطير حولها .

وفي **مدينة جوجارات** Gujarat يتجلّى الاحتفال بهذه المناسبة برقص **(الجاربا** Garba) الذي تؤديه النساء بخطوات إيقاعية متمايلة حول الشموع المضيئة . وفي جنوب البلاد تغّني البنات وترقص حول إبريق متوّج بقشور جوز الهند يرمز لطقوسهم الوثنية !!

وفي **البنغال** يتّم الاحتفال بتكريم وتبجيل **كالي** Kali ذات الوجه القبيح والمخيف ، ويستأثر هذا الاحتفال بشعبية كبيرة . كما أن الطقوس التي تؤدى حول معبد ماهاكالي Mahakali في **كلكوتا** وباقي معابد **كالي دورجا** Kali-Durga تجتنب حشداً كبيراً من الناس . وفي مثل هذه الاحتفالات تختلط أسماء أصحاب الطقوس بعضها ببعض ، فالبعض يتجه بتمتماته الوثنية **لديفي** Devi ، ويتم ذلك على شكل غناء ورقصات وحركات غريبة . وفي اليوم العاشر من طقوس **نافراتري** تذبح الجواميس كنوع من رموزهم الوثنية .

وينطوي تقديس (دورجا) على أبعاد اجتماعية هامة ، فنظراً لكونها تمثل آلهة الحرب حسب زعمهم الوثني فإنها تعد الآلهة



★ كانشيبورام الهندوسي في تاميل نادو ★



★ نماذج مثبتة على صخور الغانج ★

منطقتي **ميزور** Mysore **وجيبور** Jaipur . ويتجلى الموكب ، بجلوس الحاكم فوق فيل بعد أن يتزين بأفضل الألبسة وأنفس الحلي ، ويتحرك الموكب الذي تشارك فيه بطانة الحاكم من النبلاء والآلاف من عامة الناس ، من مركز المدينة حتى خارج بوابتها . وأثناء ذلك تنفخ الأبواق وتقرع طبول الحرب . ومما يلفت النظر في هذا الموكب الفيلة المسرجة بأزهى أنواع القماش المشكوك بالحلي والمجوهرات النفيسة ، والجنود بألبستهم الزاهية التقليدية بالإضافة للنبلاء ذوي الملابس المميزة .

وتعد الليالي التسع لهذا المهرجان مجرد تحضيرات للأمسية المشهودة التي ستحيا فيها ذكرى انتصار راما (الذي يجسد عند الهندوس انتصار الفضيلة على الرذيلة) خلال معركة استمرت عشرة أيام ضد الملك لانكا . وتدعى هذه القصة الملحمية (**راماليلا** Ramalila) ويتم تمثيلها خلال الليالي التسع وفق أساليب كثيرة ومثيرة يغلب فيها الطابع المسرحي الغنائي الراقص . وفي الليلة العاشرة يصل الاحتفال أوجه ، حيث يقوم المحتفلون بحرق تماثيل ملونة لرافانا بشاربيه المعقوفين وزينته الأميرية بالإضافة لتمثالين آخرين يمثلان ابنه وأخيه ، وتتم عملية الحرق هذه تحت أزيز الرصاص ودوي أصوات المفرقعات .

واستكمالاً للاحتفال بملحمة راما يبدأ الهندوس احتفالاً آخر يدعى **ديوالي** Diwali بعد اكتمال



★ فيلة تريكود في كيرالا بعد تحضيرها لمهرجان الدوسيرا ★



★ تعويم دورجا فوق مياه الغانج أثناء أحد الاحتفالات الهندوسية ★

المفضلة بالنسبة لطبقة **كشاترياس** Kshatriyas الهندوسية التي توصف بالبأس والشجاعة حتى أصبحت هذه الآلهة المزعومة رمزاً للطبقة الأريستوقراطية المسيطرة والمنغلقة على نفسها .

وفي اليوم العاشر من الاحتفال ، وبعد ذبح الأضاحي ، يبدأ المحتفلون بعرضهم العسكري الفصلي الذي كان له في الماضي شأن كبير في مجال إظهار القوة ، لكنه اليوم يقتصر على القيمة الرمزية . ويطلق على هذا العرض اسم **(موكب الدوسيرا)**، وهو معروف على الخصوص في

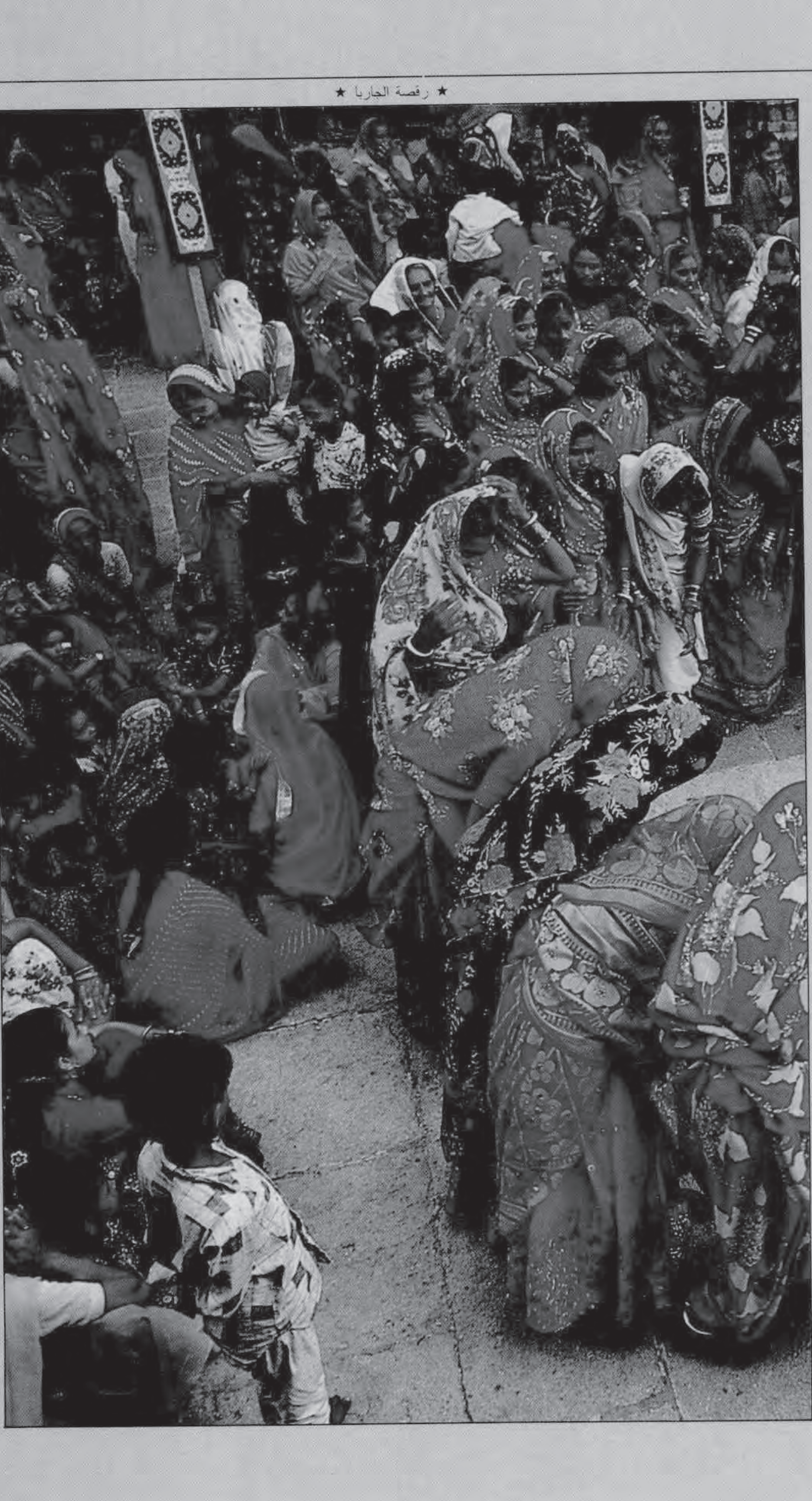
طقوس الدوسيرا . ويستمر هذا الاحتفال عشرين يوماً تشعل خلالها مصابيح الزيت التي تعوّض فيما بعد بالشموع والمصابيح الكهربائية لتضيء كافة البيوت والشوارع ، وهذا كرمز لهزيمة الظلمة الروحية حسب زعمهم . وتتميز بداية طقوس ديوالي بإطلاق الصواريخ النارية في السماء في خضمّ ضجيج الألوف المؤلفة من المشاركين في هذه الطقوس . ثم تتحول هذه الطقوس نحو تقديس (**لاكسمي** Laxmi) زوجة فيشنو التي يزعم الهندوس أنها آلهة الخير والثراء ، كما يزعمون الإلهة سيتا تجسيداً أرضياً لها . ويصادف احتفال ديوالي بداية عام مالي جديد ، لذا يعد الاحتفال على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للتجار ورجال الأعمال حيث تصفّى الحسابات القديمة وتطوى ، لتفتح حسابات جديدة . ويسترجع الجميع الشعور بالعزيمة والنشاط حيال بداية جديدة لأعمالهم ونشاطاتهم .

مهرجان هولي Holi

ويقصد من هذا المهرجان تبجيل لاكسمي الأنيقة التي يصعب إرضاؤها ، فهي تكره القذارة والفساد ، لذا يعمد الناس في هذه المناسبة إلى طلي بيوتهم وتنظيفها طلباً لرضاها . فتطلى بيوت المدن بطلاء كلسي أبيض ، بينما يصار في القرى إلى طلي البيوت بروث البقر المطهر حسب زعمهم ؟ ويتم تزيين السقوف والحوائط وفق تصاميم غريبة ، وتشترى في هذه المناسبة الملابس الجديدة وتوزع



★ واحد من مئات المواكب التي تشهدها مدن الهند يومياً ★



على الصغار أنواع الحلويات .

ويبدأ مهرجان هولي اعتباراً من اليوم الذي يكتمل فيه القمر من شهر مارس (آذار) ، حيث يتجمع سكان المدن في الشوارع من أجل تشكيل الموكب المقدس عندهم الذي سيتجه فيما بعد إلى الضواحي التي تشهد قمة المهرجان . وما أن يتجمعوا حتى يبدأوا برشق بعضهم بمسحوق برّاق يدعى (**جولال** Gulal) كما يرّشون بعضهم بالماء الملّون . وغالباً ما يلجأ المحتفلون بهذه المناسبة إلى أكل أو استنشاق مادتين مشتقتين من الأفيون المخدّر تدعيان (**البهانج** Bhang) و(**التانداي** Thandai) وذلك بهدف إضفاء طابع التهريج وتعميق شعور المشاركين فيه بالسعادة الوهمية **وهم بذلك يرمون بأنفسهم إلى التهلكة** .

ويختلف الرواة حول أصل هذا المهرجان ، فبعضهم يفترض أنه مشتق من مهرجان آخر يدعى مهرجان الخصوبة بعد أن أضيفت إلى احتفالاته بعض البدع والأساطير الأخرى . وهناك من يتكلم عن ملك بلغ من الغطرسة ما جعله يفرض على شعبه أن يقدسه . ولم يتجرّأ أحد على رفض هذا الأمر سوى ابنه الأمير الشاب **برالاد** Praladh . وعندما فشلت جميع المحاولات التي استهدفت قتل الأمير أخذته عمته **هوليكا** Holika (لربما يكون اسم المهرجان قد اشتق من اسمها) التي قيل إنها حصينة ضد النار ، وارتمت معه في محرقة مستعرة . وكان برالاد على درجة



★ هندوسي طمر جسده في التراب حتى الرأس ★



★ بعض المشاركين في أعياد مادوراي ★

من الشجاعة والتفاني جعلته يخرج من النار دون أن يصاب بأذى بينما احترقت هوليكا حتى الموت . ولهذا فقد درجت العادة على إيقاد المشاعل الضخمة في موكب هولي كتخليد لذكرى برالاد الشجاع حيث يقوم المحتفلون بإلقاء بعض حبوب الحصاد نحو المشاعل تكريما لذكراه الوهمية .

وفي مهرجان هولي ، كما في غيره من مهرجانات الهندوس الوثنية ، تختلط أسماء الآلهة المزعومة في بعضها . ففي **مدينة فراج** Vraj ، المقرّ الأسطوري للراعي **كريشنا** Krishna ، يرتبط اسم هذا المهرجان باسم كريشنا وقصصه الأسطورية التي تعكس شخصيته ، ويستمر الاحتفال ١٦ يوماً تتخللها المواكب الصاخبة التي يغلب عليها طابع الألوان الزاهية والموسيقى والأغاني والرقصات الغريبة .

أما إله الحب في زعمهم الوثني **كاما** Kama وزوجته **راتى** Rati فينالان بدورهما قسطاً وافراً من تعبدات الهندوس الوثنية خلال مهرجان هولي ، وذلك إحياء لذكرى موت وبعث كاما من قبل الإله المزعوم « شيفا » .. ؟

وفي اليوم الموالي لنهاية مهرجان هولي تستفيق **مدينة أنانتابور** Anantapur في **البنجاب** من نومها وتدّب فيها الحياة إيذاناً ببداية احتفالات **السيخ** بهذه المناسبة المهمة في نظرهم .

وتتميز احتفالات السيخ بطابع العنف حيث يفضّلون الألعاب الحربية كالرماية والمبارزة بالسيوف والرماح وتكون ملابسهم المخصصة لهذا الاحتفال ذات ألوان زاهية يغلب عليها الأزرق والأصفر والبرتقالي .

أعياد ومناسبات أخرى

ومن أهم الأعياد الوثنية الأخرى التي يحتفل بها الهندوس **عيد جوفيندا** Govinda الذي يصادف عيد ميلاد الإله المزعوم كريشنا . وأغرب ما في هذا العيد يتمثّل في القدور التي تدعى (**ماتكاس** Matkas) التي تعلّق بما تحتويه من طعام مفضّل عند كريشنا فوق الشوارع وبين الأبنية . وتقوم مجموعات من الشبان بتشكيل أهرمات بشرية ترتفع إلى مستوى ستة أو سبعة طوابق حتى يتمكن أحد الشبان من الوصول إلى القدور وتكسيرها ،

فإذا عثر في محتواها على بعض القطع النقدية فهذا يعني أن ثواباً كبيراً في انتظاره كما يعتقدون .

أما **جانيشا** Ganesha ، ابن الإله المزعوم **بارفاتي** Parvati ، وزعيم حاشية شيفا ، فيعد إله الحكمة في معتقداتهم الوثنية ، والاحتفال بتبجيله يصل أوجه في مدينة **بومباي** . وتبدأ التحضيرات لهذا الاحتفال قبل شهر كامل من حلول المناسبة حيث تنصب التماثيل الصغيرة له في البيوت وتعلق صوره الكبيرة في



★ رافانا ذو الرؤوس العشرة قبل حرقه في مهرجان دوسيرا ★



★ فتاتان هندوسيتان أثناء مشاركتهما في أحد المهرجانات ★

الشوارع ، وتتضافر جهود الأهالي لجعل هذا الاحتفال واحداً من أكثر أعياد الهندوس الوثنية بهجة وتنظيماً ، فتضاء الشوارع وتزين ويتم تدريب المحتفلين على الغناء والعزف . وخلال فترة الحركة التحرّرية في الهند حظرت القوانين البريطانية التجمعات السياسية ، فلجأ الزعيم الوطني **تيلاك** Tilak إلى استغلال هذا الاحتفال لغرض تأجيج الشعور الوطني والتحريض على الثورة . وفي آخر أيام هذا العيد تتوجه آلاف المواكب إلى **شاطئ شوباتي** Chopatty ، حيث تقرع الطبول ، ويبدأ الغناء المصحوب بالدعاء إلى الإله المزعوم بأن يعود مبكراً في السنة القادمة .. ؟

وإلى جانب الأعياد السالفة الذكر لابد من الإشارة إلى أن لكل معبد من معابد الهندوس الوثنية مهرجانه السنوي الذي يبّجل فيه الإله المزعوم الذي يتبناه .. ؟ ، وكل من هذه الأعياد يستمر لعدة أيام كما يعد من الأحداث الإقليمية المهمة . وفي مثل هذه المناسبات جرت العادة أن يتجمع سكان المدن والقرى المجاورة حول المعبد لتقديم مبايعتهم السنوية للإله المزعوم (بالمذكر) أو الإلهة المزعومة (بالمؤنث) .

ولعل من أغرب مهرجانات وأعياد المعابد ذلك الذي يحتفل فيه بزواج الإلهة المزعومة ميناكشي Minakashi من **اللورد سونديرسوارا** Sundareswara (أو شيفا) والذي يستمر لعدة أيام من كل سنة في معبد ميناكشي في مادوراي Madurai . وأثناء الاحتفال يسير موكب مقدس يتضمن تمثالاً ضخماً يمثل ثوراً ذهبياً تمتطيه تمثال الإلهة المزعومة وزوجها ليجوب المدينة وهو محمول على عربات المعبد المزّينة . ولله في خلقه شؤون .



فاصل موسيقي ـ الرسام الألماني ـ لودفيج دويتش

من ديوان الشعر السعودي

الجمال النائم

شعر:
محمد علي مغربي

يافتنةَ العينِ كم أسهرت من بصرٍ ... وكم قضيتِ على النُوَّام بالسهرِ
ينام جفنك لا يدري الهوى أبداً ... وقد أثار كمينُ الشجو والذكرِ
قد كنت لي فتنة مذ كنت صاحبة ... ومذ غفوت تجلت فتنة الكبرِ
يامسند الخد كفاً رخصة ويداً ... هلا لمست بكفٍ موضعَ الخطرِ ؟
ومرسل الشعر خصلات مهدلة ... أذائب التبر هذا أم سَنَا القمرِ ؟
أرسلتِ شِعْرِك كالأنغامِ ساجيةً ... تفيض بالسحر ياويلي من الشعرِ
وناعم الخد في إشراق وجنته ... ندى الصباح وطيب الورد والزهر
ياويح قلبي كم عاشت به فتنٌ ... كما تعيث الرياحُ الهوجُ بالشجرِ
أكلما أشرقت بالحسن ذات صِباً ... تلفَّتَ القلبُ مذعوراً من البهر
هذي المفاتن ما تنفك طالعة ... كغيرةِ الفجر أو إغفاءةِ السَّحَرِ
مالي وللحسن تصبيني مفاتنه ... وما الصبابة من قصدي ولاوطري
وهبتُ عمري للأمجادِ أطلبها ... فما نعمت بكأسٍ بل ولا وَتَرِ
وكنت للحسنِ أجفوه فيطلبني ... واليوم يأخذُ مني الوتر بالعبر
هذا شبابي ما أسلمت زهرته ... إلى لعوبٍ ولا للرجسِ والعهرِ
كان الضمير وكان الطهر منقلبي ... واليوم أخشى على قلبي من الخَطَرِ
فهل أعود بقلب طاهر ويد ؟ ... إني لأرجو ولكني من البشرِ

عن « شعراء الحجاز في العصر الحديث »



★ العقل السليم في الجسم السليم ★

التربية والتغير الثقافي في واقعنا العربي

بقلم : د. لطفي بركات أحمد

سنحاول في هذه الدراسة إلقاء الضوء على مسؤوليات فكرنا التربوي في تحقيق تغير ثقافي منشود وذلك من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :

س ١ ما أهم التفسيرات المختلفة للتغير الثقافي ؟ وما العلاقة بينه وبين كل من التغير البنائي والتغير التنظيمي ؟
س ٢ ما أهم العوامل المؤثرة في إحداث تغير ثقافي في واقعنا العربي ؟
س ٣ ما أهم النظريات السائدة في تفسير ظاهرة التغير الثقافي ؟
س ٤ ما مدى حاجة واقعنا العربي إلى نظرية شاملة للتغير الثقافي ؟
س ٥ ما مسؤوليات فكرنا التربوي في إحداث تغير ثقافي مستهدف ؟

ووصولا إلى مقصدنا هذا يمكن إيجاز ذلك على النحو التالي :

أولاً : التفسيرات المختلفة للتغير الثقافي

أصبح التغير الثقافي أحد السمات الرئيسية في واقعنا العربي الذي يستهدف مواكبة روح العصر ومطالبة في هدى الشريعة الإسلامية السمحاء ؛ ومن هنا يجب التمييز بينه وبين التغير الاجتماعي الذي يتضمن أنواع التطور التي تؤثر في بنية المجتمع ونظمه الاجتماعية ، ومعنى ذلك أن التغير الاجتماعي ليس إلا جزءاً من عملية أكبر وأوسع من عمليات التطبيع الاجتماعي ، وهي التي يطلق عليها مفهوم التغير الثقافي الذي يتضمن كل تحول أو تطور في عنصر من عناصر الثقافة ، سواء أكان مادياً أم معنويا ، وبمعنى آخر يتضمن التغير الثقافي التحولات التي تطرأ على أي ظاهرة ثقافية خلال فترة زمنية محددة يمكن ملاحظتها وتقديرها ويترتب عليها ظهور عوامل جديدة داخلية أو خارجية .(١)

ولقد ورد في **قاموس هولت** Hoult أن مفهوم التغير يشير إلى أي تعديل أو تبديل أو تطوير في طبيعة الظاهرة الثقافية(٢) ؛ كما يعرف **بوتومور** Bottomore التغير بأنه تحول وتطور في حجم المجتمع ، وفي بنيته الثقافية ، وفي العلاقات القائمة بين النظم(٣) .

كما ترتبط ظاهرة التغير الثقافي ببعض المفاهيم المشابهة مثل **التغير البنائي ، والتغير التنظيمي** . ولقد أشار **فيرث** Firth إلى التفرقة بين التغير البنائي والتغير التنظيمي ؛ فالأول يؤدي إلى تحولات شاملة في مختلف البناءات الاجتماعية والثقافية في المجتمع ، بينما الثاني في رأيه لا يؤدي إلى تغير في العلاقات الأساسية بين أعضاء المجتمع الواحد .(٤)

ويتحدث **بارسونز** Parsons عن التغير البنائي قائلا « إنه من الضروري مهما كانت الأحوال أن نميز بين التغير داخل النسق الاجتماعي ، والتغير خارج النسق الاجتماعي ؛ فتوصف العملية هنا بأنها **ديناميات التوازن الاجتماعي** The Dynamics of Social Equilbrium وليست تغيرات أساسية أو جوهرية أو حقيقية »(٥)

وعلى ضوء هذا كله ؛ يمكن تقديم تعريف شمولي موسع لمفهوم التغير الثقافي والذي يعني أنه كل تحول أو تطور يقع في مجتمع ما ، خلال فترة زمنية محددة ، ويؤثر في الأنساق والنظم والظواهر والأجهزة والمؤسسات



★ الاستفادة من التقنية الحديثة ★

الثقافية ، سواء كان ذلك التأثير في البناء أو الوظيفة أو الثقافة ، ويحدث نتيجة مجموعة من العوامل المترابطة وليس نتيجة عامل واحد ؛ ويتخذ أشكالا متعددة ، كالتطور الاجتماعي والتقدم الاجتماعي والحراك الاجتماعي ، وقد يكون سريعا هادراً ، أو بطيئاً جامداً ، وقد يكون شموليا موسعاً أو جزئياً ضيقاً .

ثانياً : العوامل المؤثرة في إحداث التغير الثقافي

يمكننا إيجاز هذه العوامل على النحو التالي :

(أ) العامل التكنولوجي : يرى **سانفورد** Sanford أن العامل التكنولوجي يؤدي إلى تحول المجتمع من التريف إلى التحضر ، وأنه بالقدر الذي تختلف فيه المجتمعات في نوعية التكنولوجيا التي تأخذ بها ؛ بالقدر الذي يحدث فيها تغيرات ثقافية مستهدفة ؛ ويستدل **روجرز** Rogers على مدى فاعلية العامل التكنولوجي في إحداث تغير ثقافي في مجتمع ما ؛ بإدخال نظام التلفاز في المزارع الأمريكية ، وما ترتب عليه من تطور هائل في الإنتاج ، فبعد أن كان معدل ما يقدمه المزارع الأمريكي لباقي أفراد الشعب من طعام وملبس عام ١٩٣٠ م هو أربعة أفراد ، ارتفع هذا المعدل إلى ستة عشر فرداً عام ١٩٥٠م ، وإلى أربعة وعشرين فرداً عام ١٩٥٩ م .[٦]

(ب) العامل الجغرافي والطبيعي : ويقصد به الموقع والتضاريس والمناخ وفيضانات الأنهار والأعاصير والزلازل والبراكين والمناجم وحقول البترول ، والتي يمكن للإنسان أن يؤثر في إحداثها مما ينجم عنها إحداث تغير ثقافي أفضل .

وعلى ذلك ؛ فإن كثيراً من المفكرين كانوا يعتقدون بفاعلية هذا العامل في التحكم في الإنسان وفي الأحداث التاريخية والثقافية والاجتماعية أمثال **كونفشيوس** Confucius **وأفلاطون** Plato **وأرسطو** Aristotle **وهيرودت** Herodutus وغيرهم من العصور القديمة ، وفي الربع الأول من القرن العشرين أجريت دراسات حقلية لإبراز مدى فاعلية هذا العامل في إحداث تغير ثقافي منشود ؛ نذكر منها دراسة حقلية أجريت على عينة من طلاب الولايات المتحدة الأمريكية وانجلترا ، أوضحت أن هناك علاقة ترابطية تلازمية بين المقدرة العقلية Mental Efficiency وبين المناخ وأن هذه المقدرة العقلية تتفاوت صعوداً وهبوطاً من موسم إلى آخر .[٧]

(ج) العامل الاجتماعي : يعتبر هذا العامل أحد المحاور الرئيسية المؤثرة في إحداث تغير ثقافي في المجتمع ، وفي ذلك يقول **جيمس كوين** James Quinn أن نوعية التراث الثقافي ومحتوياته القائمة في مجتمع ما قد يحدد مسار التغير الثقافي من حيث سرعته أو بطئه ؛ كما أوضحت **مارجريت ميد** Margret Mead أهمية هذا العامل واستدلت على ذلك بجماعتين الأولى هي **جماعة أكامبو** Akambo والثانية **جماعة أنجول** Angol وتتكون الأولى من ثلاثة أجيال ويرجع نسبها إلى الأب وتعيش في عدة أكواخ ، وتحكمها التقاليد السحرية وسلطة الجد الأكبر ، في حين أن الجماعة الثانية عددها قليل وتتكون من جيلين فقط ، وتسيطر عليها العادات والتقاليد القديمة ، وقد لاحظت ميد أن الفرد في الجماعتين كان يفكر ويسلك من خلال فكر وسلوك جماعته وقيمها ومعاييرها السائدة .[٨]

ولقد رأينا في مجتمعنا العربي محاولات لتتريك اللغة العربية وفرنستها ؛ إلا أنها باءت جميعها بالفشل نتيجة أصالة التراث الثقافي العربي ، وما يحتويه من قيم ومثل عليا راسخة عبر الزمان .

(د) العامل الديموغرافي : يرى بعض المفكرين أن معدل النمو السكاني ونوعيته من العوامل الرئيسية في إحداث التغير الثقافي ، في حين يرى البعض أمثال **أوجبرن** Ogburn أن التكنولوجيا بما تقدمه من إمكانيات تسبب التكاثر والتجمع السكاني ؛ وليس من شك في أن التجمع السكاني في منطقة ما يؤدي إلى إحداث تغير ثقافي في نمط السلوك السائد ، وفي القيم والاتجاهات والعادات ، فهجرة السكان من الريف إلى المدن مثلا ترتب عليه تغير ثقافي متعدد الأوجه ، ولعل ذلك ما دفع **طومسون** Thompson إلى القول بأن **معدلات الحضرية وبالتالي زيادة السكان إنما يرجع إلى عوامل اجتماعية أكثر منه إلى عوامل بيولوجية**[٩]

وجملة القول أنه من العسير تحديد عامل واحد يكون السبب الرئيسي في إحداث تغير ثقافي في مجتمع ما ؛ بل لابد من ترابط وتكامل وتآزر هذه العوامل كلها في إحداث هذا التغير الثقافي .

وتأسيسا على هذا كله يمكن استعراض أهم النظريات التي فسرت ظاهرة التغير الثقافي وذلك على النحو التالي :

ثالثاً : بعض نظريات التغير الثقافي

(أ) نظرية ريكام :

تتلخص هذه النظرية في أن المجتمع يمر بمرحلتين رئيسيتين هما **مرحلة التضامن الآلي** حيث يجد الأفراد أنفسهم متجهين نحو التماسك بطريقة تلقائية دون أن يكون السبب في هذا التماسك نواحي عضوية كما هو الحال في المجتمعات البدائية ، **ومرحلة التضامن العضوي** حيث يجد الأفراد أنفسهم مضطرين إلى التماسك إشباعا لحاجاتهم الضرورية .

ومن رأي الباحث أن هذه النظرية لا يمكن تطبيقها على كل المجتمعات الإنسانية ذلك لأن هاتين المرحلتين تسيران جنبا إلى جنب دون اغتراب إحداهما عن الأخرى ، ومن ثم تكون هذه التفرقة بين المرحلتين تفرقة مصطنعة تفتقر إلى الأسانيد العلمية التي تدعمها حيث يسير التضامن الآلي مع التضامن العضوي جنبا إلى جنب ، وهذا ما نشاهده في الريف والمدن على السواء[١٠] .

(ب) نظرية أوجبرن :

تؤكد هذه النظرية أهمية العوامل الثقافية في إحداث التغير الثقافي في جوانبه المادية والمعنوية ، **ويرى أوجبرن أن العنصر المادي غالبا ما يتفوق على العنصر المعنوي ويسبقه نتيجة عدة اعتبارات منها سرعة وسهولة انتشاره وما يحققه من إنجازات مادية واجتماعية وهذا ما يسميه بمصطلح التخلف الثقافي** Cultural - Lag[١١] وتحدد هذه النظرية أربعة عناصر رئيسية لازمة لإحداث التغير الثقافي هي الحاجة إلى الابتكار ، ووجود أساس ثقافي ملائم لطبيعة المجتمع ، وتوافر قدرات ومهارات عقلية ملائمة وعدم تصدي العادات والتقاليد البالية لحركة التغير ؛ كما تؤكد هذه النظرية على أهمية تكنولوجيا الثقافة في إحداث التغير الثقافي في المجتمع .

(ج) نظرية مور :

تبرز هذه النظرية أثر العوامل التكنولوجية والاقتصادية والتربوية في إحداث التغير الثقافي بما تحتويه من تبادل وانتشار وانتقاء ثقافي ؛ ولقد اعتمدت هذه النظرية على دراستين حقليتين هما دراسة **كوترل** Cottrell ودراسة **تريست وبامفورث** Trist and Bamforth[١٢] .

وكانت الدراسة الأولى لإحدى المدن التي تعتمد في أنشطتها على السكك الحديدية ، وما ترتب على تشغيل القطارات بالقوة الكهربائية بدلا من القوة البخارية من حدوث تغيرات ثقافية وتربوية واقتصادية ؛ والدراسة الثانية أجريت في إدارة أحد المناجم الفحمية في انجلترا ، وقام تريست وبامفورث بقياس نتائج التغير الثقافي ، وما واكبها من تغيرات شملت مجالات المجتمع المحلي في النواحي التربوية والثقافية والاقتصادية المتعددة الأوجه .

(د) نظرية مالينوفسكي :

تعتمد هذه النظرية في تفسيرها لظاهرة التغير الثقافي بربط الحاجات الإنسانية الضرورية بالاستجابات الثقافية باعتبار أن كل حاجة إنسانية يقابلها استجابة ثقافية ، وترتكز هذه النظرية على الركائز التالية :

(١) ضرورة الكشف عن علاقة الثقافة بطبيعة الإنسان البيولوجية والثقافية

(٢) النظام الاجتماعي في كل صوره ، ومهما بلغت درجة بساطته لا يشبع حاجة واحدة ، وأن معظم النظم الاجتماعية تشبع أكثر من حاجة وبهذا تؤدي أكثر من وظيفة في الحياة .

(٣) الوظيفة الرئيسية لأي نظام إنما تتمثل في إشباع الحاجات الإنسانية التي ترتبط به .

في ضوء هذه الركائز يمكن الوصول إلى تقدير لمختلف الحاجات الإنسانية ، وتحديد الرئيسي منها والثانوي ، وإدراك كيفية ودرجة ترابطها ، والظروف التي تنبثق فيها كل حاجة ، وما يترتب على هذا كله من تغيرات ثقافية مرغوب فيها من الجماعة الإنسانية .

(هـ) نظرية سوركن :

وتستند هذه النظرية في تفسيرها لظاهرة التغير الثقافي على عدة أسس رئيسية هي :

(١) أن كل نظام عقلي أو وظيفي يملك درجة من درجات الاستقلال الذاتي المتوارثة داخل النظام نفسه ، والتي يطلق عليها مصطلح **التوازن** Equilbrium وهذا التوازن قائم في كل نظام سواء أكان آلياً أم عضوياً .

(٢) أن هذا الاستقلال يعني أن هناك حدوداً معينة للخيار مرتبطة بالعديد من العوامل الخارجية التي لها فاعليتها على هذا النظام .

(٣) أن من الخطأ رد ظاهرة التغير الثقافي إلى أحد العوامل الخارجية فقط .

ومغزى هذا أن هذه النظرية تفسر التغير الثقافي من عوامل داخل المجتمع نفسه وليست من خارجه ، ذلك بأن القاعدة الأساسية للتغير هي المجتمع وثقافته وشخصيته ، ومن ثم فإن ظاهرة التغير الثقافي لا تتكرر في المجتمع الواحد بنفس القوة والمقدار نتيجة لاختلافات **التجاور الميكانيكي** Mechanical Adjacency **والإكراه** Constraint وتنوع العلاقات السببية والوظيفية[١٣] Causal-Functional Relations

★ التربية الفنية .. وتوسيع مدارك الطفل ★



هذه أهم النظريات التي فسرت ظاهرة التغير الثقافي ، وإن كان ثمة اتجاهات أخرى حاولت تفسير هذه الظاهرة منها اتجاهات تردها إلى **شخصية الزعيم أو القائد** الذي يتمتع بقدرات خاصة تؤهله لإحداث تغير ثقافي في المجتمع الذي يعيش فيه .[١٤] ومنها اتجاهات تردها إلى **الموهبة العقلية** التي يتمتع بها أفراد المجتمع وتتضح هذه الاتجاهات في دراسات **هوبز** Hobbs **ولوك** Locke **وروسو** Rousseau ومنها اتجاهات تطورية تردها إلى ظاهرة التطور حيث تفرعت إلى فرعين ؛ فرع يعرف **بالدارونية** نسبة إلى **دارون** Darwin الذي استخلص أسس التغير من مبادىء تنازع البقاء وصراع الأجناس وبقاء الأصلح .[١٥] والفرع الثاني من هذا الاتجاه يعرف **بالأنثروبولوجية الكلاسيكية** Classical Anthropology ومن أنصاره **سبنسر** Spencer **وتايلور** Taylor وهذا الفرع يفسر التغير الثقافي على أساس الانتقال من **التشابه** Homogeneity **إلى التباين** Heterogeneity في الحياة الاجتماعية ، حيث كانت تعيش البشرية في أول بدايتها على الفطرة ، وكانت مؤلفة من أفراد متشابهين في طرائق الحياة وأساليبها وأهدافها ، ثم حدث أن تطورت الحياة الاجتماعية ، فلوحظ أن الفروق بين أنماط سلوك الأفراد قد أخذت في التباين والاختلاف .

والحقيقة أن هذه النظريات والاتجاهات الفكرية التي حاولت تفسير ظاهرة التغير الثقافي ارتكازاً على عامل واحد تفتقر إلى نظرة شمولية موسعة في تحليل هذه الظاهرة مما سيحاول الباحث عرضه على النحو التالي :

رابعاً : محاولة لوضع أسس عامة لنظرية شاملة في التغير الثقافي

وعلى ضوء ما سبق عرضه من نظريات واتجاهات فكرية في تفسير ظاهرة التغير الثقافي ؛ يمكن أن نقرر أن هذه النظريات والاتجاهات افتقرت إلى تفسير شمولي موسع لهذه الظاهرة ، حيث اعتمدت على عامل واحد في تحليلها للتغير الثقافي فأبعدت بذلك أي عامل من عوامل الإرادة الإنسانية في التحكم في إحداث التغير الثقافي ، هذا إلى جانب إغفالها أن المجتمعات في تحولها وتغيرها إنما تتأثر بعوامل عديدة متفاعلة بعضها مع بعض ، ومؤثرة بعضها في بعض كالعوامل الاجتماعية والسياسة والاقتصادية والفكرية والتربوية والخلقية والروحية .

هذا بالإضافة إلى دعوتها وزعمها بالقدرة على توقع المتغيرات التي تحصل في مجتمع ما في الوقت الذي أكدت فيه الحقائق والوقائع الملموسة زيف هذا التوقع فلقد **سقطت على سبيل المثال دعوى أفلاطون أن الديموقراطية لا تنمو وتزدهر إلا في المدن المحدودة العدد ؛ كما سقطت دعوى أرسطو بأن المدنيات تقوم على العبودية ؛ كما سقطت دعوى مالثوس في تنظيم النسل نتيجة تقدم الطب وازدهاره .**

كذلك فقد أغفلت التفسيرات السابقة أهمية الأهداف الإنسانية وعوامل الاختيار والذكاء التي تدحض إمكانية خضوع الظواهر الاجتماعية في مساراتها لتفسيرات جزئية محدودة دون نظرة شمولية متكاملة تبرز أثر العامل الاجتماعي الواعي الذي يعد رئيسياً في تطور الحدث الاجتماعي بحيث يتعزز معه تقرير حد مرسوم مقدما للتغير الثقافي .

كما أنها قد أغفلت الطرق العلمية في قياس التغير مع أنها وعلى حد تعبير **لومس** Loo-Mis ضرورية وعلمية ولقد تطورت أدوات القياس المتعلقة بالتغير ، وانتقلت من مرحلة الملاحظة والوصف والتفسير إلى قياس معدلات التغير عن طريق تحديد مظاهر التغير المطلوب دراسته ، ثم التعرف على جزئياته ، هذا في الوقت الذي يكون لدينا نموذجاً تصورياً لنفس الظاهرة موضع الدراسة ومقارنة ذلك النموذج بالوضع القائم للظاهرة في فترة زمنية محددة ، وعن طريق هذه المقارنة يمكن قياس التغير إلى ما يحدث ويطرأ على هذه الظاهرة وبطريقة مباشرة .

هذا ومن شأن هذا النموذج التصوري أن يحدد الأسئلة التي يجب على البحث أن يقدم إجابات واضحة عنها وكيفية استخدام الاجراءات الإمبيريقية كأدوات تؤدي إلى إجابات عن هذه الأسئلة . ولبيان أهمية تفسير التغير الثقافي في إطار نظرية شاملة يجب التأكيد على أن الكيان الاجتماعي له أهميته القصوى بالنسبة للوظيفة التي يقوم بها حيث إنه يستمد فاعليته منها ، وحيث إن هذه الوظيفة بالتالي هي التي تشكل ركائز هذا الكيان ومقوماته ومحدداته وأهدافه وتساعد على فهم العلاقة بين الفرد والجماعة هل هي علاقة تطابق أو انفصال أو تقاطع ؛ كما تساعد على تحليل مفهوم التكيف بالنسبة للفرد وللجماعة ، وأساليب دعم هذا التكيف ، وبالتالي فهي تبرز المشكلات الاجتماعية السائدة التي لا يمكن فهمها إلا في إطار نظرية شاملة للتغير الثقافي .

وفي ضوء هذه الأسس العامة في النظرة الشمولية لمفهوم التغير الثقافي يجب التعبير عن مظاهر التغير في أنماط الثقافة السائدة وفي عناصرها بحيث يتضمن فاعلية الأفراد وأدوارهم المؤثرة في العمليات الاجتماعية كالمنافسة والصراع والتعاون والتنافس والامتصاص الثقافي في جوانبه المادية والمعنوية ، وفي هدى الخبرة الإنسانية وما يحيط بها من أطر ثقافية لها خصائصها وملامحها المميزة .

ومن هذه المنطلقات جميعا ؛ فلعل السؤال الذي يطرح نفسه الآن هو : **ما مسؤوليات فكرنا التربوي في إحداث تغير ثقافي مستهدف ؟**

إن الإجابة على هذا السؤال ربما تتضح في الحدود التالية :

خامساً : مسؤوليات فكرنا التربوي في إحداث تغير ثقافي مستهدف

يمكننا إيجاز هذه المسؤوليات على النحو التالي :

(أ) تنقية الثقافة العربية من الشوائب :

ومن أمثلة هذه الشوائب التناقضات القائمة بين الفكر والواقع ، وشيوع

★ لبناء الشخصية .. درس في كتاب الله ★



اللفظية في كثير من جوانب واقعنا الاجتماعي ، والتبعية الثقافية ، وانتشار الخرافات الثقافية ، والسلبية في مواجهة مشكلات الأمية ، وتعليم الكبار وتثقيف المهنة وتمهين الثقافة ، وهذه وغيرها تحديات تعوق مسار مجتمعنا العربي نحو النمو والتطور والتغير الثقافي ؛ وهنا تبرز المسؤوليات الملقاة على عاتق فكرنا التربوي في مواجهة هذه السلبيات وأداته في ذلك ما يأتي :

(١) العمل على تحقيق وحدة الثقافة العربية وتماسكها في هدي الشريعة الإسلامية وأصولها من ناحية ، وفي ضوء روح العصر ومطالبه من ناحية أخرى ، والسعي نحو إعادة وتحليل المستخلصات والمعطيات الثقافية العربية ، وترشيدها بهدف الاطمئنان على نوعية محتوياتها وسمو أهدافها .

(٢) العمل على توصيل الخدمات الثقافية بمختلف فروعها إلى المواطن العربي والسعي إلى تعليم المجتمع كل المجتمع في إطار علمي مخطط ومدروس .

(٣) العمل على تنسيق عناصر الثقافة العربية ، وإيجاد صيغة للتفاعلات السوية بين هذه العناصر لدى المواطن العربي ، وهذا التنسيق يتضمن عمليات اختيار وانتقاء وحذف وإضافة ؛ كما يتضمن حلولا لمشكلات تواجه عناصر هذه الثقافة في تغيرها وتطورها ونموها .

(٤) العمل على تدعيم كل الوشائج القريبة بين أجهزة التثقيف وأوعية الإرشاد والتوجيه على نحو متكامل مترابط ، حتى يصبح التخطيط الثقافي أداة للتوازن الاجتماعي الدينامي .

(ب) **مواجهة سلبيات التعليم الحالية :**

ومن أمثلة هذه السلبيات القائمة في بعض قطاعات الوطن العربي الثنائية المصطنعة بين **التعليم العام والتعليم الفني** ، وغياب مبدأ تحقيق الفرص المتكافئة بينهما ، وغلبة التعليم العام على التعليم الفني ، وتخلف كثير من المناهج والمقررات الدراسية عن روح العصر ومطالبه ، والقصور في تقديم الخدمات التوجيهية اللازمة لبناء شخصية عربية متكاملة تتمتع بالصحة النفسية والاجتماعية والفكرية ، وعدم وجود فلسفة تربوية إسلامية واضحة المعالم متكاملة الأهداف حتى الآن .

ومن ثم فلا مناص من مواجهة هذه السلبيات في إطار علمي تشارك فيه كل الأجهزة والمؤسسات الفكرية الرسمية والشعبية للحد من هذه السلبيات والقضاء عليها وصولا إلى أهداف مجتمعنا العربي في النمو والتغير الثقافي المنشود .

(ج) **دعم أساليب التخطيط التربوي :**

فلازالت هذه الأساليب في بعض أجزاء الوطن العربي قاصرة عن تحقيق التوازن داخل التربية بين مراحل التعليم وفروعه ؛ بين الخدمات التعليمية في مناطق البلد العربي الواحد ؛ بين الذكور والإناث ؛ بين الكبار والصغار ؛ بين التعليم الرسمي والتعليم مدى الحياة ؛ بين الجانب الكمي والجانب الكيفي ؛ بين الحاجات والإمكانيات ؛ بين تكوين المواطن العربي لذاته ؛ وتكوينه من أجل مطالب مجتمعه ؛ ومن هنا فلا مناص من إعادة النظر في أساليب التخطيط التربوي الحالية وذلك في ضوء عدة اعتبارات رئيسية منها :

(١) النظر إلى التخطيط التربوي على أنه جزء لا يتجزأ من التخطيط الوطني الشامل .

(٢) اعتبار التربية توظيفاً مثمراً لرؤوس الأموال .

(٣) ضرورة مجاراة أساليب التخطيط للتقدم السريع في ميدان العلم والصناعة .



★ تعليم الكبار للتخلص من الأمية ★

وفي ضوء هذه الاعتبارات وغيرها ، فإننا نقترح الآتي لدعم أساليب التخطيط التربوي :

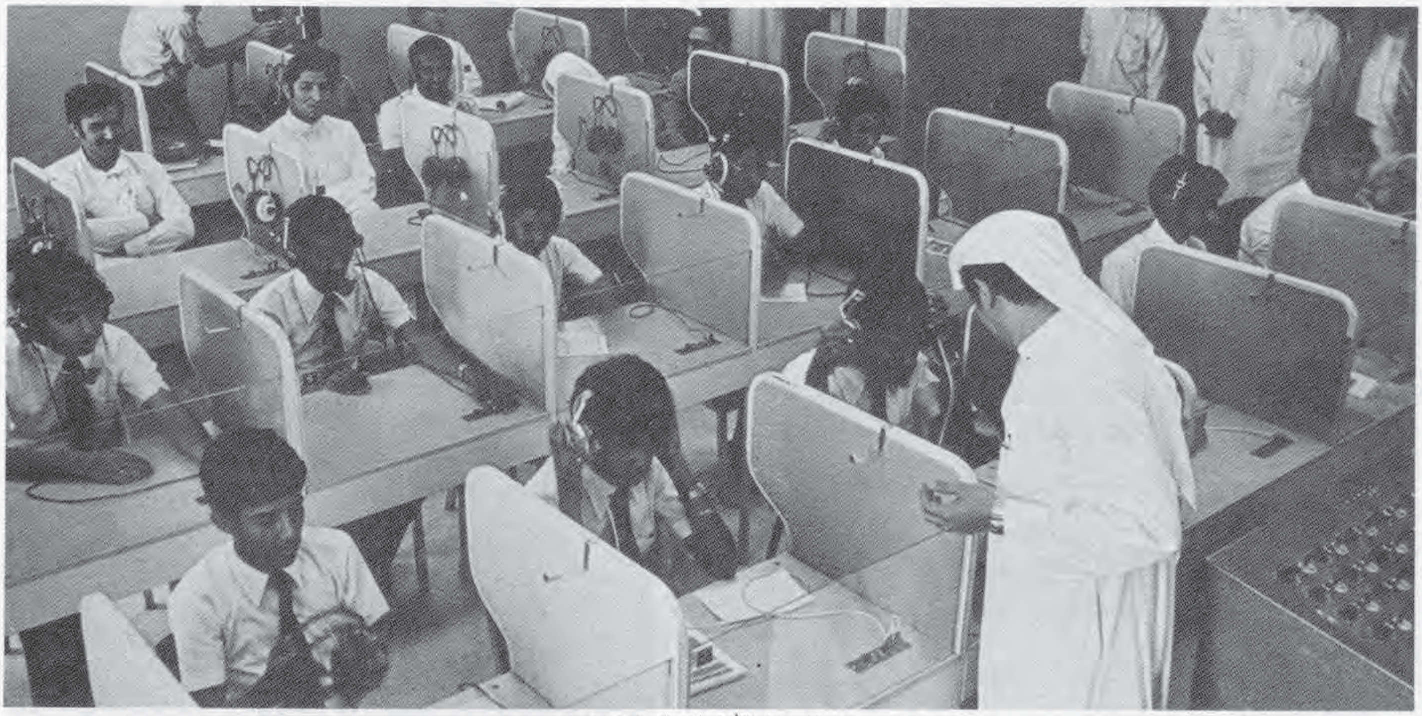
١ ـ يجب النظر إلى الصلة بين **التنمية التربوية والتنمية الاقتصادية** على أنها صلة دائرية وليست أفقية ، إذ من الخطأ القول إن التنمية التربوية علة التنمية الاقتصادية ، أو أن نقول إن التنمية الاقتصادية علة التنمية التربوية ، بل الصحيح أن بينهما صلة دائرية فهذه تؤثر في تلك ، وتخدم أغراضها وهذه تؤثر في تلك وتيسر غاياتها .

٢ ـ يجب الاستعانة في تقدير حاجات التربية بمنهجين مترابطين هما **منهج الطاقة العاملة والمنهج الثقافي** ؛ الأول ينطلق من تقديره للحاجات التعليمية خلال فترة زمنية محددة من حاجات الطاقة العاملة مبتدئاً بالنمو الاقتصادي ، ويبنى على أساسه خطط التربية بحيث يجعلها قادرة على أن توفر الأفراد الذين يملكون الكفاءات اللازمة على تحقيق ذلك ، والمنهج الثقافي قوامه حساب كمية التعليم اللازمة في بلد عربي واحد وخلال فترة زمنية محددة استناداً إلى معايير ثقافية عامة كالمعايير التي يفرضها عدد الذين سيدخلون التعليم في السنوات المقبلة ؛ تمليها الرغبة في تحقيق مقومات المواطنة العربية وغير ذلك من المعايير التي يمكن أن تكون التربية وسيلة لها .

٣ ـ يجب التسليم بأن التربية ليست كأي صناعة تقاس قيمتها بمقدار ما يبدو من آثارها المباشرة ، فهي عمل متواصل عميق وغوص في بنية الأفراد ، وتغيير في أصولها ، وهي بناء حضاري قلما نستطيع الإحاطة بثماره ، وقلما نستطيع ضبط مفاجآته وما فيه من قوى الفكر والإبداع .

ولعل هذا يستلزم بالضرورة وضع نظام للأولويات وإقامة وزن في التخطيط للآثار المباشرة وغير المباشرة للتعليم ، ووضع خطط متوازنة على هذا الأساس .

٤ ـ يجب أن تكون أساليب التخطيط مرنة وقابلة للتعديل والتطوير ، وتحديد أهداف بعيدة المدى وأخرى قريبة ؛ فهذه المرونة تساعد على تعديل الأولويات وفق ما يتبدى من عوامل جديدة ووضع أساليب لخطط متوسطة المدى أو قصيرة



★ الاستخدام الأمثل للوسائل التعليمية ★

المدى تشتق من خطط بعيدة المدى مما يساعد على تقريب أهداف الخطط البعيدة المدى من الواقع وعلى تصحيح أهدافها ، وبالتالي تصحيح أهداف الأولويات فيها عند وضع الخطط المتوسطة أو القصيرة الأجل .

٥ ـ يجب أن نعرف بدقة حدود الدراسات الاحصائية وأخطاءها ومزالقها وأن نسعف نتائج هذه الدراسات بالتحليل الفكري والتأويل المنطقي لنتبين صحيحها من زائفها ، ولا يجوز أن نسلم تسليما مطلقا بأن الأمور التي يعبر عنها بالرقم لابد وأن تتصف بدقة الرقم ، ومن الخطأ الكبير أن نؤخذ بسحر الرقم حتى نود خضوع كل شيء للرقم والحساب ، وأن كل ما يخضع للرقم والحساب دقيق وصحيح وما سواه باطل وفاسد .

(د) تحقيق النمو المهني للمعلم :

المعلم هو حجر الزاوية في العملية التربوية تلك العملية التي لا تصلح ولا يستقيم أمرها إلا إذا كانت القوى البشرية العاملة في ميادينها ذات كفاءات عالية مؤمنة برسالتها التربوية السامية ؛ لذلك لابد أن يتوافر في المعلم كل العناصر والمقومات التي تؤهله لحمل الرسالة من أمانة وعلم ومعرفة وخبرة وثقافة وتدريب ورغبة واعية في النمو الذاتي والمهني .

وإن ثمة مقترحات يمكن رصدها لتحقيق ذلك هي :

١ ـ وضع المواصفات اللازم توافرها في إعداد المعلم عامة ومعلم كل مرحلة على حدة ومعلم كل مادة والبحث عن أساليب نموه الذاتي والمهني .

٢ ـ وضع أساليب رفع مستوى أداء المعلم أثناء الخدمة وقبلها والطرق العلمية لتقويم أعماله .

٣ ـ وضع تخطيط عام للدراسات والبحوث التربوية التجديدية اللازمة لصقله ، والتي ترسم له طريق النمو الذاتي والنمو المهني .

٤ ـ وضع تخطيط عام لإيفاد المعلم الكفء إلى بعثات داخلية بكليات ومعاهد إعداد المعلمين ، وخارجية للإطلاع على أحدث الوسائل والطرق التربوية العصرية .

(هـ) ترقية المناهج والمقررات الدراسية لمواكبة روح العصر :

رغم إجماع جمهرة المربين على أن المناهج والمقررات الدراسية في كل مجتمع تكون انعكاساً صادقاً لتفكير الناس ومشاعرهم وأعمالهم ، ورغم أن الأهداف الوطنية لوطننا العربي لازالت معقودة على التعليم برغم ذلك كله ؛ فلازالت المناهج والمقررات الدراسية في بعض أجزاء وطننا العربي متخلفة عن روح العصر ومتطلباته ؛ لذلك فإننا نتقدم بالمقترحات التالية التي تستهدف المشاركة في ترقية هذه المناهج وذلك على النحو التالي :

(١) يجب أن تنبثق هذه المناهج والمقررات الدراسية من روح الشريعة الإسلامية وصيغها ومحدداتها وأساليبها وأهدافها ، على أن تتضمن المتغيرات التكنولوجية والثقافية والعلمية الحاصلة حولنا .

(٢) يجب أن تسعى هذه المناهج والمقررات الدراسية إلى إكساب التلاميذ والطلاب المهارات المنوعة التي تساعدهم على حسن التكيف مع من حولهم وما حولهم .

(٣) يجب أن يكون تخطيط المناهج في خطوط عريضة واسعة تسمح بقدر كاف من المرونة والنمو بحيث يمكن تعديلها وتطويرها وفقا للمتغيرات الثقافية المعاصرة .

(٤) يجب أن ترتكز المناهج والمقررات الدراسية على مقومات ثقافية ونفعية وتدريبية ؛ تستهدف الأولى تزويد النشء بالخبرات الثقافية المعاصرة ، وتستهدف الثانية توظيف هذه الخبرات في النهوض بواقع المجتمع العربي ، وتستهدف الثالثة تدريبهم على الأساليب العلمية في مواجهة المشكلات والمعوقات والتحديات التي قد يتعرضون لها في حياتهم الخاصة والعامة .

(و) تطوير طرق التدريس الحالية :

المواد الدراسية الآن لا تعطىٰ على صورة دراسات نظرية يعدها المعلم لكي يلقيها على التلاميذ في عدة دروس ؛ بل أصبحت هناك شروط أساسية للتدريس يجب أن يعد المعلم نفسه لها وأن يعمل على تحقيقها في كل درس حتى يشارك في تغيير مجتمعه نحو الأفضل ، ويمكن إجمال هذه الشروط على النحو التالي :



★ تنويع مجالات التعليم ★

١ ـ أن تتفق طريقة التدريس وقدرات التلاميذ وخصائص نموهم المتعددة الأوجه .

٢ ـ أن التدريس لم يعد عملية تلقين بل هو مناقشة وتفكير وتعليل واستنتاج لمشكلات ومسائل وموضوعات ، ومن ثم تكون موضوعات المنهج شركة بين المعلم وتلاميذه .

٣ ـ أن طريقة التدريس يجب أن تتضمن الظواهر وأسبابها ونتائجها ، وأن تدعم بالأمثلة والنماذج من البيئة المحلية وغيرها من البيئات .

٤ ـ يجب أن يصحب طريقة التدريس الممارسة والتطبيق فلا يقتصر على مجرد سرد الحقائق ، وبذلك نضمن فاعلية التلاميذ في الربط بين الفكر والتجربة ؛ بين الإدراك العقلي والإدراك الحسي ؛ بين النظر والتطبيق .

٥ ـ يجب أن تتسم طريقة التدريس بالمرونة والابتكار بحيث تمكن المعلم من الانطلاق والابتكار .

٦ ـ يجب أن تسمح طريقة التدريس للتلاميذ بالعمل الفردي والعمل الجمعي حتى يعتادون الاعتماد على أنفسهم من ناحية ، وبذل الجهد في صالح الجماعة من ناحية أخرى .

(ز) تحقيق الرعاية التربوية للنشء :

التلميذ هو المحور الأول والهدف الأخير من كل عمليات التربية والتعليم فمن أجله تنشأ المؤسسات التعليمية ، وتجهز بكافة الإمكانيات المادية والبشرية ، وهذه الإمكانيات لابد أن يكون لها عائد ؛ كما لابد أن تترجم إلى الإعداد السليم لكل ناشيء في المجتمع ، وذلك لتهيئة الحياة المنتجة المثمرة في مجتمع عربي متطور وطموح ، **ومن أجل هذا ؛ فإننا نتقدم بالمقترحات التالية لتحقيق الرعاية التربوية للنشء وذلك على النحو التالي :**

١ ـ يجب تحديد كثافة التلاميذ في الفصل حتى يستطيع المعلم مواصلة الاتصال بتلاميذه ، والتعرف على شخصياتهم ، والسعي إلى إنمائها ، ولذلك يجب على المخططين التربويين تحديد النسب المئوية في التلاميذ التي تقبل في كل مرحلة تعليمية ، وعدد الفصول اللازمة لهم ، وعدد المدارس التي تنشأ أو يتوسع في مبانيها وتوزيعها جغرافياً بحسب كثافة السكان ودرجة الإقبال على التعليم .

٢ ـ يجب عمل دراسات وبحوث تربوية تتضمن عوامل صحة التلاميذ وخصائص نموهم والمشكلات النفسية والاجتماعية والتربوية الشائعة في كل مرحلة وأساليب مواجهتها والحد منها .

٣ ـ يجب إنشاء وحدات للتوجيه التربوي والإرشاد النفسي في كل إدارة تعليمية لتقديم الخدمات التوجيهية اللازمة للتلاميذ سواء أكانت وقائية أو علاجية أو إنشائية .

٤ ـ يجب توثيق الصلة بين البيت والمؤسسات التعليمية في صورة دعم مجالس الآباء في إطار علمي مخطط ومدروس .

٥ ـ يجب تدعيم الخدمات الفردية والجماعية والمجتمعية للنشء عن طريق اكتشاف قدراتهم وتنميتها إلى أقصى حد ممكن وتدريبهم على ممارسة الولاء للجماعة والانتماء إليها والشعور بالمسؤولية ، والقدرة على المشاركة في العمل الجمعي وما يتضمنه من تعاون وترابط وتكامل .

٦ ـ يجب العمل على اكتشاف المتفوقين من النشء منذ مرحلة الطفولة المبكرة ، ودعم هذا التفوق وتنميته ومتابعته باعتبار أن المتفوقين والموهوبين ثروة بشرية يمكن أن تشارك في تحديث وتعصير واقعنا العربي وفي الوقت ذاته يجب تحليل أسباب التخلف الدراسي والعقلي ، ورسم الخطط التربوية لمواجهته والحد منه .. والله الموفق .

المــراجــع

1 – International Encyclopedia of the Social Sciences - Vol XIV ed David L; Sills Macmillan, N.Y. 1968; P. 307.

2 – Hoult, T. F. - Dictionary of Modern Sociology; Little Field, Adams and Co. Torowa, N. Jersey; 1964; P. 57.

3 – Bottomore, T. B. - Sociology - A Guide to Problems and Literature, Unwin University Books, London, 1965; P. 275.

(٤) د . أحمد أبو زيد ـ البناء الاجتماعي ـ مدخل لدراسة المجتمع ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٦ م ص ٢٨١ .

5 – Parsons, T. - Talcot Parsons and Sociology - By Nelson and Sons, London; 1974; PP. 67-68.

6 – Rogers, E. - Social Change in Rural Society - Appleton Century Crofts, N.Y. 1960; PP. 397-399.

7 – Sorokin, P. - Contemporary Sociological Theories - Harper and Brothers, N.Y. 1928; PP. 101-102.

8 – Margret Mead - Cultural Patterns and Technical Change - The American Library of World Literature, N.Y. 1955; P. 120.

9 – Warren S. Thompson and Evangelyn, D. - Population Problems, 4th ed. Mc-Graw Hill; N.Y; 1953; P. 273.

10 – George, G. and Wilbert E. M. - Twentieth Century Sociology; The Philosophical Library; Part 1; 1945; P. 117.

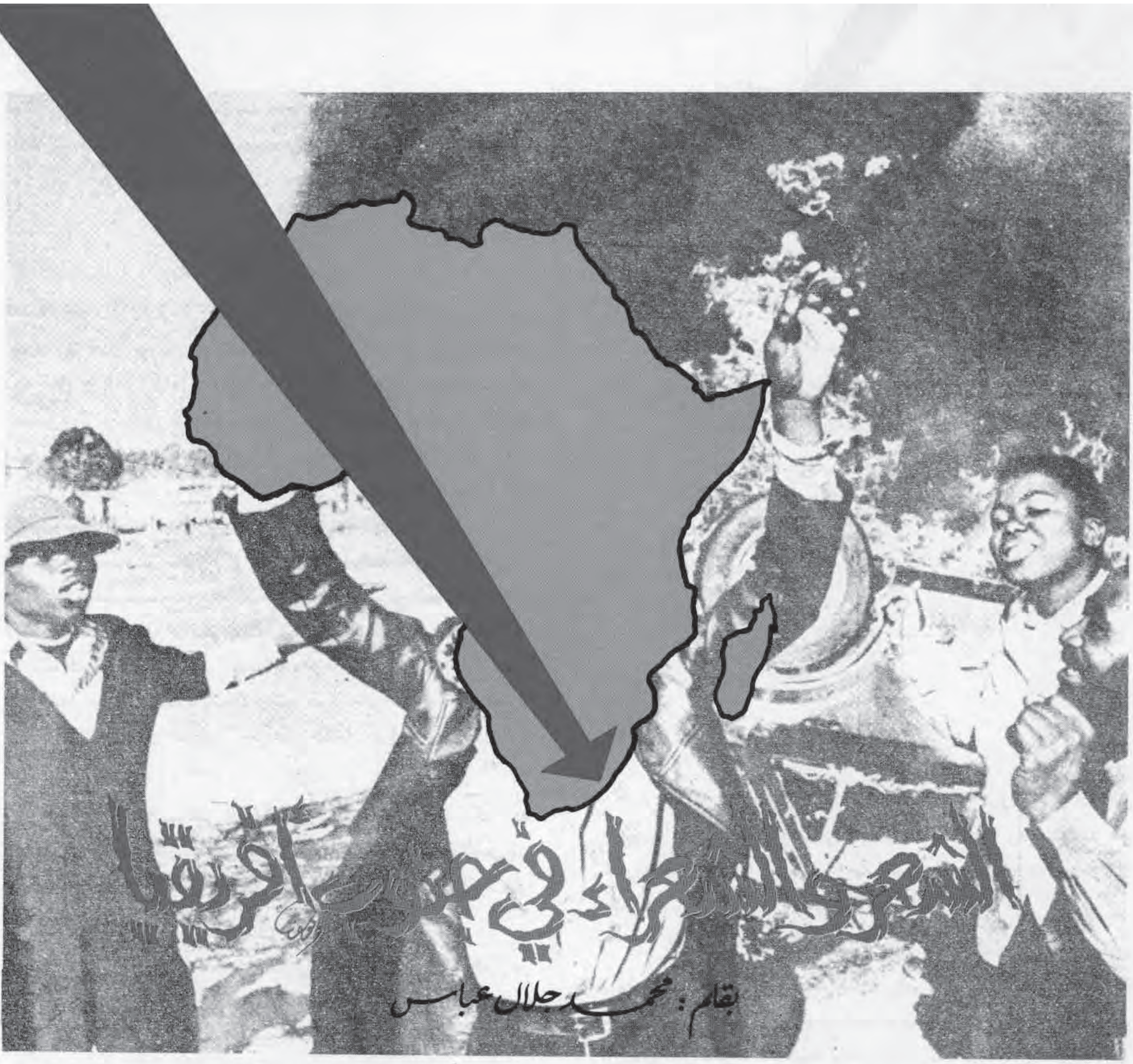
11 – Bottomore, T. B. - Op. Cit; P. 269.

12 – Kinball Young and Raymoud W. - Principles of Sociolgy - American Book; Co. N.Y. 1960; PP. 79-82.

13 – Sorkin, P. - Social and Cultural Dynamics - Porter Sargent, Boston; 1957; PP. 18-19.

14 – Max Weber; Essays in Sociology Trans by Girth and Mills - Sharles Scribner and Sons, N.Y. 1952; P. 243.

15 – Howard B. - Historical Sociology in Contemporary Social Theory ed by Barnes and Others - Appleton Century; N.Y. 1940; P. 499.



الشعر والشعراء في جنوب أفريقيا

بقلم : محمد جلال عباس

جدير بنا ونحن نرقب ونتابع الأحداث الدامية في جنوب أفريقيا أن نتعرف على وضع الصفوة المثقفة من أبناء ذلك البلد الذين يشاركون في الكفاح من أجل تحقيق الحرية والمساواة ويناضلون ضد حكومة الأقلية العنصرية البيضاء التي اغتصبت الحكم وأصابها جنون التعالي وغمرتها خرافة تفوق الجنس الأبيض ، فراحت تفرض سياسة الفصل العنصري بكل ما أمكنها من وسائل القمع والقهر ، ومن بين هذه الصفوة المثقفة شعراء ظهروا في ظل تلك الظروف ليعبروا عنها ، وليشاركوا مع أقرانهم السود في جنوب أفريقيا النضال ضد تلك السياسة الغاشمة .

حينما نتعرض للشعر والشعراء في جنوب أفريقيا نجد أنفسنا أمام لون من الأدب جديد على تلك البلاد . حقا لقد وجد هناك نوع من الأغاني التي تنشد في المناسبات الاجتماعية والاقتصادية مثل حفلات الزواج وأعياد البذر والحصاد والخروج للصيد ، وأخرى تغنى في المناسبات الدينية الخاصة بهم . كما وجد بعد دخول المنصرين في صحبة الاستعمار أو في أعقابه أو قبله بعض التراتيل الكنسية . ولكن كل ذلك لم يكن من قبيل الشعر الذي يقرأ على مستوى عالمي ، فقد كانت كل تلك الأغاني والأناشيد والتراتيل بلغات محلية ، ولا يعرف قائلها ، فهي تراث موروث بخلاف الشعر الذي يبدعه شعراء من منطلق حسهم ومعارفهم وانفعالاتهم .

ولئن كان أدب السود والملونين في جنوب أفريقيا حديث العهد يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فإن الشعر بالذات يعد أحدث فنون الأدب هناك فلم يظهر الشعر بمفهومه الحديث إلا بعد سنوات قليلة من انتهاء الحرب العالمية الثانية ، كما





★ نلسون مانديلا ★

أنه لم يزدهر كفن من فنون الأدب ويجد له مكاناً بينها إلا في منتصف العقد السابع حينما ظهر من بين السود والملونين من أسمعوا أصواتهم شعراً بلغ آفاق العالم كما سنرى .

أساليب الشعراء

ولقد كان الشعر في جنوب أفريقيا وليد الحركة السياسية التي ماجت بها البلاد ودخل مع المقال والقصة كأداة من أدوات النضال من أجل إزالة الحاجز اللوني ، والقضاء على سياسة الفصل العنصري ، وتحقيق المساواة بين جميع عناصر السكان . ثم أخذ الشعر يحتل مكانة مرموقة بين فنون الأدب نتيجة لطبيعته المميزة . ففي ظل ظروف مثل ظروف جنوب أفريقيا حيث حددت الحكومة لنفسها أكثر من مائة حالة وحالة تعد خروجاً على القانون وتستخدم كذريعة لمصادرة أي كتاب أو منع أي مطبوع أو منشور ، وإسكات صوت أي كاتب ، وصب الاضطهاد على أي صاحب رأي مخالف لرأي الحكومة . فكان لابد من اختيار وسيلة أو أسلوب يلجأ إليه أصحاب الرأي والفكر للهروب من تلك الذرائع فاتجهوا إلى الأحجيات والرموز والسخرية والتهكم الذي كان الشعر مجالاً لها حيث يضمنون شعرهم المعاني التي يستطيع القارئ أن يتفهمها من خلال السطور ومن بين الكلمات والعبارات فيخرجون بذلك من مأزق القهر والقمع .

ولئن كانت الأساليب التي اتبعها الشعراء في داخل البلاد تنحو نحو الرمزية والغموض فإن الشعراء الذين فروا من الاضطهاد والقهر إلى خارج البلاد كانوا ينظمون الشعر متضمناً آراء واضحة وفكراً جلياً ويدخلون مباشرة إلى المعاني دون رموز أو تحايلات .

ولقد ظهر في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات عدد قليل من الشعراء امتاز شعرهم بالرومانسية في التعبير عن المعاناة من الأوضاع والتشاؤمية والشعور بالإحباط ، ومن أمثلة هؤلاء الشاعر **آرثر نورتجي** (Arther Nortje) الذي يمثل معاناة الملونين من لونهم الذي حرمهم من تطلعاتهم في حياة مماثلة لحياة البيض ، ولذلك كانت النظرة التشاؤمية ظاهرة واضحة في معظم أشعاره التي نورد المثال التالي منها :

المطر يضرب في الزجاج بشدة
يرتطم بالحوائط غاضبا
لأني بالداخل لا أملك نور الشماليين
أبصق على نفسي
فبشرتي فيها غش ظاهر
وتقاطيعي قبيحة
ومن حولي اظلام وأطلال
وأبنية ضخمة تهدمت
وخرائب وحطام الغارات

ويختلف الشعراء السود عن ذلك تماماً فمن نفس الجيل نجد الشاعر **بلوك موديسين** (Bloke Modisaine) يجمع في شعره بين أسلوب الصرخة الذي لا يخلو من احتجاج والتعبير عن المعاناة ، وإن كان مثل سابقه ينحو نحو التشاؤمية مثل قوله :

أخاطب نفسي وأنا اكتب
أصرخ في داخلي وأصيح
وفي نفسي أصرخ وأصيح
بأعلى أصوات الصلوات
ضجيج وصراخ
ليسمع العالم قولي
عن حياة ليس فيها حياة
بل صراخ دائم وعويل

أعلام في الشعر

ومن هذا الرعيل الأول شعراء آخرون مثل **موزيزي كونين** (Muzizi Kunene) **ووليام كيجوستسيلي** (William Kgastsili) ومن أعقبهم من شعراء أحدث عهد أو أصغر سن مثل **تيموثي هولمز** (Timothy Holms) **وشونارا** (I. Chonara) **ودرايفر** (Driver) وغيرهم .

على أن أهم وأشهر شعراء هذا الجيل الأول الشاعر **دنيس بروتس** (Dennis Brutus) فهو أغزرهم إنتاجاً وأكثرهم ارتباطاً والتزاماً بقضية الوطن رغم وجوده في المهجر منذ عام ١٩٦٤ م . ومشاركة **دنيس بروتس** في الحركة الوطنية ليست كمشاركة أقرانه من نفس الجيل تقتصر على مجرد الشعر ، بل إن له أنشطة سياسية أخرى . فهو منذ بداية حياته العملية مشارك في **منظمة شباب المؤتمر الوطني الإفريقي** مع الزعيم **نيلسون مانديلا** ، وكان يحضر كل الاجتماعات السياسية للمؤتمر **في بورت إليزابيث** ، وصدر ضده حكم بالسجن لمدة سنتين بعد حوادث الاضراب التي اجتاحت البلاد عام ١٩٦١ م . وكان أهمها إضراب **شاربفيل** .

الاضراب .. والشرارة

ويعد اضراب **شاربفيل** علامة في تاريخ النضال في جنوب أفريقيا فقد قرر المواطنون السود أن يعبروا تعبيراً سلمياً عن احتجاجهم على **نظام تصاريح المرور** الذي فرضته الحكومة على السود ، فخرجوا في تجمعات كبيرة لا يحملون التصاريح واتجهوا إلى أقسام الشرطة يسلمون أنفسهم ، فما كان من سلطة الحكم العنصري إلا أن أصيبت بعصاب هستيري إزاء الصمت الهادر الذي تحركت به جماهير السود فاطلقوا

على تلك الجموع المتحركة في صمت النيران ، وانقضت عليهم الطائرات ترشهم بالرصاص فقتلت المئات وجرح الآلاف .

وكما كان هذا الحدث منطلقاً للحركة الوطنية ومثيراً للاهتمام العالمي فإن تأثيره على الأدب في جنوب أفريقيا كان بالغاً ، إذ دفع الكثيرين إلى الكتابة التي أغضبت الحكومة ، فكان الأدباء من بين الذين شملتهم حملة الاعتقالات الكبيرة . وكان من بين المعتقلين الشاعر **دنيس بروتس** .

وقال **بروتس** وهو في لندن عام ١٩٦٩ م في مؤتمر لدراسة أدب الاحتجاج في أفريقيا : « **بعد خروجي من السجن حددت إقامتي وحرمت عليَّ أشياء كثيرة إذ منعت من مقابلة الناس إلا بإذن وتحت سمع ونظر الشرطة ، وحرمت عليَّ الكتابة ـ كتابة أي شيء قابل للنشر ـ وحرم عليَّ حضور أي اجتماعات فوجدت نفسي في سجن كبير مما دفعني إلى الهرب بالاغتراب ، وهذه ليست حالتي وحدي ولكنها حالة معظم الكتاب الأحرار** .

وعاش **بروتس** بين لندن وباريس يشارك في النشاط السياسي المضاد للعنصرية فانتخب رئيساً للجنة المطالبة بالافراج عن الزعماء السياسيين . ولجنة محاربة الفصل العنصري في باريس وإلى جانب ذلك أسهم بشعره الذي أخذ ينشره في الصحف والمجلات ، ويصدره في مجموعات شعرية وكان هذا الشعر صوتاً للشعب المكافح مليئاً بالاحتجاج ، وتميز أيضا بأنه كان مليئا بالأمل ، فضلا عن الرسالة أو البرقية التي كانت تنبعث من خلال شعره إلى بني وطنه . ومن أشهر قصائده التي كتبها بعد **شاربفيل** ويبين فيها اتجاهه قصيدة بعنوان « **فوق كومة الدبال** » منها :

نريد الكشف عن أنفسنا
فالأمور لا تحتمل جدالاً
أجسامنا داستها أحذية العساكر
وأرواحنا سحقتها الأقدام
استحالت جميعها إلى مزيج
مختلط من عرق ودموع ودماء
تفتحي ياشفاه بالمفاجأة
اطلقي شرارات اللعنة
ولنركّب السنان لحراب شاربفيل
ونحملها للانتقام
ولترتفع أصواتنا عالية
بالفخر مسموعة
لترتفع ضارعة بلا كلمات
شاكرة حامدة للشفاء
بالأمل الذي أتى
مثل شمس تسطع على الحصوات
بعد أن بللها المطر .

ويمكن القول بأن هذا الرعيل الأول من شعراء جنوب أفريقيا الذين بدأوا في أوائل الخمسينيات وبرزوا في الستينيات وازدهروا في السبعينيات هم جيل الاحتجاجيين أو **جيل شاربفيل** التي كانت أحداثها علامة على طريق النضال بالاحتجاج في تلك الفترة من تاريخ جنوب أفريقيا .

جيـل النضـاليين

أما الجيل الذي أتى بعدهم فقد بدأوا حياتهم الأدبية في أواخر الستينيات وبرزوا في السبعينيات ، وعاصروا التحول الكبير في مسيرة النضال من مرحلة الاحتجاج إلى مرحلة الكفاح الشامل الذي تعد **حوادث سويتو** عام ١٩٧٦ م علامة مميزة له ويمكن أن نطلق على هذا الجيل جيل النضاليين أو **جيل سويتو** .

ولئن كان شعراء **جيل شاربفيل** محدودي العدد يعدون على أصابع اليدين فإن شعراء **جيل سويتو** كثيرون يعدون بالعشرات باستثناء من لم يعرف منهم ممن مازالوا يعيشون في الخفاء في داخل أحياء السود يستخدمون مواهبهم الشعرية كأحد أسلحة النضال ووسائله وهم يعدون بالمئات .

ويمتاز شعراء **جيل سويتو** بأنهم عاشوا في ظل ظروف أقسى من الظروف التي عاشها **جيل شاربفيل** ولذلك فهم من البداية يعبرون عن ظروفهم وفي نفس الوقت يعبرون عن الأمل والإصرار على النصر الذي يظهر واضحا في قصيدة طويلة من القصائد التي تسربت من داخل البلاد لشاعر من شباب منظمة « **امكنتو دي سيزوا** » وهي الجناح العسكري للمؤتمر الوطني الأفريقي هو الشاعر **فريدي ريدي** . ففي هذه القصيدة بعنوان « **درب الحرية** » يقول :

طويل درب الحرية طويل
لا تتعجله ياأخي
إني أعرف ما في قلبك
غضب متفجر
وأعرف ما في عقلك
شعلة نار
تتأجج بحرارة الثأر الدفين

ويصف الاصرار والعزم اللذين يملأن روح الإنسان في جنوب أفريقيا للكفاح ضد الفصل العنصري ويخفف من أثر المآسي والآلام التي تمر بالمناضلين وبالشعب كله ، وثم يختم قصيدته بالتعبير عن الإصرار والأمل :

كثيرون قبلنا ساروا في الطريق
بأقدام ثابتة
تركوا دماءهم أثر الخطوات
تهتدي بها
في الدرب الطويل الطويل
كثيرون بعدنا سوف يسيرون
في هذا الدرب الشاق الطويل

شاق وطويل
لكن نهايته الحرية .

تصوير المعاناة في السجون

المعاناة والظروف السيئة التي يعيش فيها السود في جنوب أفريقيا تعد من الأغراض الشائعة التي تناولها شعر المناضلين فمن قصائد الشاعر الشاب **مونجاني وايلي سيروتي** (Mongani Wally Seroty) عن الوحشة التي يعيش فيها الناس قصيدة بعنوان « **نظرة إلى ماحدث** » نورد منها الأبيات التالية :

ماذا حدث ؟
فوق البيوت دخان وتراب
وجوارح تأكل من فضلات
في صمت يثير سؤال
هل بها سكان ؟
والسؤال يجر السؤال
هل السكان أحياء ؟
....
أريد أن أعرف ماحدث
وما أتى بهذا الصمت
المخيم على البيوت وعلى الناس
لكن العين تخبرك بشيء حدث
والبيوت أصبحت سجونا
والسجون بيوتا
والموت يعد المرض ضرورة
والذهاب إلى السجن ضرورة
هذا ما قد حدث

ولعل **سيروتي** قد أراد بذكر السجون الإشارة إلى شيئين : أولهما امتلاء السجون بالمناضلين والثاني تصوير الحياة في داخل المعازل بالمدن أو **البانتوستانات** (أوطان البانتو) بأنها خالية من الحياة كحياة السجون ، فقد أصبحت البيوت سجوناً لا يخرج منها الناس إلا بتصاريح المرور .

ومن منطلق المعاناة في داخل المعازل الأفريقية التي يفرض على السود عدم مغادرتها يصف الشاعر الشاب **انجايولو انديبيلي** (Njalulu Ndebele) لياليه في قصيدة على ضوء شمعة :

في ظلمة الليل البهيم
عيون تحدق في الكلمات
خلال الضوء الخافت
تستخرج الدماء
من عمق الكلمات
تنشب المخالب
في لحم الكلمات



فتسيل الدماء
وأخوض في مستنقع الضياء
باحثاً عن نور آخر
نوري أنا .

ومن منبع الفقر الذي يسود كثيراً من المجتمعات خاصة بعد أن كان للجفاف تأثير على المجاعة التي اجتاحت البلاد في أواخر السبعينيات يصور الشاعر الشهير **أوزوالد امبويسيني امتشالي** شبح الجوع :

الضلوع تبين في صدره اللاهث
وعظام ناتئة نحتتها يد الجوع
في صدره بأزميلها الحاد
بعينيه البراقتين يحدق
في الفضاء
فلا يرى إلا رغيفاً معلقاً
في السماء
★ ★ ★
جلد شاحب مشدود
كقفاز على يد طبيب
لسان يندفع خارج الفم
ويدخل كلسان الحرباء
يصطاد ما يقترب من الذباب
★ ★ ★
آه يابني
بطنك كعرين أسود
لا تكف عن الزئير
ليل نهار .

القضية الرئيسية

ولئن كانت الشكوى والمعاناة كثيرة في أشعار جيل الشباب من الشعراء إلا أنهم دائما يدورون حول القضية الرئيسية لجنوب أفريقيا وهي قضية العنصرية . ولئن كان هناك تعبير عن الأسى والألم ، والمعاناة فإنه يأتي دائما من واقع الظروف التي يعيشها السود في جنوب أفريقيا ولذلك نجد معظم القصائد التي يبدعها الشعراء في جنوب أفريقيا ترتبط فيها الأغراض الوجدانية بالمنظور السياسي .

وحتى حينما يتناولون موضوعات وجدانية أو عاطفية أو اجتماعية

صرفة فإن أشعارهم لا تخلو من ذكر جانب من جوانب المشكلة السياسية التي تطغى على كل مناحي الحياة أو قد يعودون إليها في نهايات قصائدهم كأنما يقولون إننا لاننسى أن بلادنا وشعوبنا تعيش مشكلة سياسية طاغية .

ونضرب على ذلك مثالا قصيدة الشاعر ، **أوزوالد اميويسيني امتشالي** بعنوان « **طفل على أرجوحة** » فبعد وصف الطفل على الأرجوحة والتعبير عن تلك السعادة البالغة يعود **امتشالي** في نهاية القصيدة فيقول :

فجأة يصيح من على الأرجوحة
أماه .. من أين جئت ؟
متى ألبس السروال ؟
متى أكبر وألبس السروال الطويل ؟
أماه .. أين أبي ؟
لماذا لا يجيء ؟
لماذا هو مسجون ؟

وبالمثل نجد شاعراً آخر من شباب المؤتمر الوطني الأفريقي يرثى **مولوداً ميتاً** ، فبعد التعبير عن مشاعر الأسى والحزن على فقده بعد أن كان مليئاً بالأمل في مجيئه ينتهي في قصيدته بالمقطوعة التالية :

إنك لم تحيا الآلام
إنك لم تعش الأفراح
إنك لم تحس الجراح
ليست خطتي
وليست غلطتي
أن رأسك لن تقف صلبة
تصد عصى الشرطة
وهي تضرب عليها بقوة
ليقول لك
إنك لست مواطناً
في سجن هذه الأرض .

من هذا العرض الموجز لشعراء جنوب أفريقيا وبعض شعرهم يتبين لنا أن نشأة الشعر وتطوره في جنوب أفريقيا يرتبط بالظروف السياسية التي تعيشها تلك البلاد في ظل الفصل العنصري ، وفي ظل القمع والعدوان الذي تمارسه حكومة الأقلية العنصرية البيضاء . وكما ذكرنا لجأ الشعراء إما إلى المخابيء يكتبون منها شعرهم في داخل البلاد حيث يتداوله القراء في مخطوطات فإذا انتهت إلى يد الشرطة فإن مصير الشاعر وقرائه جميعا إلى السجون ، أو يكتبون من مهجرهم في خارج البلاد شعراً يؤدي رسالة مزدوجة جانب منها خطاب للعالم والجانب الآخر يتسرب إلى الوطن حاملاً رسالة الكلمة المنظومة إلى الشعب المناضل .

وإن وجود الشعراء في المهجر لم يؤد بهم إلى نسيان قضيتهم بل إنهم يعيشون في مهجرهم بكل وجداناتهم وعواطفهم موجهة نحو وطنهم وقضية شعوبهم . وهذا ما عبر عنه الشاعر **شونارا** (I Choonara) في قصيدته « **رسالة إلى أمي** » :

لا تسأليني أماه
لماذا أنا هنا ؟
فالسؤال لا إجابة له
لأنني لا أميز بين شمال وجنوب
....
أذكر أخي فريد الذي مات
وأخي بيل الذي قتل فوق التل
وكثيرون آخرون أنت تعرفين
قتلوا وماتوا في النضال
ونحن نمضي سائرون
ندافع عن مبادئنا
التي نراها بوضوح .
....
إني في طريقي إليك ياأماه
....
لا تخافي ياأماه
إننا في إصرارنا مصممون
دفاعاً عن مبدأ عظيم
وإن كنا هنا بعيدون
عن مثلنا الأعلى
إلا أننا من الأمل مقربون

بعض المراجع

●● أولاً : دراسات في الأدب الأفريقي وكتب عامة تناولت الأدب الأفريقي

– Claude Wauthier, The Diterature and thought of Modern Africa, Asurvey, London, 1964

– Ezekiel Mphalele, The African Image, Newyork, 1972

– Cosmo Pieterse & Donald Munro, (editors); Protest and Conflict in African Diterature, Ibadan, 1969

– بحوث المؤتمر المنعقد في لندن ١٩٦٩ م .

●● ثانياً : مجموعات شعرية

– Ronald Segal; (editor), Modern Poetry from Africa Penguin Books, 1976.

– Cosmo Pieterse (Collection) , Seven South African Poets London 1979

– Robert Royston; Black Poets in South Africa, Ibadan, 1973

●● ثالثاً : مقالات وأشعار منشورة في مجلات

في مجلة درام الأسبوعية Drum

ومجلة سيشاب Sechabh

المجلة الشهرية التي يصدرها مكتب حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في لندن

ملاحظة :

أقوال الشاعر دنيس بروتس نقلا عن بحثه المقدم في المؤتمر بلندن ومنشور ضمن بحوث المؤتمر تحت عنوان Protest Against Apartheid انظر Cosmo Pieterse ص ٩٣ إلى ١٠١ .

نوادي الاستماع والمشاهدة

ودورها في تكامل أساليب الاتصال لخدمة التنمية الشاملة

بقلم : د. محمد معوض

لقد أصبح تكامل دور أساليب الاتصال الإعلامي على اختلاف أنواعها ـ سواء كانت مطبوعة (مقروءة) أو مسموعة أو مسموعة مرئية ـ بالاتصال المواجهي أو التأثير الشخصي الذي يتم على أساس من التفاعل والمواجهة ، والاحتكاك المباشر ، ضرورة حتمية لتحقيق متطلبات التنمية الشاملة والمستهدفة .

وتشير العديد من البحوث والدراسات الإعلامية إلى صعوبة تحقيق التأثير الاتصالي المستهدفة لخدمة مجالات التنمية بدون التكامل بينهما ، وأن مشكلة الإعلام الرئيسية والهامة في كثير من المجتمعات التي تنشد التنمية تنحصر في ضرورة ربط نظام الإعلام الحديث فيها بنظام وأساليب الاتصال التقليدي أو المباشر .

ويشمل **الاتصال الشخصي** أي اتصال فرد بآخر ، أو بمجموعة محدودة من الأشخاص ، كما يحدث في الجماعات الأولية الصغيرة ، كالأسرة والعائلة التي ينتمي إليها الفرد ، والأصدقاء والتي تنشأ فيما بينهم علاقات شخصية حميمة ، وكذا **الاتصال الجمعي** ، ويعني اتصال فرد أو عدة أفراد بمجموعة كبيرة من الأفراد ، كما يحدث في الجماعات الثانوية ، والتي ينتمي إليها الفرد أيضاً ، والتي تنشأ لتحقيق أهداف معينة ، كالأحزاب والجماعات والمؤسسات والشركات والنقابات والأندية ، ومن أشكاله الاجتماعات واللقاءات والندوات والمؤتمرات والاحتفالات في الأعياد أو المناسبات الهامة وحلقات النقاش ، وفيها يتحدثون ويتناقشون ويتبادلون الرأي والمشورة ، ويختلف الاتصال المباشر الشخصي أو المواجهي عن الاتصال الإعلامي بالتفاعل بين كل من المتحدث والمتلقي في اتجاه مزدوج two wags communication ، فيه أسلوب الأخذ والرد ، لمحاولة فهم واستيعاب الأفكار أو المشاعر أو المعلومات ، وهي ميزة كبرى تفتقدها وسائل الإعلام ، التي توجه إلى مجموعات ضخمة Mass ، وغير متجانسة من الجمهور ، وتحاول مؤسسات الإعلام تعويضها عن طريق دراسات الجمهور ، فيما يعرف ببحوث قراء الصحف أو المجلات ، وكذا بحوث المستمعين والمشاهدين لبرامج الإذاعة والتلفزيون .. إلخ[1] .

الفكرة وأهميتها

● بدأت التجربة في **كندا** في عام **١٩٤١** ميلادية ، حيث أطلق عليها **منتدى المزرعة الإذاعي** Radio Forum ، حيث يجمع أهالي الريف حول المذياع ، يستمعون إلى برامجه ، ثم يناقشونها ، ويربطون بينها وبين مشكلاتهم ، ثم

نقلت **فرنسا** هذه التجربة عن كندا ، وطورتها وأطلقت عليها Tele-clubs ، وهي عبارة عن نوادي تضم جماعات تلتقي حول التلفزيون لتشاهد برامجه ، وتناقشها . وعند تقييم هذه النوادي تبين أنها تنقل المعلومات إلى الأعضاء ، وتساعد على تغيير اتجاهاتهم بالصورة المرجوة ، كما ثبت أنها أكثر فاعلية ، حيث كانت الموضوعات منتقاة على أساس تخطيطها بالتعاون مع المشاهدين[٢] .

وتقوم فكرة نوادي الاستماع والمشاهدة على الربط بين دور وسائل الإعلام الإلكترونية (الراديو والتلفاز) من جهة ، ودور الاتصال المباشر والتأثير الشخصي من جهة أخرى ، ويتميز كل منهما بمميزات وخصائص محددة أشارت إليها بحوث ودراسات كثيرة ، من أهمها في هذا المجال أن الإذاعة والتلفاز يتفوقان من حيث قدرتهما على إعطاء المعلومات ، وإشاعة المعرفة ، بينما تمتاز أساليب الاتصال الشخصي بقدرتها على الإقناع وبلورة التعبير ، وبالتالي يتفاعل الاتصال الإعلامي والمواجهي أو الشخصي بطريقة تغذي كل منهما الآخر ، ويكمل كل منهما الآخر ، وبذلك يمكن للاتصال بشقيه الإعلامي والمباشر ، أن يكون قوة دافعة للبناء والتحضر والتنمية والتقدم[٣]

في اليابان

ولأهمية هذه النوادي أخذت **اليابان**

فكرتها عن فرنسا ، وطورتها ، وجذب التلفزيون أعداداً كبيرة من المشاهدين ، وتحولت النوادي إلى مراكز للخدمة الاجتماعية ، وذكر تقرير تقييمها أنه على الرغم من حلول الشتاء القارس البرودة ، إلا أن أعضاءها شيوخاً وشباناً ، رجالا ونساء أقبلوا على النوادي مساء كل خميس ، وبدأوا يهتمون بموضوعات أكثر جدية ، وأهمية ، فضلاً عن إحساسهم بالرضا عقب التعبير عن آرائهم وأفكارهم ووجهات نظرهم في الموضوعات المطروحة[٤] .

وفي الهند

أدى الجمع بين وسائل الإعلام الحديثة ووسائل الاتصال التقليدية إلى نتائج طيبة .

فالمغنون والمنشدون ، الذين يجولون في القرى ، ويقدمون القصص والروايات والأخبار كان لهم دورهم الواضح وهم ينشدون الأخبار ويسردون القصص والمعلومات . ويذهب خبير الاتصال الهندي **رانجات** إلى أن رجل الإعلام الهندي يملك الخبرة الفنية التي تمكنه من الحصول على أفضل النتائج عن طريق الاتصال التقليدي بأقل جهد ممكن ، حيث تمده التجربة بوعي جديد عن الإمكانات الهائلة للوسائل المحلية في استنباط وسائل اتصال شديدة الجاذبية والإقناع[٥] . ومن المعروف أن الهند بدأت بتطبيق أندية الاستماع في مائة وخمسين قرية هندية ، باعتبارها تجربة رائدة ، ولدراسة مدى نجاحها بالنسبة إلى عشرين برنامجاً إذاعياً كانت تذاع بلغة واحدة ،

وبعد نجاح التجربة اتسعت أندية الاستماع لتشمل **٣٥٠٠** قرية ، حتى أن كل خطة من الخطط الخمسية للهند تتضمن إقامة **٥٠٠٠** نادي . ومن جهة أخرى لاحظنا أن الهند تميزت في هذا المجال دون غيرها من الدول بتخصيص أندية للاستماع النسائي بلغ عددها (**١٤٠٠**) نادٍ ونحو **٢٠٠٠** نادٍ للأطفال ولسبب نجاح أندية الاستماع في الهند نجد الحكومة تدعمها حيث تقدم لها المعونات اللازمة ، فتدفع لكل نادٍ ما يعادل ثلاثة أرباع نفقاته ، وتترك للقرية تغطية ربع النفقات ، حتى انتشرت أجهزة الاستماع الجماعي في أكثر من مائة ألف قرية ، بالإضافة إلى الأجهزة التي يملكها الهنود ، وما لبثت هذه التجارب الناجحة فيها أن لفتت الأنظار ، وانتقلت من الطور الإذاعي إلى الطور التلفزيوني[٦] .

ويرى كبار رجال الدعاية وعلماء الاجتماع أن استخدام عدة وسائل إعلامية علاوة على الاتصال الشخصي العادي أو الرسمي له فاعلية أكبر في عملية الإقناع ، **ولهذا ففكرة هذه النوادي تقوم على حقيقة بسيطة يمكن إيجازها في أن الفرد مستمعاً أو مشاهداً لا يمكن أن يغير من نفسه فكراً أو سلوكاً إلا إذا اتبع الاقتناع بالتغيير من داخله ، وبقرار ينبع من نفسه مع جماهير المستمعين والمشاهدين داخل المجتمع ، وفي ذلك يتحقق قول الله عز وجل ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾[٧] .**

وفي إيطاليا

بلغت نوادي المشاهدة المخصصة لتعليم أفرادها من الريفيين في جنوب إيطاليا ، القراءة والكتابة ، أربعة آلاف نادٍ ، اتسعت لحوالي **٥٦٣** ألف مشاهد ، تزيد عن ربع عدد الأميين الذين بلغ عددهم في أوائل الستينات ما يقرب من مليوني مواطن ، تابع المشاهدون فيها برنامجاً لمحو الأمية على شاشة التلفزيون الإيطالي عنوانه « لا تزال هناك فرصة » ، وأعد البرنامج بعناية فائقة ، واستخدم المعلومة والفكرة ومهارة القراءة والكتابة ، إلى جانب النكتة والفكاهة ، ونجح البرنامج في تذويب المعلومات والأفكار وتقديمها من خلال فقرات ترفيهية مسلية ، نجحت في جذب انتباه الدارسين واهتمامهم ، على الرغم من أنهم كانوا في غالبهم من أبناء الريف في جنوب إيطاليا ، وكانوا شديدي المقاومة لفكرة التعلم ، إلا أن التجربة نجحت في مواجهة نسبة الأميين ، وحققت نجاحاً يشيد به الباحثون والخبراء في كثير من المراجع العلمية في الاتصال ، وتوضح لنا مدى فعالية تكامل دور التلفزيون كوسيلة إعلامية ، تتوافر لها إمكانات وسائل الإعلام على اختلاف أنواعها ، مع دور الاتصال المباشر لخدمة التنمية[٨] . ونعلم أن التوسع في عمليات محو الأمية ، وتعليم الأفراد ، من شأنه أن يقضي على عديد من المشاكل قد تترتب على تفشي الأمية ، وانتشار الجهل ، وبالتالي انتشار العديد من الأمراض الاجتماعية ، كالاعتقاد في الخرافات ، والشعوذة ، والتواكل ، والعشوائية ، وقلة الوعي ، ووجود بعض الأنماط الاجتماعية البالية ، التي قد تقف عقبة في سبيل أي تطور أو تقدم . ومعروف أن المجتمعات الريفية التي تشكل نسبة كبيرة من عالمنا العربي تعاني بصورة واضحة من الأمية ، وتشير إحدى الدراسات إلى أن نسبة الأمية في العالم العربي تعتبر من أعلى النسب ، ولا يفوقها في نسبتها العالية ، التي تصل إلى ٧٣٪ إلا بعض أجزاء القارة الإفريقية ، وتقدر هذه النسبة للذكور والإناث فوق **١٥** سنة ، بينما تعتبر نسبة الأمية بين الإناث في العالم العربي أعلى نسبة بين مناطق العالم كله ، وتتزايد النسبة في الريف عن الحضر[٩] ، وتهتم الدول النامية بمواجهة هذه الأمية وتعليم القراءة والكتابة لأنها كما يقول عالم الاتصال الأمريكي المعروف **دانيل ليرنر** عنها في عبارة بليغة إنها : « المحرك الأعظم في تطوير كل مظهر من مظاهر الحياة !! المهارة الشخصية الأساسية التي تعد بمثابة اللبنة الأولى في البنيان العصري كله » ، حيث يكسب مَعْبراً إلى عالم أفسح[١٠] ، وحيث يفتح إتقان اللغة أمام الفرد آفاقاً جديدة على العالم ، وفي هذا المجال أجريت تجارب كثيرة في **مصر** صممت على أن يتولى التلفزيون مهمة تخطيط وإعداد وإنتاج الدروس والكتاب المصاحب ، وتتولى الوزارات والهيئات تنظيم مراكز المشاهدة الجماعية ، وتدبير أجهزة الاستقبال ، واختيار رواد هذه المراكز ، التي نعتبرها بمثابة نوادي المشاهدة ، وقد أحرز

المشروع تقدماً واضحاً في توجيه براجمه إلى فئات معينة كرجال الشرطة، وعمال الزراعة، وربات البيوت.

ونشير إلى أن مشاركة جمهور المشاهدين أو المستمعين في متابعة برامج الإذاعة والتلفزيون، وتلبية رغباتهم، ومناقشة الموضوعات التي تتضمنها البرامج، يؤكد ويعمق دور الإذاعة والتلفاز لخدمة التنمية الشاملة، حيث إن مشاركتهم بالرأي والمناقشة يؤدي إلى شعورهم بالرضا، ويثير اهتمامهم بالموضوعات التنموية، ويربطهم بخطط التنمية[11]، ويؤكد **ولبر شرام** W. Schramm على أهمية دور **حلقات المناقشة** لمضمون البرامج المذاعة، لأنها تمنح المستمعين والمشاهدين فرصة مناقشة الفكرة المذاعة، أو المشكلة المطروحة في البرنامج، والإدلاء برأيهم فيها[12]، كما أن المناقشة الجماعية لفقرات البرنامج المذاع من شأنه أن يجعل الاستفادة القصوى من مادة البرنامج شيئاً ممكناً، وغالباً ما يؤدي إلى القرارات الجماعية، ويحقق مبدأ هاماً هو الشورى، يقول عز من قائل **﴿ وشاورهم في الأمر ﴾**[13]، وكذلك قوله سبحانه وتعالى في سورة الشورى **﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾**[14]، ومثل هذه القرارات الجماعية التي تنتهي إليها حلقات النقاش تكون أكثر إقناعاً من القرارات التي تبنى على وجهة نظر فردية، وتؤدي إلى التنفيذ لأنهم محور التنمية من جهة، ولسبب الضغط الاجتماعي من جهة أخرى[15]، ويؤيد رأينا في هذا المجال ما توصل إليه الباحث **سل** Sill من أن استخدام وسائل الإعلام الجماهيري مقترنة بالاتصال الشخصي في إيقاع معين يؤدي إلى إحراز التغير في سلوكيات الأفراد[16].

فوائد أخرى

ومن جهة أخرى تدون حصيلة المناقشات والآراء والمقترحات الخاصة بالبرنامج، وترسل

نوادي الاستماع والمشاهدة

إلى محطة الإذاعة أو التلفاز، لتعطي الرد عليها، ولتحقيق ما فيها وترسل للمحطة إما بالبريد، أو عن طريق انتقال الإذاعة أو التلفاز إليهم، ليؤدي كل منهما دوره في متابعة سير نشاط النادي، ولينقل صور هذا النشاط عبر الأثير، ليحذو الآخرون حذوهم لتبادل المعارف والخبرات بين مختلف النوادي المتعددة، ويمكن عن طريقها ربط كافة الجماهير مستمعين أو مشاهدين بكل العمليات التنموية التي تجرى على ساحتهم، وتستهدف تغيير واقعهم نحو الأفضل، كما يتحقق لهم الوعي بأهميتها وارتفاع المستوى الفكري والاجتماعي الملائم لنتائجها، والقادر على حسن الاستفادة منها، من جهة، وكذا اكتساب المهارات وتنمية القدرات المطلوبة التي تؤهلهم لحمل المسؤوليات، والقيام بدورهم ومشاركتهم على أساس سليم ليحققوا التطوير والتقدم المنشود[17]. وطبيعي تعتبر عملية المناقشة لفحوى البرامج هامة، ولكن العامل الأساسي هو المشاركة في اتخاذ القرارات والتنفيذ، وتستفيد نوادي الاستماع والمشاهدة من مزايا كل من قنوات الاتصال الإعلامي من جهة، والاتصال المباشر والتأثير الشخصي من جهة أخرى، وكذلك لخدمة متطلبات التنمية الشاملة، ولا شك أن هذا التكامل المزدوج هو الذي يؤكد البرنامج الإذاعي أو التلفزيوني عملياً وشعبياً، لأن الجمع بين الوسائل الجماهيرية والمناقشة الجماعية في معظم الدول شيء عظيم الفائدة، خاصة وأنها تهتم بالعديد من المجالات التنموية كالظروف الصحية والمعيشية، والتعليم، ومحو الأمية، والتدريب، والمشاركة في الشؤون العامة، وفي مجالات الإنتاج المتنوعة.

وختاماً، ليس من المستغرب أن نجد الكثير من الدراسات والمؤتمرات توصي بالتوسع في إنشاء نوادي الاستماع والمشاهدة، وإعطاء أعضائها حرية التعبير لتصبح وسيلة فعالة تخدم التنمية الشاملة في كثير من المجتمعات النامية.

أهم المراجع العلمية

(١) د. إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، الطبعة الثانية الأنجلو المصرية (١٩٨١م)، ص ١٠٣ – ١٠٨.

د. جيهان رشتي، نظم الاتصال، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، (١٩٧٢م)، ص ١٧١.

د. سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، القاهرة، سجل العرب (١٩٨٤م)، ص ١١٧.

(٢) شاكر إبراهيم، الإعلام ووسائله ودوره في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مؤسسة آدم للنشر والتوزيع، (١٩٧٥م)، ص ١٨٨.

(٣) د. إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، القاهرة، دار الفكر العربي، ص ١١٨.

(٤) ولبر شرام، أجهزة الإعلام والتنمية الوطنية، دور الإعلام في البلدان النامية، تأليف: محمد فتحي، القاهرة (١٩٧٠م) ص ٢٠٤.

(٥) د. سمير محمد حسين، مرجع سابق، ص ١١٧.

(٦) ولبر شرام. مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(٧) القرآن الكريم، سورة الرعد، الآية (١١).

(٨) Schramm W. Mass Media and national development, The role of information in the developing countries, California, Stanford University press 1964, p. 162 – 163.

(٩) د. عبد الفتاح جلال وآخرون، استراتيجية محو الأمية في البلاد العربية، المجلد الثاني، الاستراتيجية المقترحة، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، سرس الليان، منوفية (١٩٧٦م)، ص ١١٥.

(١٠) ولبر شرام، مرجع سابق، ص ٦٤.

(١١) محمد معوض، دور التلفزيون في التنمية الاجتماعية في الريف المصري، دراسة تطبيقية على بعض القرى بمحافظة المنوفية، ماجستير كلية الإعلام، جامعة القاهرة، (١٩٧٩م)، ص ١٣٣ – ١٣٤.

(١٢) Schramm W. op. cit, p. 119.

(١٣) القرآن الكريم، سورة آل عمران، الآية (١٥٩).

(١٤) القرآن الكريم، سورة الشورى، الآية (٣٨).

(١٥) اليونسكو، وسائل الاتصال الجماهيري في التنمية، دليل عملي في إنتاج واستخدام وسائل الاتصال، القاهرة، وحدة اليونسكو الإقليمية لوسائل الاتصال، نوفمبر (تشرين الثاني) (١٩٧٥م)، ص ٥٨.

(١٦) د. إبراهيم إمام، الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، مرجع سابق، ص ١١٨.

(١٧) فوزية المولد، الإذاعة والتنمية، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٣م)، ص ٩١ – ٩٣.

الأستاذ: عبد الله كنون

النبوغ المغربي.. في الأدب العربي

أجرى اللقاء: أحمد المسناوي

★ عبد الله كنون ★



عبد الله كنون أحد أعلام المغرب الشقيق .. عرفه الجميع بتعدد اهتماماته التي شملت أنواعاً عديد من حقول المعارف الإنسانية .. فقد عرف مؤرخاً ، ومحققاً ، وعالماً من علماء المسلمين الذين كان لهم دورهم الكبير في الدعوة والإرشاد والإصلاح .. إلى جانب أنه ناقد وشاعر ولغوي .. ويعد كتابه الكبير « النبوغ المغربي في الأدب العربي » من الكتب الرائدة في رصد حركة تاريخ الأدب العربي في المغرب بحيث أصبح من المصادر التي لا يستغنى عنها أي باحث في أدب المغرب الذي قد يجهله الكثير من الدارسين والباحثين في المشرق العربي .

وإذا كانت مجلة « الفيصل » قد أجرت معه لقاء نشر في عددها رقم (١٦) الصادر في شهر شوال ١٣٩٨ هـ الموافق سبتمبر/ أكتوبر ١٩٧٨م .. أي قبل عشرة أعوام تقريباً .. في ذلك اللقاء تحدث عن قضايا عامة تختص بالتعريب ، والركود الأدبي ، والترجمة ، والشعر الحر ، والعالمية والمحلية في الأدب .. فإنه في هذا اللقاء الحميم يتحدث عن قضايا وأمور تجمع بين اهتماماته الشخصية ، ودوره في الحياة السياسية والدينية والثقافية في بلاده .. وبهذا فإن هذا اللقاء يعد مكملاً للقاء السابق ومتمماً للتعريف بشخصية العلامة الأستاذ عبد الله كنون أطال الله عمره .

رجل دين

●● يرتبط اسمكم في أذهان سواد الأمة بالحركة الإصلاحية، كرجل دين ، في حين أنكم أوسع من أن تصنفوا في إطار محدد من خلال نشاطكم ، فأنت مؤرخ، ولغوي ، ومحقق ، وشاعر ، وناقد أدبي مرموق .. ألا تعتقدون أن هذه الثقافة والاهتمامات الموسوعية قد تكون على حساب بعض المعارف ، خاصة أن العلم الحديث يسعى إلى التخصص ؟

● لعل هذا الإطار الموسوعي الذي وضعني فيه سؤالكم يحتوي على مبالغة كبيرة . وأجيب على الجانب الإيجابي منه ، وهو الرؤية التي ينظر بها إليَّ من وصفتموهم بسواد الأمة .

إنني رجل دين بحق ، ولا أعني أني رجل عبادة ، وصلاح ، كما قد يفهم البعض فحسب بل إني مصلح ديني ، أنبه على بعض البدع التي الصقت بالدين ، وليست منه ، وأشير إلى بعض الشوائب التي علقت بالتعاليم الدينية ، من جراء التعصب ، أو

سوء الفهم ، وأثير الاهتمام بالتمسك بروح الدين ..

فهذا الاتجاه هو الذي جعل طبقة من الإخوة المؤمنين ينظرون إليَّ بتلك النظرة الخاصة . وأنا لست متطفلاً على هذا العمل ، فهو ميراث آبائي ، وأجدادي ، وهو عندي عقيدة ، ومنهج ، وسلوك ، لم أحد عنه منذ نشأتي ، ولن أحيد إلى النهاية . وقد استغني عن أعمال أخرى ، ولا أستغني عنه ، لاستشراء الفساد ، وطغيان المادة على الروح ، والتمالؤ على محاربة الفكرة الدينية ، والاستغلال الطائفي ، والسياسي ، والرسمي ، لدعوة الإسلام .

وقف المكتبة

●● أوقفتم مؤخراً مكتبتكم الزاخرة بالمخطوطات النادرة ، والمصورات ، والمطبوعات القيمة ، على مثقفي مدينة طنجة ، وعلى جميع الباحثين ، سواء كانوا داخل التراب الوطني ، أو خارجه .. ما شعوركم وأنتم تقدمون على هذا المشروع الخيري ، والبادرة الإنسانية ، وتتخلون عن أعز ما تملكون ؟

● هذا العمل – جعله الله خالصاً لوجهه – قد بذلت حياتي لأكثر منه ، فأنتم تعلمون ، أني ساهمت في ميدان التعليم في مراحله المختلفة ، وكتبت في كثير من الموضوعات التاريخية ، والأدبية ، والإسلامية ، وحاضرت ، وناظرت ، وشاركت في عدة مؤتمرات علمية ، وسياسية ، ووجهت أجيالاً من الشباب الوجهة الصحيحة ، التي تجعلهم يخدمون بلادهم ، وعقيدتهم بتفان وإخلاص . وكل هذا اقتضاني جهوداً جبارة ، وتضحيات جسام ، وليس إيقافي لمكتبتي بعمل أعظم من هذه الجهود ، وإنما هو تتميم لها ، واستمرارية مطلوبة من عقل الإنسان الواعي ، الذي لا يقصر العمل على الحاضر ، بل يتخطاه إلى المستقبل ، المستقبل البعيد ، بحكم ما جاء في الحديث الشريف الذي ينص على العمل الذي لا ينقطع بالموت ، ولا يعقب صاحبه حسرات الفوت ، هذا إلى جانب رؤيتي لكثير من المكتبات العلمية تتشتت ، وتتبدد ، بعد موت أصحابها ، على أيدي ورثتهم ، بعدما بذلوا في جمعها النفس والنفيس ، ولا أتحدث عما بذلته شخصياً في هذا المجال ، مما جعلني أبخل بها ، إلا على وجه الوقف الذي أقدمت عليه ، وقرت عيني به ، وارتحت له أعظم الارتياح ، راجياً أن تعظم به الفائدة ، ويعم النفع ويدوم .

رابطة علماء المغرب

●● جددت رابطة علماء المغرب – كالعادة – ثقتها فيكم ، فأعادت أخيراً انتخابكم أميناً عاماً للرابطة .. ما الدور الذي تنهض به رابطتكم في الساحة الوطنية ، وعلى صعيد العالم الإسلامي ؟

● دور رابطة العلماء بالمغرب معروف ، ومحدد ، في قانونها العام ، الذي قدمته منذ إنشائها للسلطات العليا في البلاد ، **وهو يتعلق بالإصلاح الديني ، وتجديد الدعوة ، وربط الصلة بين المسلمين ، بواسطة الاتصال بمنظمات إسلامية ، في الشرق ، والغرب ، والوقوف في وجه دعاة التضليل والإلحاد ، وتجاهل أحكام الدين مما يجعل الناس ينقضون من تعاليم الإسلام عروة ، عروة .**

وقد واجهت الرابطة عدة مشاكل داخلية .. وأنشأت الرابطة جريدة أسبوعية باسم « **الميثاق** » أخذاً من الآية الكريمة : ﴿ **أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يُوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق** ﴾ . الآيتان (١٩ ، ٢٠) من سورة الرعد .

وتواصل الجريدة صدورها منذ حوالي خمس وعشرين سنة . كما أصدرت الرابطة مجلة « الاحياء » نصف السنوية ، التي تمر بسنتها الخامسة . وعقدت عشرة مؤتمرات لدراسة الحياة السياسية ، والدينية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والأخلاقية ، في العالم الإسلامي عموماً ، والمغرب خصوصاً ، وتناولت القضايا الإسلامية الكبرى ، بما تستحقه من الدرس والعناية ، كقضية **فلسطين ، وارتيريا ، وأفغانستان ، والفيليبين** ، وغيرها ، وأصدرت في كل مؤتمر توصيات هامة ، تتعلق بهذه الموضوعات كلها .

وباختصار ، فإن دور الرابطة هو في الأساس العناية بها تهمله المؤتمرات ، والتجمعات ، والصحافة ، في العالم الإسلامي .

الشعر

●● نظمتم الشعر مبكراً ، ثم عزفتم عنه بعد ذلك ، هل معنى هذا أن هذا الفن من فنون القول عاجز عن التعبير عن القضايا التي تشغلكم ؟

● الشعر أول ما يسبق الاهتمام من عموم المثقفين ، ومن ثم فلا تجد عالماً ، أو فقيهاً ، لم يقل شعراً في مطلع حياته ، ولكن الاستمرار في هذا الاهتمام ، يتوقف عند انتقال المثقف لما يغلب عليه من التخصصات . ونحن في مطلع حياتنا – أعني معشر الشباب المغربي الناهض – حاولنا أن نقول الشعر ، ونضمنه مشاعرنا الوطنية ، ولكن الأمر كان أكثر من ذلك ، علماً بأن العلم – كما يقولون – إذا أعطيته كلك أعطاك بعضه ، وقد اهتممنا بالدراسات الفقهية ، والأدبية ، والتاريخية ، والاجتماعية،

وما إليها ، بحكم مهمة الإصلاح التي كنا نضطلع بها ، فبقيت ملكة الشعر من المدخرات التي لا نلجأ إليها إلا عند الاضطرار ، كأن يكون الموضوع لا يعبر عنه إلا بالشعر ، كالموضوع الذي لا يعبر عنه إلا بالقصة ، أو المقامة ، كما كان ذلك من قبل . والحقيقة هي ما قلتم ، **فالقضايا التي كانت تشغلنا هي أكثر ، وأوسع ، من أن تؤدى بالشعر** ، وكذلك فإن مقام الدعوة ، والالتزام ، لا يتوافق مع الانقطاع للشعر . وقد كان والدي ـ رحمه الله ـ يكره لي الاشتغال بالشعر ، عوض ما أنا مهتم به من مطالب العلم ، والمعرفة ، بالرغم من كوني كنت أحفظ . شعراً كثيراً ، حتى قال لي مرة : **لو أنك تحفظ من الحديث ما تحفظ من الشعر لكنت محدث زمانك .**

والواقع أني كنت أحفظ من الحديث ما يزيد على ما أحفظه من الشعر .

النبوغ المغربي

●● يعدُّ كتابكم « النبوغ المغربي في الأدب العربي » فريداً في بابه ، إذ عن طريقه عرف المغاربة ، والمشارقة ، التاريخ ، والأدب المغربيين ، وثمّنه الغربيون المنصفون ، ونلتم عليه لقب دكتوراه شرفية من أسبانيا .. ما مصدر شهرة هذا الكتاب ، هل هو موضوعه ، أم منهجه ، أم هما معاً ؟

● أبادر فأقول ، إن كلاً من موضوع كتاب النبوغ ، ومنهجه ، كان له أثره في شهرته ، وانتشاره . أولاً الموضوع كان مجهولاً تماماً ، وكان تاريخ الأدب العربي ، الذي أصبح من المواد الدراسية الحديثة ، التي دخلت مناهج التعليم ، يشتمل على تاريخ الأدب ، ونماذجه الشعرية والنثرية ، قلت أو كثرت ، من جميع الأقطار العربية ، إلا القطر المغربي ، فأهمني ذلك منذ فجر شبابي ، وأثناء دراستي ، وشمرت عن ساعدي ، وجعلت أتتبع الموضوع في كتب المظان ، وغيرها ، وأسجل ما أقف عليه من أسماء الأدباء ، وإنتاجهم ، وآثارهم ، في الشعر والنثر ، ولما تجمع لديَّ قدر كبير من هذه المادة ، جعلت أختار منها ، وأنتقي ، ما أقدمه لسد الفراغ في هذا الباب .

وإذا كانت كتب تاريخ الأدب العربي تشير إلى مجموعات الأدب العربية المعروفة ، من نثر وشعر ، فإن أدب المغرب مجهول ، لا توجد به مجموعات من هذا القبيل ، فكان عليَّ أن أقدم دراسة مستوفاة بقدر ما يمكن من هذا الأدب ، وأقدم في الوقت نفسه النصوص الأدبية ، من الشعر ، والنثر المدروسين ، فاختلف منهج الكتاب عن الكتب الأخرى في هذا الباب ، فأنا لما اتكلم عن عصر من عصور تاريخ الأدب المغربي ، وأدرس نهضته ، وما أنتجه أدباؤه ، وإذ أترجم للنخبة من هؤلاء الأدباء ، أحيل على المنتخبات التي أخترتها من هذا الأدب ، مع ما تقصدته من الكلام على الحياة العلمية ، والأدبية ، لكل عصر من العصور ، وترجمة لأشهر علمائه ، وتقديم جرد لمؤلفاتهم ، في مختلف العلوم والفنون .

وبهذا اختلف منهج الكتاب عن كتب تاريخ الأدب . فلو أني قدمت الدراسة الأدبية للأدب المغربي فحسب ، لبقيت تلك الدراسة محل تساؤل ، وارتياب ، خلاف الذي يدرس الأدب العربي ، فهو حين يتحدث عن أدباء الأندلس ، والعراق ، مثلاً ، فإنه غير ملزم بتقديم آثارهم ، وإنتاجهم ، إذ يكفي الرجوع إلى دواوين الشعراء المطبوعة ، وإلى رسائلهم وإنتاجهم الغزير الكثير ، الموجود بين أيدي الطلبة والدارسين . فلو أني لم أقدم هذه الآثار الإبداعية ، واقتصرت فقط على تلك الدراسة ، لما دخل شيء منها إلى الكتب التي تهتم بالبحث في الأدب العربي ، لأن هذه الدراسة متوفرة بين أيدي مؤرخيه ، والكاتبين عنه .

ومن أجل هذا كله ، امتاز الكتاب بهذين الأمرين معاً : الموضوع والمنهج .

من مكونات الثقافة

●● ما نسبة حضور الثقافة الغربية ، أو المشرقية ، في مؤلفاتكم ، خاصة وأنكم كثير الاطلاع على أهم المصادر العربية الإسلامية ، والآثار الغربية ، في مختلف ألوان المعرفة ؟

● إن كتاباتي ، ومؤلفاتي على العموم ، لا تتعرض للفكر الغربي إلا بمقدار ما يتضمنه من إشارات ، وملامح ثقافية عامة ، ويكاد ينطبق نفس الحكم على الفكر المشرقي ، لولا أني تعرضت كثيراً لمؤلفات شرقية بالنقد ، والتقريض . أولاً ، لأني أجد في بعضها ما يحمل على تصحيح خطأ ، أو بيان مجمل ، أو ما شابه ذلك ، مما يتعلق بالحياة الفكرية في المغرب ، أو الأندلس . وللإنصاف فإنه لا يجمل التعرض لهذه المخالفات ، وهو أمر سلبي ، بدون تقدير الإيجابيات ، التي تشتمل عليها الأبحاث ، والتآليف ، التي نقدتها ، وقرضتها .

هذا من صميم الفكر ، أما في الاتجاه الثقافي بعامة ، فلا أنكر أني نبذت كثيراً من شعري ، الذي نظمته في مرحلة الشباب ، لما أطلعت على الشعر الحديث في العالم العربي ، وخاصة شعر **شوقي، وحافظ، والزهاوي، والرصافي،** وأمثالهم ، واستهواني كذلك شعر **العقاد** ، الذي ينحو منحى العقل هو منحى قليل في شعرنا العربي . ومثل ما قلته في الشعر أقول في الأوضاع النثرية، التي استحسنتها، واستسغتها، وحددت اتجاهي في الكتابات التي تضمنتها مؤلفاتي ، وكتبي .

كان من أول من أعجبت بموضوعاته الفكرية ، وطريقة تناوله للأغراض الأدبية ، الأستاذ **محمد كرد علي** ، والأستاذ **فريد وجدي** ، صاحب « **دائرة معارف القرن العشرين** » **والأمير** شكيب أرسلان ، والأستاذ

العقاد ، والرافعي ، والمنفلوطي وأمثالهم .

عموماً ، **فإن الفكر المشترك بين الغرب ، والشرق ، والاتجاه الثقافي العام فيهما معاً ، كان لهما أثر ، وإضاءة على طريق العمل ، والمنهج ، فيما أنشأته من إبداعات أدبية** . وأما في مجال الدعوة والتجديد ، والدراسات الإسلامية ، فإني لا أنكر تأثير المفكر الإسلامي الكبير **جمال الدين الأفغاني** ، وتلميذه الشيخ **محمد عبده** وتلميذه الشيخ **محمد رشيد رضا** .

الدراسات الفقهية المعاصرة

•• إن عطاء المغرب القديم ، وكذا القريب العهد بنا ، كان أكثر نضجاً ، واهتماماً ، في مجال الدراسات الفقهية .. ما سر ضمور هذا اللون المعرفي ، في المغرب المعاصر خاصة ، والوطن العربي عامة ؟

• إن ضعف المناهج الدراسية في المواد الإسلامية عامة ، والفقهية خاصة ، وقلة الاهتمام بالدراسات الشرعية ، والدينية ، والتوجه إلى دراسة القانون الأجنبي ، وإنشاء كليات خاصة لما يسمى بالحقوق ، في كل الجامعات المغربية ، وغيرها ، هو الذي جعل الدراسات الفقهية ، والإنتاج فيها ، يتخلف يوماً عن يوم ، ويضمر ، ويضعف ، حتى فقدت العطاءات الثرية التي كانت الإنتاجات الفقهية تتميز بها في العصور القريبة منا جداً ، والتي جعلت الذين يهتمون بالبقية الباقية من هذه الدراسات ، يعيشون على مخلفات الفقهاء قبلهم ، ولا يأتون بجديد ، وغاية ما نجد عندهم ، إفراغ محتويات الكتب السابقة ، التي يسمونها بالصفراء ، في قوالب ، ومناهج معصرنة ، ومستحدثة ، ليس وراءها طائل ، ولا يرجى منها نفع إلا ماندر ، وقل جداً ، جداً .

الفكر العربي المعاصر

•• بما تقيمون الفكر العربي في النصف الثاني من القرن العشرين ؟

• لعل الجواب في السؤال السابق ، يكون قد ألقى ظلاله على هذا السؤال ، ففي فجر النهضة الحديثة كان الاهتمام بالمعرفة ، أكثر من الاهتمام بالصور ، والمناهج . أما اليوم ، فرغم أن الطلبة أكثر من ذي قبل ، وعددهم يتضاعف يوماً بعد يوم ، لكن إنتاجهم في الغالب ، لا يراد منه إلا الحصول على الورقة ، التي تضمن لهم العيش . ودراستهم الأولية ضعيفة جداً ، وبالانتقال إلى التعليم العالي يجدون أنفسهم في بحر خضم ، لا يعرفون من أين يخرجون منه ، فمنهم من يعتمد على دراسات المستعربين ، أو المستشرقين ، الذين قل فيهم المنصف ، كما قل فيهم الخبير ، فنجد أغلاط هؤلاء عند طلبتنا ، وبحاثنا . ومنهم من لا صلة له بالترجمة ، والنقل ، ولكنهم لا يهتدون إلى المصادر ، والمراجع ، التي يجب الاستمداد منها ، وتقييم حصيلتها ، التي تجعل أعمالهم مبنية على أساس .

ولا أنكر بعض الجهود الموفقة التي تنغمر في هذا التيار الجارف ، فلا يهتدي إليها أحد ، لاسيما وقد تعود الناس على ألا يجدوا في هذه الدراسات الجديدة إلا ترداداً ، وإعادة لأعمال من سبقهم ، ومسخاً ، وتقليصاً لها في بعض الأحيان . حتى كثر الغلط ، ومل المعلقون ، والناقدون من تتبع الأخطاء ، وتصحيح المفاهيم .



★ جانب من المكتبة التي أوقفها كنون على الباحثين ★

العلامة الشيخ عبد الله كنون في سطور

• من مواليد مدينة فاس بالمملكة المغربية عام ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م .

• مارس عدة وظائف ، واضطلع بعدة مهام ، أهمها : تدريسه بالمعهد العالي بتطوان ، وإدارته لمعهد مولاي الحسن للأبحاث بنفس المدينة ، وتوليه في عهد الحماية منصب وزير العدل ، وتعيينه عاملاً على طنجة ، بعد استقلال المغرب ، وعضويته في عدة مجامع علمية ، ومجالس دينية .

• يحرر ويشرف على صحيفة الميثاق ، لسان رابطة علماء المغرب ، وعلى مجلة الاحياء ، التي تصدرها الرابطة .

• حصل على عدة أوسمة شرفية ، داخل المغرب ، وخارجه : وسام العرش من درجة ضابط ، ووسام الكفاءة الفكرية ، درجة ممتازة ، . وسام الحمالة الكبرى للجمهورية التونسية ، ووسام حسني مبارك رئيس الجمهورية المصرية للعلوم والفنون ، من الدرجة الأولى .

• له ما يربو على مائة كتاب ، علاوة على ما ينشره باستمرار في أغلب المجلات بالمغرب والمشرق .

❋ ❋

الترشيد الاقتصادي
عند الخليفة العباسي أحمد بن الموفق
(٢٧٩-٢٨٩ هـ / ٨٩٢ - ٩٠٢ م)

بقلم : د . عبدالكريم عبده حتاملة

تولى المعتضد العباسي أحمد بن الموفق الخلافة سنة (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ ــ ٩٠٢ م) . وفي عهده انتعشت الخلافة وردت إليها هيبتها بعد انحطاطها ، بفضل قوة شخصيته وحذقه ، وقد اكتسب خبرة واسعة منذ أيام والده الموفق ، الذي شاركه في كثير من أعماله الإدارية والعسكرية ، فقضى على جميع القلاقل الداخلية ، وتصدى للخارجين على الخلافة ، بحزم وقوة ، ولا سيما القرامطة الذين قوي أمرهم في الكوفة والبحرين فأنزل بهم ضربات قوية رادعة ، وامتاز حكمه بالاستقرار التام ، وساعده ذلك ابتعاد الجيش عن التدخل في الشؤون السياسية وانصرافه فقط إلى الاهتمام بمجابهة الأخطار التي تهدد الدولة ، كذلك استطاع بعد حكم لم يتجاوز عشر سنوات أن يجدد دولة بني العباس التي أصابها الوهن والضعف حتى قيل فيه بدأت الدولة العباسية بأبي العباس (أي السفاح) وجددت بأبي العباس (أي المعتضد) .

وتبدو أهمية المعتضد بين خلفاء بني العباس في أمور كثيرة ، فقد رأى أن **التقويم القمري** يؤدي إلى العمل على جباية الخراج في شهر نيسان على مواسم تجمع في حزيران ، ولما كان مثل هذا الشذوذ لا بد أن يعرقل عمل الجباية ، فقد تم تصحيحه بسهولة كانت مرضية لجميع المعنيين[١] .

ثم قام بإجراء آخر تناول قضية أخرى ، فقد ألغى ديوان المواريث وأمر برد الفاضل من سهام المواريث على ذوي الأرحام ، ثم إنه استرجع عدداً كثيراً من الأقاليم التي فقدتها الدولة العباسية ، أثناء شغبها ، كأرض الجزيرة وإقليم الجبل والثغور الشامية وفارس وغيرها . كذلك منع قادة الأتراك من التدخل في شؤون الدولة وأوقفهم عند حدهم ، وذلك بفضل قوة شخصيته وحزمه مما أدى إلى استقرار البلاد وإصلاحها ، إضافة إلى نقل العاصمة من **سامراء** إلى **بغداد** ، وإلى بنائه **دار الخلافة** في الجانب الشرقي من بغداد ، حيث أصبحت بعد ذلك نواة المدينة الحديثة . ثم إنه قام بإصلاح الأمور المالية فجعل مالية الدولة مبنية على أساس رصين وأنقذها من إفلاسها المزمن حتى عد من خلفاء بني العباس القلائل الذين اشتهروا بالشؤون المالية .

قرارات اقتصادية

جرت العادة على إغلاق الدواوين منذ صدر الدولة العباسية بدار الخلافة ببغداد ، وقطع الأعمال يوم الجمعة لينصرف فيه الناس إلى الصلاة جماعة ، فكانوا يمضون أكثر النهار في المساجد للصلاة ولسماع الوعظ ، وبقيت الحال على هذا الوجه حتى جاء الخليفة **المعتضد العباسي** (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ / ٨٩٢ ــ ٩٠٢ م) فرأى بأم عينيه أن الخزينة مصفرة وأن الأتراك يسيطرون على مقاليد الأمور ، ولذلك قرر أن يقوم بممارسات وإجراءات اقتصادية لإنقاذ الخزينة من الإفلاس ، فمثلاً أضاف يوماً آخر يتوسط جمعة وأخرى ، وهو الثلاثاء حيث تغلق فيه الدواوين ويكون يوم راحة ولهو . فقد أمر **عبيد الله بن سليمان**[٢] ، **وبدر**[٣] بأن لا يحضرا ولا أحد من القواد والأولياء الدار في يومي الجمعة والثلاثاء ، ولحاجة الناس في وسط الأسبوع إلى الراحة والنظر في أمورهم ، والتشاغل بما يخصهم ، ولأن يوم الجمعة يوم صلاة ، وكان يحبه لأن مؤدبه كان يصرفه فيه عن مكتبه ، وتقدم إلى عبيد الله أن يجلس في يوم الجمعة **للمظالم**[٤] **العامة** ، وإلى بدر بأن يجلس **لمظالم الخاصة** ، ومنع من أن يفتح في هذين اليومين ديوان أو يخرج شيء إلى مجلس التفرقة على الجيش خاصة[٥] .

وكان عمال الدواوين ببغداد يجتمعون في يوم الثلاثاء في دورهم أو يقصدون البساتين فيقضون عامة نهارهم في الأنس وكثيراً ما كانوا يتذاكرون في شؤون وظائفهم ، كذلك أمر أن (ينقص حشمه وما كان يجري عليه الإنزال من كل رغيف أوقية وأن يبدأ بأمر خبزه ، لأن للوصائف عدداً من الأرغفة فيها ثلاثة لذا ، وأربعة لذا ، وأكثر من ذلك)[٦] .

ونتيجة لهذا العمل فإن المعتضد كان يوفر في كل شهر مالا عظيماً ، كذلك فالغلمان الذين أعتقهم الناصر كانت أيام شهورهم أربعين يوماً ، فأساؤوا الأدب في مطالبة كانت منهم فجعلها خمسين يوماً ، ثم لما تولى المعتضد جعلها ستين يوماً[٧] .

والفرسان الأحرار والمميزون كانت شهورهم خمسين يوماً فجعلها تسعين يوماً ونسبوا إلى التسعينية ، ثم جعل شهور بعضهم (١٢٠) يوماً[٨] ثم إنه أمضى في أرزاق التسعينية المختارين ما كان لهم في أيام الناصر وأسقط قضيم[٩] دوابهم وعلوفهم . وهو للدابة في خمسة وثلاثين يوماً أربعة دنانير ، وللبغل ثلاثة دنانير ونصف ، وللحمار برسم الرجالة ديناران ، وأسقط من ثمن جراياتهم ووظائفهم نصف وربع دينار في كل شهر ، فبلغ المال من أمضى هؤلاء التسعينية مائة وخمسة وثلاثين ألف دينار في كل طمع قسط كل يوم من تسعين يوماً (١٥٠٠) دينار[١٠] .

كذلك أمر وزيره عبيد الله بن سليمان وبدراً بألا يحضرا أحداً من القواد والأولياء الدار في يومي الجمعة والثلاثاء لحاجة الناس في وسط الأسبوع إلى

الراحة والنظر في أمورهم والتشاغل بما يخصهم ، ولأن يوم الجمعة يوم صلاة ، وكان يحبه لأن مؤدبه كان يصرفه فيه عن مكتبه وتقدم إلى عبيد الله أن يجلس في يوم الجمعة للمظالم العامة ، وإلى بدر بأن يجلس للمظالم الخاصة ، ومنع من أن يفتح في هذين اليومين ديوان أو يخرج شيء إلى مجلس التفرقة على الجيش خاصة[11] ، **وكان عمال الدواوين ببغداد يجتمعون في يوم الثلاثاء في دورهم أو يقصدون البساتين فيقضون عامة نهارهم في الأنس وكثيراً ما كانوا يتذاكرون في شؤون وظائفهم[12]** .

والمبالغ التي وفرت أمر المعتضد مونس الخادم بحملها إلى بيت مال الخاصة لتصرف فيما يحتاج إليها من نفقات الموسم ، ومن يخرج في الغزوات الصائفة ونفقات الأبنية والحوادث والملمات[13] .

وأنا لا أميل إلى ما ذكرته المصادر السابقة بأن المعتضد كان بخيلاً أو شحيحاً ، بل مقتصداً[14] . ويبدو أن المصادر قد تناست وضع الخزينة العام حينما تسلم المعتضد الخلافة ، فقد ورث لا شيء في الخزينة[15] ، فاضطر أن يمد بيت مال العامة من ماله الخاص حتى لا تفلس الدولة[16] ، والإجراءات التي اتبعها المعتضد في تطويل الشهر إلى ستين أو تسعين أو مئة وعشرين يوماً وترشيد الخبز[17] وجعل يوم الثلاثاء عطلة رسمية لا يصرف لها راتب وإسقاط مؤونة الدواب وما إلى ذلك مما ذكرته المصادر السابقة أرى أنها إجراءات سليمة تتفق مع وضع الدولة المادي في تلك الفترة ، **وكان أولى بأصحاب المصادر ألا ينعتوا سلوك المعتضد بالبخل أو الشح ، لأنه قام بممارسات اقتصادية مقبولة لوضع الدولة العام** ، ولذا فإنني أرجح مثل هذه الإجراءات التي تصلح أن تكون نموذجاً إيجابياً لسياسة اقتصادية حكيمة وسليمة أمام ميزانية مقفرة ، **وهذا يعكس أن شخصية المعتضد كانت اقتصادية تخطط لمواجهة إفلاس الخزينة واتباع الإجراءات السابقة فهو بحق من أعظم العباسيين مقدرة في تدبير المالية** .

تهمة باطلة

والبخل ظاهرة اجتماعية تبدو عند الرجل القادر والغني ، ولا تظهر عند الرجل الفقير ، لأنه لا يملك أن يدفع شيئاً . . وهذا عند المعتضد الذي لم يجد شيئاً في خزائنه غير سبعة وعشرين درهماً زائفة ووجد الدنيا خراباً فعمرها بالعدل[18] ، ومن الظلم له وللتاريخ أن ننعته بالبخل أو الشح وهو القائل أيضاً : والناس يزعمون أني بخيل أتراهم لا يعلمون أني جعلت أبا النجم (يعني بدراً) بيني وبينهم أعرف ما مبلغ ما ينفقه يوماً ولو كنت بخيلاً ما أطلقت له ذلك .

وعند وفاته[19] نجد أنه خلف لنا ثروة كبيرة هائلة ، نتيجة الإجراءات الاقتصادية السليمة ، نوجزها بما يلي (مئة ألف ألف دينار ، من ذلك :

العين والورق والأواني المعمولة منها ، عشرون ألف دينار ، **الجوهر والطيب** وما يجري معهما . عشرون ألف ألف دينار . **الكسوة والفرش** عشرون ألف ألف دينار . **الكراع**[20] **والسلاح والغلمان** عشرون ألف ألف دينار . **الضياع والعقار والأملاك** عشرون ألف ألف دينار[21] .

نفقات الدولة في خلافة المعتضد

وهناك مظهر آخر لعدم بخله ، وهو انفاقه السنوي الذي كان (٢٥٠٠٠٠٠) دينار ، وهو يتساوى مع إنفاق **المأمون والمعتصم** ، يستوجب أن يقل الإنفاق في عهد المعتضد بسبب كثرة الغلمان والمماليك ومواجهة الظروف الطارئة . وهذه قائمة تشمل ما اشترطه **أحمد بن محمد الطائي** على نفسه أن يقدمه ضمانة إلى **بيت المال** ، وفيه ما كان ينفقه بيت المال في بغداد في السنين الأولى من خلافة المعتضد سنة (٢٨٠ هـ/ ٨٩٣ م) .

نفقات الدولة العباسية في السنوات الأولى من خلافة المعتضد بالله في حدود سنة (٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)

الرقم	دينار في اليوم	التفاصيل
١	١٠٠٠	أرزاق أصحاب النوبة (٢٢) ومن برسمهم من البوابين وفيهم البيضان (٢٣) من الجنابين (٢٤) والبصريين وأصحاب المصاف (٢٥) بباب العامة وغيرهم .
٢	١٠٠٠	أرزاق الغلمان الذين أعتقهم الناصر وهو الموفق بن المتوكل ويعرفون بالغلمان الخاصة .
٣	١٥٠٠	أرزاق الفرسان من الأحرار المميزين .
٤	٦٠٠	أرزاق المختارين وهم جنود منتخبون من كل قيادة وقد عرفوا بالشهامة والشجاعة .
٥	٥٠٠	المثبتين في أيام الناصر من الفرسان .
٦	١١٠	أرزاق سبعة عشر صنفاً من المرسومين بخدمة الدار والرسائل الخاصة ، والقراء وأصحاب الأخبار والمؤذنين والمنجمين والأنصار والحرس وأصحاب الأعلام والبوقيين والمضحكين والطبالين وغيرهم .
٧	٥٠	المرتزقة برسم الشرطة في مدينة السلام .
٨	٣٠٠	أثمان إنزال المماليك وغيرهم .
٩	٣٣٣٠ ١/٣	نفقات المطابخ الخاصة والعامة والمخابز ، وإنزال الخدم والحشم ومخابز السودان .
١٠	١٠٠	ثمن وظائف الشراب الخاصة والعامة ، ونفقات خزائن الكسوة والخلع والطيب وحوائج الوضوء ، وخزائن السلاح والفرش . . . إلخ .

١١	٤	أرزاق القائمين بالقرب من القصر والخزائن والمخابز والدور . . إلخ .
١٢	١٦٧	أرزاق الخاصة ومن يجري مجراهم من الغلمان والمماليك ومن الأكابر والأحرار .
١٣	١٠٠	أرزاق الحشم من المستخدمين في شراب العامة وخزائن الكسوة والصناع والخياطين والقصارين والأساكفة والحدادين والرثائين والمطرزين والوراقين والعطارين والمشهرين وغيرهم .
١٤	١٠٠	أرزاق الحرم .
١٥	٤٠٠	أرزاق ثمن علوفة الكراع في اصطبلات الخمسة .
١٦	٦٦ ٢/٣	ما يصرف من ثمن الكراع والإبل والخيل .
١٧	٣٠	أرزاق المطبخين .
١٨	٣٠	أرزاق الفراشين ومن جرى مجراهم .
١٩	٤٤	أرزاق الجلساء وأكابر الملهين .
٢٠	٢٣ ١/٣	أرزاق جماعة من المتطببين وتلامذتهم . . إلخ .
٢١	٧٠	أرزاق أصحاب الصيد من البازياريين والفهارين .
٢٢	١٦ ٢/٣	أرزاق الملاحين في الطيارات والشذات والحراقات وغيرها من السفن .
٢٣	٤	ثمن النفط والمشاقة للنفاطات .
٢٤	١٥	الصدقة التي تحضر كل يوم عند صلاة الصبح في خرقة سوداء .
٢٥	٣٣ ١/٣	جاري أولاد المتوكل .
٢٦	١٦ ٢/٣	جاري أولاد الواثق .
٢٧	١٦ ٢/٣	جاري أولاد الناصر .
٢٨	٢٠	أرزاق مشايخ بني هاشم وأصحاب الخطباء في المساجد .
٢٩	٣٣ ١/٣	أرزاق جمهور بني هاشم من العباسيين والطالبيين .
٣٠	٣٣ ١/٣	جاري عبيد الله بن سليمان (الوزير) مع خمس مائة دينار للقاسم ابنه في الشهر برسم العرض .
٣١	١٦٥ ٢/٣	أرزاق أكابر الكتاب وسائر من في الدواوين وثمن الصحف والقراطيس والكاغد .
٣٢	١٦ ١/٣	رزق القاضي وخليفته يوسف بن يعقوب والد أبي عمر وأولادهما وعشرة نفر من الفقهاء .
٣٣	٥٠	نفقات السجون وثمن أقوات المحبوسين .
٣٤	٣ ١/٣	جاري المؤذنين في المسجدين والمكبرين والأئمة وجميع الخدمات .
٣٥	١٩	نفقات الجسرين وأرزاق الجسارين .
٣٦	١٥	نفقات البيمارستان الصاعدي وأرزاق أطبائه وثمن الأدوية .
	٦٩٧٤	**نفقات الدولة العباسية في اليوم الواحد .**

٦٩٧٤ × ١٢ = ٢٥٠٠٠٠٠ تقريباً نفقات الدولة العباسية في السنة أيام الخليفة المعتضد بالله[٢٦] ، زد على ذلك أن هذه النفقات جزء صغير من مال الجباية لأنها عبارة عن خراج ما ضمنه الطائي من البلاد ، وهي سعي **الفرات ودجلة وجوفي وواسط وكسكر الطساسيج نهر بوق وكلوداي ونهر بين وطريق خراسان وكلها من العراق** ، فلا غرابة إذن في أن نفقات الدولة العباسية كانت تستخرج من خراج يغطي أعمالها .

الهوامش

(١) الطبري : (تاريخ الأمم والملوك ، جـ ١ ، ص ٣٤٥) . ابن الأثير : (جـ ٦ ، ص ٧٨) . المقريزي : (الخطط ، جـ ١ ، ص ٧٥) .

(٢) عبيد الله بن سليمان بن وهب ، استوزره المعتضد لما تولى الخلافة عام (٢٧٩ هـ/ ٨٩٢ م) ، ثم أرسله إلى الجبل سنة (٢٨٣ هـ/ ٨٩٦ م) ، إلى الري (Ray) واستمر الوزير عبيد الله بن سليمان على الوزارة حتى مات سنة (٢٨٨ هـ/ ٩٠١ م) . . لمزيد من التفصيلات انظر : الطبري (جـ ١١ ، ص ٣٤٩) . ابن الأثير (الكامل ، جـ ٦ ، ص ٨٢) . وعبد الكريم حتاملة (البنية الإدارية للدولة العباسية خلال القرن الثالث الهجري ، ص ١١٧) .

(٣) هو أبو النجم مولى المعتضد ويسمى بدر الكبير أو بدر التركي ، تولى قيادة الجيش فأصبح صاحب المملكة المستولي على أمره والقيم بأمر الخلافة ، كما تولى الإمارة في بلدان عديدة ، وتولى الأعمال بمصر مع أحمد بن طولون إلى أن توفي ابن طولون وقتل خمارويه فقدم بغداد ، واتصل

بالخليفة المعتضد ، ثم تولى أعمال الحرب بفارس وكرمان بعد وفاة المعتضد ، وتبدو أهميته مع الخليفة المعتضد لمناقشة الخليفة للوزير ومدى تأثيره عليه . في أحد الأيام كان المعتضد مقطب الوجه وعندما أقبل بدر رآه من بعيد ثم تبسم وأنشد :

لهفي على من أطار النوم فامتنعا	وزاد قلبي على أوجاعه وجعا
كأنما الشمس من أعطافه لمعت	حسنا أو البدر من إزراره طلعا
مستقبل بالذي يهوى وإن عظمت	منه الإساءة معذور بما صنعا
في وجهه شافع يمحو إساءته	من القلوب وجيه حيث ما شفعا

قتله المكتفي في سنة (٢٨٩ هـ/ ٩٠٢م) بتدبير من الوزير القاسم بن عبيد الله ، وكان سبب ذلك أنه لما مات المعتضد امتنع الوزير القاسم أن يجعل الخلافة في ولد المعتضد فعارض بدر ذلك لولائه الشديد للمعتضد ، حيث قال : ما كنت لأصرفها عن أولاد مولاي فحقد عليه القاسم وعقد للمكتفي مزيداً من التفصيلات . انظر : المسعودي (مروج الذهب ، جـ ٨ ، ص ٢١٨ ــ ٢٢٣ ، طبعة باريس ، ١٩٧٠) . السراج مصارع العشاق (ص ١٨٣ ــ ١٨٤) . الذهبي (العبر في خبر من غبر (جـ ٢ ، ص ٨٢) الطبري (جـ ١١ ، ص ٢٧٤ ــ ٢٧٦) . عبد الكريم حتاملة (البنية الإدارية للدولة العباسية ، ص ١٢٧) .

(٤) عن المظالم انظر : اليعقوبي (تاريخ ، ص ٢٦١) . الصابي (الوزراء ، ص ٦٦) . الماوردي (الأحكام السلطانية ، ص ٢٤٣) . الفخري (الآداب السلطانية ، ص ٢٤٣) .

(٥) الذهبي (ملخص تاريخ الإسلام الكبير ، مجلد ٤ ، ص ١٠ ، مخطوطة) .

(٦) المصدر السابق نفسه ، الصفحة نفسها .

(٧) الصابي (الوزراء ، ص ١٦) . جورجي زيدان (تاريخ التمدن الإسلامي ، جـ ٢ ، ص ٤٩٥) .

(٨) المصدر السابق نفسه ، الصفحة نفسها .

(٩) القضيم : الشعير ، الصابي (الوزراء ، ص ١٩) .

(١٠) المصدر السابق نفسه ، الصفحة نفسها .

(١١) الصابي (الوزراء ، ص ٢٧) .

(١٢) عن عطلة الثلاثاء ، انظر : الثعالبي (يتيمة الدهر ٤ ، ص ٣٩) حيث يقول :

يغيب البدر يوماً ثم يبدو	فما لك غبت عن عيني ثلاثاء
فإن لم تطلع الاثنين عصراً	فلست بواجدي يوم الثلاثاء

(١٣) الصابي (الوزراء ، ص ٢٧) .

(١٤) قيل : من أفضل بني العباس فكان الجواب أن المنصور أنقدهم ، والمأمون أمجدهم ، والمعتصم أنجدهم ، والمعتضد اقتصدهم . التوحيدي (الإمتاع والمؤانسة ، جـ ١ ، ص ١٠٥) . ابن حمدون (التذكرة الحمدونية ، جـ ١ ، ص ٣٥٩) .

(١٥) الخضري (محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ص ٣١٥) .

(١٦) جرجي زيدان (التمدن الإسلامي ، جـ ٢ ، ص ١٣٦ ، الحاشية) .

(١٧) ترشيد الخبز ، تنقيص قيمة الرغيف ، وفيه قال الكردينال توتل اليسوعي : « يعد المعتضد من أعظم العباسيين مقدرة في تدبير المالية » . اليسوعي (المنجد في الأدب والعلوم ، ص ٥٠٣) .

(١٨) ابن حمدون (التذكرة الحمدونية ، جـ ١ ، ص ٣٥٩) .

(١٩) كانت وفاته كما أعلمنا المسعودي بصورة دقيقة جداً لأربع ساعات خلت من ليلة الإثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة (٢٨٩ هـ/ ٩٠٢م) في القصر الحسني بمدينة السلام . المسعودي (مروج ، جـ ٤ ، ص ١٨٤) ، ودفن بدار محمد بن عبد الله ، بناء على وصيته ، ودفن له فيها فحمل من قصره المعروف بالحسني ليلاً ليدفن في قبره هناك . الطبري (جـ ١١ ، ص ٣٧٣) .

(٢٠) الكراع : اسم يجمع الخيل .

(٢١) الثعالبي (لطائف المعارف ، ص ١١٨) . ابن حمدون (التذكرة الحمدونية ، جـ ١ ، ص ٣٥٩) .

(٢٢) جماعة من الناس يقومون بحراسة القصر بالمناوبة .

(٢٣) البيضان : أي الذين يلبسون الخوذات الحديثة المسماة بالبيضات .

(٢٤) الجنابين : أي الذين يأتون من خارج بغداد من الجانبين الشرقي والغربي .

(٢٥) المضاف : أي الجند القائم بالحراسة بباب العامة .

(٢٦) الصابي (الوزراء ، ص ١٥ ــ ٢٨) . الخضري (تاريخ الأمم الإسلامية ، ص ٣٩٥ ــ ٣١٨) . جرجي زيدان (التمدن الإسلامي ، جـ ٣ ، ص ١٥٣) . ميخائيل عواد (صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي ، ص ٦٠ ــ ٦٩ ، بغداد ، ١٩٨١) . عبد الكريم حتاملة (المعتمد في خلافة المعتضد العباسي ، ص ٩٧ ــ ٩٠) .

المصادر والمراجع

★ أولا ـ المخطوطات :

١ ــ ابن حمدون ، (٥٦٢ هـ/ ١١٦٧ م) : محمد بن الحسن بن حمدون (**التذكرة الحمدونية ، جـ ١**) ، مخطوطة مصورة في مكتبة كلية الآداب ، جامعة بغداد تحت رقم (١٢٨٢) .

★ ثانياً ـ المصادر :

١ ــ ابن الأثير ، (٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م) : أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (**الكامل في التاريخ ، ١٢ جزءاً**) ، عني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء ، الطبعة الثانية ، بيروت (١٣٨٧ هـ/ ١٩٨٧ م) .

٢ ــ ابن الطقطقي ، ت (٧٠٩ هـ/ ١٣٠٩ م) : محمد بن علي بن طباطبا (**الفخري في الآداب السلطانية والدولة الإسلامية ، بيروت**) (١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٦ م) ثم دار صادر ، بيروت .

٣ ــ التوحيدي ، ت (٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م) : أبوحيان علي بن محمد بن علي بن العباس (**الإمتاع والمؤانسة ، ٣ أجزاء**) الطبعة الأولى ، صححه أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة ، ١٩٣٩ م ، ثم الطبعة الثانية ١٩٥٣ م .

٤ ــ الثعالبي ، ت (٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨ م) : أبومنصور عبد الملك بن محمد الثعالبي النيسابوري (**لطائف المعارف**) تحقيق إبراهيم الأبياري وحسن كامل الصيرفي .

٥ ــ الذهبي ، ت (٧٤٨ هـ/ ١٢٤٧ م) : أبوعبيد الله شمس الدين محمد بن أحمد (**العبر في خبر من غبر**) الجزء الثاني ، تحقيق فؤاد سيد ، الكويت ، ١٩٦٠/ ١٩٦١م .

٦ ــ السراج ، ت (٤١٩ هـ/ ١١٠٦ م) : أبومحمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج (**مصارع العشاق**) ، مجلدان ، بيروت (١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٨ م) .

٧ ــ الصابي ، ت (٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧ م) : أبوالحسن الهلال بن المحسن بن إبراهيم (**الوزارة أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء**) ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

٨ ــ الطبري ، ت (٣١٠ هـ/ ١٩٢٣ م) : أبوجعفر محمد بن جرير الطبري (**تاريخ الأمم والملوك**) ١٣ جزء ، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية ، مكتبة خياط ، بيروت (بلا) .

٩ ــ الماوردي ، ت (٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨ م) : أبوالحسن علي بن محمد حبيب البصري (**الأحكام السلطانية والولايات الدينية**) ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، (١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٣ م) ثم طبعة (١٣٨٠ هـ/ ١٩٦٠ م) .

١٠ ــ المسعودي ، ت (١٣٤٦ هـ/ ١٩٥٧ م) : أبوالحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (**مروج الذهب ومعادن الجوهر**) ٩ أجزاء ، بيروت (١٣٨٥ هـ/ ١٩٦٦ م) .

١١ ــ المقريزي ، (٨٤٥ هـ/ ١٤٤١) : تقي الدين أحمد بن علي (**كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**) (حزيران) بولاق ، ثم طبعة جديدة بالأوفست ، بيروت (بلا) .

١٢ ــ اليعقوبي ، ت (٢٨٤ هـ/ ٨٩٧م) : (**تاريخ اليعقوبي**) ، جزءان ، باعتناء وي خويه ، بريل ، ليدن ، ١٨٨٣ م ، ثم ثلاثة مجلدات ، طبعة بيروت ، (١٣٧٩ هـ/ ١٩٦٠ م) .

★ ثالثاً ـ المراجع الحديثة :

١ ــ حتاملة ، عبد الكريم عبده (**المعتمد في خلافة المعتضد العباسي أحمد بن الموفق**) ، مطابع التعاونية ، عمان ، ١٩٨٤ م .

٢ ــ الخضري ، محمد (**محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية**) .

٣ ــ زيدان ، جرجي (**تاريخ التمدن الإسلامي**) خمسة أجزاء ، القاهرة .

٤ ــ عواد ، ميخائيل (**صور مشرقة من حضارة بغداد في العصر العباسي**) ، بغداد ، ١٩٨١ م .

٥ ــ اليسوعي ، فرديناند توتل (**المنجد في الأدب والعلوم**) ، بيروت ١٩٥٦ م .

الحجر الكريم

(إلى أطفال الحجارة)

شعر: هارون هاشم رشيد

كفي على حجري، من اللَهف الشديد تورّما
وفمي طويلاً، في إسار الظلم عسفاً ألجِما
عشرون عاماً، في العذاب، وفي الشقاء في الظما
وعروبتي مشغولة عني يُكحّلها العمى
كفي على حجري، يشذ تحرقاً وتضرما
يلقيه في وجه الدخيل المستبد مذموما
حجر كما طير الأبابيل، استثار وحوّما
رجّ الجبال الراسيات مزمجراً، رجّ السما
حمل الأمانة آية الآيات، أنشد رنّما
طفلٌ، تشرد، ذاق، ذلّ الاحتلال يتّما
طفلٌ، بريء الوجه والعينين هبّ وهمهما
طفل تربّى، مثلما الصبّار، عنفاً مثلما
رضع البطولة والرجولة صابراً متألّما
عرف الطريق، وخطّه بيديه خطّ وعلّما
يافا، وغزة، والخليل، وكلّ شبر أضرما
مافارقت يوماً عيوني لهفة، وتوسما
فإذا نزلت معسكراً، وإذا سكنت مخيّما
فمعي تظلّ مدائني وطناً عزيزاً ملهما
هي لي، وليست للدخيل وإن أباح وهدّما
يستغربون، ويعجبون، لمن أطلّ وأقدما
للطفل يطلع في سماء المجد ينثر أنجما
لبراءة تستولد العجب العجاب تقحّما
للصدر مفتوحاً تصدّى للرصاص تقدما
لا تعجبوا، للظلم نبتدع الصمود الأعظما
فإذا تخلفت العروبة، والملبّي أحجما
وإذا الخطوب تدافعت وإذا الفضاء تجهما
وإذا لباس اليأس دثرنا، وغامَ وأعتما
فأنا أكبّر في مآذننا، تقيّاً، مُسْلما
وأنا الذي أفدي المسيحَ بها وأفدي مريما
ياأنت .. ياوطناً يباحُ تعسفاً وتحكما
مابين أمريكا وإسرائيل وزع .. قُسّما
خاف البوارج والزواحف فاستكان وسلّما
هذا أنا، أيقظت بالحجر الكريم التُوّما
ورميت فارتاع الدخيل المستبد، وحطّما
هي حكمة التاريخ فاقرأ باسم ربك مُحْرِما
النصر آتٍ لا محالة قد أطل، تبسّما
هذي بشائره، تسطرها الحجارة والدما
طفل تدثر بالبطولة، واستعذ وأقسما
وهو الذي لا غيره، خط الطريق وصمّما





بدايات

مكبّر الصوت

● يبدأ تاريخ اختراع **مكبّر الصوت** Loudspeaker بعشرينيات القرن العشرين للميلاد .

في ذلك الوقت ، ظهرت الاكتشافات التي تساعد على تسجيل **الموجات الصوتية** Sound Waves ثم إعادة بثّها بواسطة التيّار الكهربائي . أما فيما قبل ، فقد كان **مسجِّل الصوت** Record player يعمل وفقاً لأفكار آلية بسيطة . أما **الجرامفون** ـ أو البيك آب ـ Sound box ، فكانت الترددات الآلية ، الناتجة عن حركة إبرته على الأسطوانة ، تتضاعف قوتها ، ثم يجري إيصالها إلى **المكبّر** Horn ، المثبَّت في أعلى الجهاز ، ومنه ينطلق الصوت مباشرة .

● في المرحلة التالية لجهاز الجرامفون ، أصبحت نظريات الكهرباء أكثر التصاقاً واعتماداً على مبادئ **علم الصوتيات** ، نظراً لأن مهمة الجرامفون ـ أو البيك آب ـ تتحدد في تحويل الطاقة من شكلٍ إلى آخر .. بمعنى أن الحركات الآلية الدقيقة الناتجة عن تحرك الإبرة على الأسطوانة ، تتحول إلى **إشارة كهربائية** . وبالإمكان « تضخيم » هذه « الإشارة » Signal بواسطة الجهاز الذي تم تطويره حديثاً ـ في ذلك الوقت ـ وهو « **مُضخّم الصوت** » Amplifier ، بيد أنه لم يتيسر ، وقتها ، توصيله بصورة جيدة إلى المكبّر horn . ولذلك كان من الواجب تطوير طريقة جديدة لتحويل الإشارة الكهربائية مرة ثانية إلى موجات صوتية . فكان ظهور مكبّر الصوت الذي نستعمله في الوقت الحاضر .

● يرجع أول وصف لمكبّر الصوت الذي لا يحمل مكبّر قديم Horn إلى عام ١٩٢٤ م ، حيث كان أول من أشار إليه الأمريكيان **سي . دبليو . رايس ، وإي . دبليو كيلوج** ، اللذان أدت جهودهما إلى ظهور مكبّر الصوت بنجاح وانتشار تجاربين . ولقد ظل نظام عمل مكبّر الصوت ـ الذي ابتكراه ـ هو المعمول به حتى الوقت الحاضر . فلقد أثبتت التجارب ، التي أجريت على امتداد الأعوام الستين الماضية ـ أن ثمة صعوبة كبيرة في اكتشاف بديل عن هذا النظام الذي قدم نوعية جيدة من التشغيل وبساطة ملحوظة في التركيب .

● هذا ، ومع ثلاثينيات **القرن العشرين للميلاد** أدخلت تطويرات جديدة على مكبِّرات الصوت استطاعت تفادي مشكلات التشغيل التي كانت تواجه الأجيال الأولى من تلك المكبّرات . ومن تلك المشكلات ما يلي :

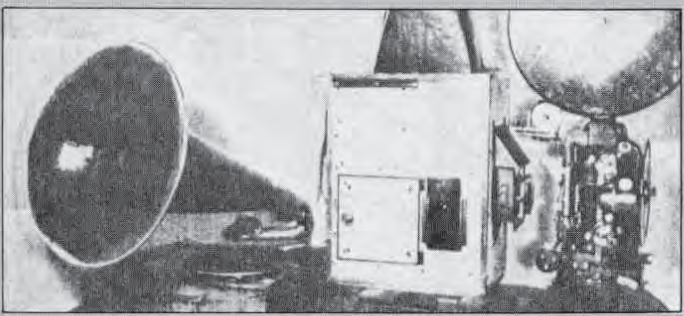
★ **أولاً** : ضرورة فصل الصوت بين السطح الخلفي لمخروط مكبّر الصوت « سطحه الأمامي » .

★ **ثانياً** : أن الموجات الصوتية كانت تنبعث في اتجاه واحد بدلاً من توزعها على جميع الاتجاهات .

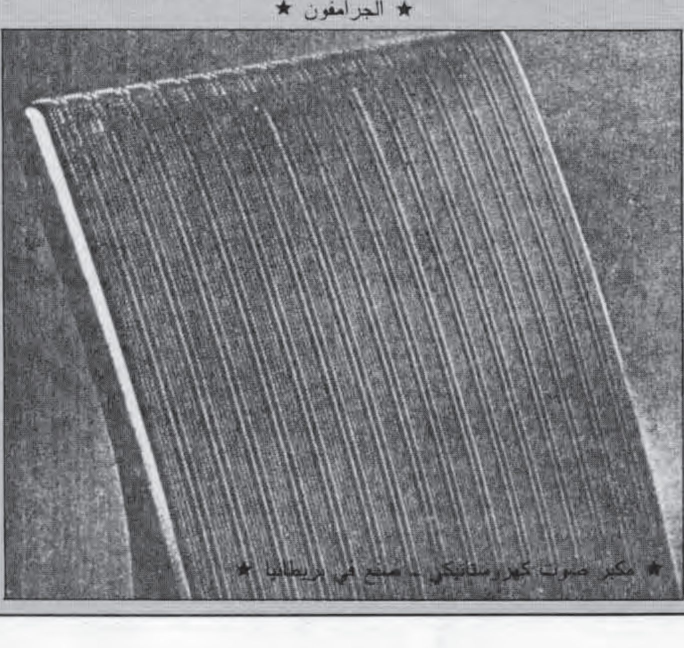
● وفي منتصف القرن العشرين هذا ، ظهرت أنواع جديدة من مكبّرات الصوت ، أثبتت صلاحيتها كبدائل لعدد معين من الاستخدامات . ومن تلك الأنواع ما يلي :

★ **المكبّر الشريطي** Ribbon ويستخدم لإنتاج ذبذبات الصوت العالية الكفاءة ، باستخدام مجال مغناطيسي يوضع فيه شريط معدني خفيف بطول عدة سنتيمترات وبقطر تسعة ملليمترات . ويستطيع هذا المكبّر إعادة بث الأصوات الضخمة بدقة كبيرة نظراً لأن الطاقة المختزنة في الشريط الخفيف ضئيلة جداً .

★ **المكبّر الكهروستاتيكي** Electrostatic الذي أثبت نجاحاً كبيراً لأن شريطه مصنوع من المعدن الرقيق أو المعدن المرشوش بطبقة من البلاستيك والموضوع قريباً من طبقة معدنية أخرى ثابتة .



★ الجرامفون ★



★ مكبر صوت كهروستاتيكي ـ صنع في بريطانيا ★

من المكتبة السعودية





★ حسين علي حسين ★

● الكتاب: الرحيل (مجموعة قصصية).
● المؤلف: حسين علي حسين.
● الناشر: دار ابن سينا للنشر والتوزيع بالرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

نحن أمام ثماني عشرة قصة قصيرة، تأتي تاريخياً بعنوان «الرحيل» قبل مجموعة قصصية، أصدرها سنة ١٩٨٣م، بعنوان «ترنيمة الرجل المطارد» لأن «الرحيل» طبعت لأول مرة سنة ١٩٧٨م، ولأن «الترنيمة» أكثر نضجاً من الناحية الفنية ـ وإن تكن شخوصها سلبية أشبه بالدمى أحياناً ـ وأقدر على تصوير الإطار الفكري العام الذي يدور فيه حسين علي حسين.

ومن الصعب الموازنة بين المجموعتين على أية حال، ولكن نقول بإيجاز إنه واقع بعمله هنا وهناك تحت طائلة الواقع المحزن الأليم، الذي يفرضه على شخوصه، وواقع أيضاً تحت طائلة التقليد الذكي لبعض الكتّاب الرافضين من العالم العربي، متسلحاً بحس وجودي ـ على نحو ما ـ وبوعي كامل لمشكلات عصره، ممثلة في ورشة صغيرة، أو دائرة ما، أو مقهى من المقاهي، أو حتى أحد الباصات التي تقطع شارعاً من الشوارع.

كما نقول إنه ـ من حيث هو مبدع ـ يتكئ كثيراً على التحليل الذي قد يجزئ الشخصيات والأحداث تجزيئاً، وقد يؤدي به هذا التجزيء إلى فضفضة تقتل نضارة الفكرة بين أصابعه، هذا بالرغم من بساطة تقنيته، وتحديده الصارم للحدث من ناحية، وللشخصية نفسها من ناحية أخرى.

وأكبر الظن أن حسين علي حسين إنما يسعى في مجموعته «الرحيل» ـ على نحو خاص ـ إلى أن يطرح تجربته الاجتماعية، بكل أبعادها المعقّدة، حتى لا تضيع وسط الآراء المتصاعدة من جانب الكتّاب والمصلحين في الفضاء، أو حيث يطويها الصمت السلبي الخانق.

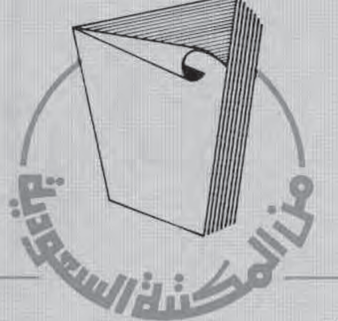
وإلا فلماذا يقدم لنا ذلك الساعي إلى مكتب حمدان بن حمدون الثري.. ومرتاد المقهى المضيّع.. والعقيم الذي يلبس عقماً ـ وقصته رائعة (ص ٣٧) وما بعدها ـ وصالحة المتهالكة.. والموظف النمطي، ومحمود الروتيني.. والباصقين والباصقات ـ في داهية.. تفوه!! ـ وغيرهم ممن يتحركون كالآلة، أو ينامون كالحجارة، مدمرين مشوهين، وبلا غاية في أغلب الأحيان؟

وربما كانت عبارة «بلا غاية في أغلب الأحيان» أبعد عن فَهْم حسين علي حسين لدور القصة القصيرة في الفن والحياة.. فهو يعمد إلى طرح الواقع في سلبياته الموحشة، ويؤثر في هذه الحالة ألا يسبغ على الشخصيات التي تتعامل بالفعل القصصي ما ينال من حياده المرسوم.

وهذا الحياد عنده يعني أن تعيش الشخصية ـ المدمرة غالباً ـ ظروفها وبمنطقها المدمّر.. ومثل هذه الشخصية لا يطلب منها قط أن تكون فاعلة بغير القلق الذي تعانيه، وماذا يعطي القلق إلا القلق؟

ونقول ـ بعبارة أخرى ـ إن حسين علي حسين يعزل الشخصية عن غير اللحظات التي تعيش منطقها.. وهذه اللحظات بدورها في حالاتها الاجتماعية المتداخلة مختنقة بالأوهام والأعباء والخمول، ولا يملك هو إزاءها إلا طحنها إلى حد اليأس، ولا نملك نحن ـ بعد ذلك ـ إلا الاشفاق عليها والرثاء!

وما أكثر ما تصادفه كل شخصية من متاعب مبعثها أحياناً قلة المال وكثرة الديون، وأحياناً الفراغ والملل، وربما مشكلة عائلية «زهقان.. ليس لي نفس على الدراسة».. «الظهر أذن.. من الصباح لم تفعل أي شيء».. «أنا حر آكل أي شيء، كل شيء أريد أكله يمكن أن آكله، فلم يبق شيء لم يأكله الآخرون لي.. كل شيء يخصني أكلوه.. أمي أكلت ميراث أبي، وجعلتني أتنقل من محطة إلى أخرى كأنني كمساري.. كان الأجدى بالعجوز أن تفتح لي دكاناً لبيع الغاز، حتى أبيع، وأحرق كل من يعترض».. «ويتأفف قاتل تمدّ نظراتها لسقف الصالة الخمري، وتنزلها في نظرة شمولية حولها.. آنية مكسرة، بقايا أسطوانة قديمة.. أنبوبة معجون، وخاتم ماسي مزيّف.. تقلّب أصابعها.. غسيل البلاط المرهق. الأرض قذرة، يا للمهزلة.. وترفع يدها وبحركة طائشة تغيّر مفتاح الراديو مرة أخرى...».







★ عبد الله باجبير ★

تعمدنا اختيار تلك المقتبسات بغير خطة، والمحصلة هي تلك الرؤية المؤسية للحياة، وهي أيضاً المفهوم الخاص لفن القصة القصيرة، من حيث إنها موهبة قص أولا، ثم استرفادات من الثقافة العامة بعد ذلك.

ولقد تفوّق حسين علي حسين بهذه وتلك، وفي وسعنا ـ بكل سهولة ـ أن نجد عدداً طيباً من القصص الناجحة في مجموعة «الرحيل»، غير أن قصته الأخيرة «رقصة أخيرة للاعب العجوز»، تكشف عن موهبته الحوارية، حتى لكأنه مؤهل بذكاء حسه ورهافته لأن يكتب الدراما، في أحد مواقف تلك القصة ـ وهي طويلة نوعاً ـ يعرب البطل لأمه عن هاجس ألح عليه:

ـ سأواجه الشيطان من جديد.

قالت بلا تفكير: كلكم شياطين.

«اللعنة».. : كان الأولى أن تسأليني من هو الشيطان الجديد؟

ـ يكفي أنني أواجهه كل يوم.. كل يوم.

ـ حسناً سأخرج الآن.

ـ اخرج.

وأما ما تناثر منه ومن ركاب السيارة الحافلة والكساري فاكثر من آسر.

✸

● الكتاب: قل لي من أنت.

● المؤلف: عبد الله باجبير.

● الناشر: أبو حسن للنشر والتوزيع بجدة.
الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

في ٤٢٢ صفحة من القطع الصغير ـ عدا صفحات الفهرس ـ وداخل ستة أقسام ومقدمة، يقدم لنا واحد من أبرز كتابنا الصحافيين عصارة فكره، برشاقة وطلاوة، بأسلوب حديث لا يقطع صلته بجزالة لغتنا وواسعة الثراء.

والمنطلق «أنا» بالنسبة للذات أي بالوجه الذي يراه الفرد، ويقتضي هذا وجود «أنا» الآخر أي الوجه العام الذي يُقَدَّم للآخرين، كذلك يقتضي وجود أنا ثالثة ـ في الحقيقة ـ هي التي يمثلها الوجه كما يتقبله أو يراه الآخرون، وهذه الوجوه تخفي وجهاً رابعاً هو المجهول الذي يعرف «أنت في ذاتك... فهذا هو اللغز الذي لا مفاتيح له، ومنذ قال سقراط: اعرف نفسك! حتى كتابة هذه السطور والإنسان في ذاته هو لغز الألغاز» (ص ١٠).

فهل فهمت ـ عزيزي القارئ ـ ماذا يقصد الكاتب عبد الله باجبير بعنوان كتابه «قل لي من أنت».

إنه يريد أن يعرفك ويفهمك كي يتحدث إليك بكل ما يعتمل في نفسه من خبرات، وبكل ما احتشد للتحصيل المعرفي.. وهو متنوع، وجم الفائدة ولا يخلو من متعة، وقد يحمل وجهات نظر ـ متفائلة غالباً ـ لو جمعنا ما تفرق منها لرأيت نفسك أمام فلسفة يمكن أن تكون شاملة.

أما القسم الأول من الأقسام الستة التي يتضمنها كتاب باجبير، فبعنوان «أنا وأنت والآخرون» (ص ص١٥ ـ ١١٠)، والثاني عنوانه «... وأشياء أخرى» (ص ص ١١٣ ـ ١٥٨) وهو يبدو ضميمة للأول أو تكملة، وهذا الحكم لا يعني أكثر من أنّ مادته من قبيل المادة الأولى: معارف عامة عن الإنسان ـ عاماً وخاصاً ـ في المجتمع، وعلى مستوى البشرية، وداخل كل الجبهات.. حتى وإن تكن جبهة لينين، والجيل الخامس من الكمبيوتر، والناس الذين يلعبون بالذهب في حين يموت آخرون جوعاً «سبحان مقسم الأرزاق».

وأما القسم الثالث «قل لي يا دكتور» (ص ص ١٦١ ـ ٢٢٨) فتغلب عليه الطبابة والظواهر المرضية وأسباب العلاج ـ حتى علاج العقم بالثوم ـ ووظائف الاعضاء ونحو ذلك. أي أن القسم متميز بوحدة مادته، وأنه أهل لأن يكون قسماً يدعو إلى السلامة وتوفير أسباب الراحة بعيداً عن التوتر في عصر يمكن تسميته بعصر الهلوسة في مقابل عصر الكمبيوتر مثلاً أو عصر الذرة!

إلا أن هذا التقويم يفتقد تماماً طراوة عرض باجبير لمادته، وحسن اختياره للموضوعات المثيرة اللافتة، وإلا فهل ننكر طرافة الأذن الكهربائية في تجربة دافيد كولمبس.. ونظرية الدكتور كريستوفر إيفانز عن النوم.. وعلم الهندسة الوراثية.. وطريقة استخدام المخ.. ومزايا الألم؟

ويأتي القسم الرابع «بلاغات عاطفية» (ص ص

٢٣١ ـ ٣٠٤) في نحو سبعين صفحة حافلاً بموضوعات أقل جدية مما كان عليه القسم الثالث، ولكنه أكثر بعثاً على النشاط والخفة. ومع ذلك نجد في حشد موضوعاته «كوميديا الطلاق» (ص ٢٨٩) أخطر موضوعات المجتمع الإنساني، ويعقبه مسلسل المرأة وأول حلقاته «لا معها ولا ضدها» (ص ٢٩١) أي أنه محايد إيجابي، بمعنى أنه مع المرأة ما كانت بعيدة عن ممارسة المصارعة الحرة ولا تقبل إشعال جحيم الغيرة ولا تلجأ إلى الكذب بالدموع ولا تكون مبرمجة بالشر!

فماذا بعد؟

وهل يشفع له ـ حتى لا تغضب الأم والزوجة والأخت والحبيبة ـ أن يدعي بأنه ضرب بها الأمثال الآتية من إنجلترا وفرنسا وإسبانيا؟

«وإذا سألتني رأيي الشخصي سأقول لك إضافة إلى التحليل الذي قدمناه إن الحكم على امرأة من رجل يتوقف إلى أبعد حد على تجربته معها.. أليس كذلك».

وهكذا توقف حمار الشيخ!

وعلى جمال «شطحات ونطحات» التي تعني القسم الخامس من أقسام الكتاب ـ وبخاصة زرياب.. جاكسون، وأفلامهم بصفة خاصة ومسلسل الفنان والمرأة بحلقاته الخمس ـ نتركه إلى القسم السادس والأخير، وعنوانه «متسكع على الورق» (ص ص ٣٦٥ ـ ٤٢٢).

وقيمة هذا القسم الذي تخطينا قسماً من أجل الوصول إليه، أنه في الأدب بمعناه الواسع. أي عندما يكون تاريخاً وأطرافاً من علوم الأوائل ـ كالسحر وأخبار الجن ـ وجغرافياً واجتماعياً بجانب أنواع الأدب من منظوم ومنثور.

وإلى اليوم يدرج التاريخ في الأدب بمعناه الضيق، وتكتب بمنهجه السيرة الفنية، ويتحكم منطقه فيما يُسمى بالنقد العلمي الذي أوجده الصديقان سانت بيف وهيبوليت تين في القرن التاسع عشر.

المهم أن باجبير مثلما جلّى في الأقسام المتقدمة، زوّدنا بمتعة مفيدة جلّى بها في هذا القسم أيضاً. فمن قصيدة في الفراش تجلب النوم مع موسيقى وكوب لبن ـ وكوب اللبن هو الأقوى تأثيراً بطبيعة الحال ـ إلى الغول والجن الذي فات باجبير أنه حقيقة قررها القرآن الكريم، إلى رحلات جاليفر وخلطة الكباري المسكرة، إلى دراسات عن التاريخ العربي.

وعن هذا التاريخ ـ بالمناسبة ـ أقول إنه مشوّه حقيقة، والعرب الذين أرادوا أن يعيدوا كتابته لم يظهر واحد فيهم جريء جرأة فيكو أو رانكه أو مومسن أو لامبرخت أو توينبي أو إرنست كاسيرر، فينظر إليه نظرة ثورية مستقلة تهدم كل المقولات الأجنبية المشبوهة، وهذه للأسف الشديد نخضع لها ببلاهة، ونجعلها منطلقاً لكتابة تاريخنا. ومن هنا نعترف ـ مثلاً ـ بأفضلية الهندوجرمانية، أو الهندوأوروبية على السامية العربية، وبمقتضاها فقدنا ريادتنا الحضارية حتى في عصور الأسطورة المتقدمة!

على أن لهذا حديثاً آخر، فإن عدنا إلى كتابات باجبير في باب أدبه أو في تسكعه على ورقه نرى البومة التي كتب عنها الجاحظ والدميري، ونرى الخطأ الذي وقع فيه في توصيف بعض الحيوان والطيور، جنباً إلى جنب مع ساجان والخروف الطائر وكتّاب السيناريو (وهؤلاء لا علاقة لهم بالحيوان). كما نرى غير ذلك مما اتخذه باجبير ـ مع ما تقدم ـ نقطة وثوب على القارئ ليقول له معتذراً عن هنوات أشار إليها: أنا أمارس الكتابة بواسطة المعلومات!

✸

• الكتاب: العربي في الصحافة الأمريكية
• المؤلف: غازي زين عوض الله
• الناشر: تهامة جدة ـ ط (١) ١٤٠٦ هـ /١٩٨٥ م
• [١١٩] صفحة من القطع المتوسط

الجديد في هذا الكتاب هو افتراضه نشوء علاقة وثيقة بين متغيرات العلاقات العربية الأمريكية في العقدين الأخيرين، وبين الصورة الذهنية عن العرب في افتتاحيات الصحف الرئيسية في الولايات المتحدة الأمريكية، خلال ٢٢ عاماً (١٩٦٠ ـ ١٩٨٢ م).. والجديد الثاني في الكتاب ـ كما نلاحظ ـ هو تغطيته الفترة القريبة جداً (١٩٨٢ م).

يتكون الكتاب من أربعة فصول تضمنت: ملامح العلاقات الأمريكية العربية، ودور وسائل الإعلام في تكوين الصورة الذهنية عن الشعوب، والاجراءات المنهجية التي

من المكتبة السعودية





★ غازي زين عوض الله ★

اتبعها الباحث في هذه الدراسة ، وتناول أخيرا صورة العرب و الإسرائيليين في افتتاحيات الصحف الأمريكية . لذا يعود الكاتب إلى جذور العلاقات العربية ـ الأمريكية في فترة الأربعينيات من القرن الميلادي الجاري ، ثم يعلل الانحياز الأمريكي التام لصالح الكيان الصهيوني في الخمسينيات ، برفض العرب الدخول في الأحلاف التي كانت واشنطن تسعى لتكوينها في المنطقة .. لا سيما أن عددا من الدول العربية أخذ في الستينيات يحصل على المزيد من الأسلحة السوفياتية .

ويناقش المؤلف العلاقة المفترضة بين افتتاحيات الصحف والرأي العام ، حيث يتأثر كل منهما ويؤثر بالآخر في آن معا ، كما يبحث بصورة موجزة طبيعة المعرفة الإنسانية وصلتها بوسائل الاتصال الجماهيري .

ويعتمد الكاتب في تفسير التحيز الحاد لدى الصحف الأمريكية الكبرى ضد العرب ، على دراسات سابقة (ميشيل سليمان الذي ينحي باللائمة على العرب الذين يعتقد أنهم يسيئون طرح قضيتهم على الرأي العام الأمريكي ، وسعد الدين إبراهيم الذي يركز على إبراز الدور الخطير الذي تقوم به جماعات المصالح الضاغطة « اللوبي » ...) .

ثم يعرّج الكاتب على أهمية حرب ١٩٧٣ م في إحداث تعديل طفيف على موقف الصحافة الأمريكية التي باتت أقل ـ نسبياً ـ في انحيازها لإسرائيل ، ويوضح الكاتب غازي زين الأثر الإيجاب لسلاح النفط الذي استخدمه العرب في تلك الحرب بصورة ذكية .

وتبقى بضع نقاط مهمة في الكتاب ، يجدر بالقارىء مناقشة المؤلف حولها ... فهو يفترض نشوء تبدل إيجابي اتسم بشيء من العدالة في السياسة الأمريكية بعد ١٩٧٣ م ، ولا يقدم دليلا مقنعا ، في حين تشير الوقائع الماثلة أمامنا إلى العكس ، حيث بلغ الانحياز الأمريكي إلى عدونا ، حد الاتفاق الاستراتيجي بينهما ..

كما أن الكاتب حاول التشكيك في نتائج باحثين آخرين ، خلصوا منها إلى أن الصحافة الأمريكية الحرة لم تكن حرة ولا مستقلة تماماً عن الخضوع لجماعات ضغط معينة ... وهنا أيضا لا يقنعنا المؤلف بمرئياته التي لا يفند فيها آراء الآخرين بالأدلة المنطقية المقنعة .

أخيراً ، فإن الكتاب ـ على قيمته ـ يشكو من عيب أخذ يظهر في كثير من الكتب الحديثة ، إذ تضيع صفحات كثيرة في شؤون كان ينبغي المرور بها في مقدمة موسعة نسبياً .. إن الكتاب الذي بين أيدينا تاه في البحث عن دور وسائل الإعلام في تكوين الصورة الذهنية عن الشعوب ، وكذلك في تقديمه الإجراءات المنهجية لدراسته ، فأصبح صافي المساحة التي خصصت للبحث الذي هو محور الكتاب ـ كما يفترض من عنوانه ـ ٢٩ صفحة فقط (من ٥٩ إلى ٨٨) !!!

✱ ✱

- الكتاب : قصائد من الجبل (ديوان شعر) .
- المؤلف : مجموعة من الشعراء .
- الناشر : نادي أبها الأدبي . عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .

في مجلد أنيق فاخر يغري باقتنائه ، يقدم لنا نادي أبها ستة شعراء من الجبل أكبرهم سناً شاب في الأربعين ، وأصغرهم في العشرينات الأولى يحلم بشاعرة الليل الذاهبة !

وأول الشعراء الستة ـ في إخراج الديوان ـ أحمد عسيري ، وله ثماني قصائد هي في حكم الشكل العمودي بالرغم من أنه يتحلّل من الرويّ غالباً . وإذا كان تقديم «أماه لا ترحلي» يعتمد قصيدة التفعيلة ، فإن قليلاً من التأمل يبين الأشطر المتساوية ، إلا ما ندّ وهو نادر .

أساس شعر التفعيلة هو التحرّر

من المكتبة السعودية



من نـظام البيـت وسـياقاته المختلفـة مشطوراً كان أو مجزوءً ، وليس يـكفي التخلّص من الرويّ . ولذلك يحسب أحمد عسيري على الشعر التقليدي ، بل هـو أكثر تقليـدية مـن أكبر شـعراء المجموعة ، وكثيراً ما يقع في ثرثرة بلاغية لا تصل إلى حد الشعر الجيّد .

بل – أيضاً – تتعقّد الصورة عنده حتى ليغيم مدلولها ، من ذلك قوله على سبيل المثال (ص ٢٤) :

وهذا الأنين وهذي الجراح
معازف ضَيم تذيب المهج
وتسكت لحن الضيا والصباح
وتشنق في راحتيها الوهج

على أن الشاعر – في الجملة – مستسلم تماماً لأحزانه التي لا تريد أن تموت ، والتي تشكل نغماته على الطريق حتى لتجعل كلماته طينية تصف بؤس الإنسان وبقايا الألحان وصرير الموت (على) الأبواب .. أحقيقة تلك السوداوية ؟ ولماذا كل هذا اليأس ؟

والشاعر الثاني في المجموعة علي أحمد عسيري ، يتقدم بست قصائد تشهد على أنه يمتلك زمام الشعر وإن يتأخر شيئاً في صياغة المرسل ، لاستسلامه الكامل لأسر البيت التقليدي . إلا أن قصيدته « أشهد ألا عدلا » تشذ عن ذلك بالقياس إلى قصيدتيه « المرأة والظل » و« بكائية طفل » ، يقول (ص ٦٥) :

وأجيء أنا العربيّ على مهل
وبذاكرتي وطن قد كان يُسمّى
لبنانا
وفلسطينَ ورائي صامتة
حُبلى بالقيظ وحرّ القيظِ
ومرّ الصبر وأيتام وحزانى
والعالمُ كلُّ العالم في المنفى
يشهد كلَّ مآسينا
لا يُثبت أو ينفي
أشهد ألا عدلا !

بنية القصيدة « أشهد ألا عدلا » هي في جلتها قائمة على مجموعة محاور تشكل المأساة العربية داخلياً وخارجياً . وبعد أن يرفع عقيرته في وجه دعاة القومية والحزبية والقطرية – وكان قد لعن الغرب الكافر والشرق الخائن – يشير إلى « شيمتنا الإسلامية » فيؤبن بها ومن خلالها شهداء فلسطين ولا غالبَ إلا الله ، وأما الأبناء فيبخ صوت الشاعر في مخاطبتهم .

وأما الشاعر الثالث فهو علي عبد الله مهدي شاعر الحقيقة والجهاد ، وفي قصائده الأربع التي أتحفتنا بها المجموعة مُتون مُلسٌ ونَفَسٌ قوي وعيون كثيرة و ...

وهمومي همومُ شعب وأرض
تَتلظى في قلبيَ الخفّاقِ
ربّ أسمِعْ صوتَ الهدى كل أذنٍ
واحضني يا رياضُ نخلَ العراقِ
عانقي تونساً ومصر وشاماً
ما أحَيْلَى العناق بعد الفراقِ

وهو – في تيه متواضع ! – يعلم ذلك . ومن ثم آثر أن يتقدم لنا مستهلاً بلغته الرفيعة البديعة ، ليقول (ص ٧٧) :

أرسلت في طلب المعاني طائري
وجمعت من رَوْض البيان أزاهري
وأتيتكم بمشاعلي ومشاعري
بيضاءَ كالفجر الجميل السافر
وأرى الجمال لمقلتيَّ مجسَّماً
في سابح في سائر في طائر
في عامل في عادل في مؤمن
في مصلح في شاكر في ذاكر
أنا شاعر غمر الضياء معازفي
والخيرُ مِلْءُ جوانحي وحناجري

حسناً .. ولا فُضَّ فوه هذا الشاعر ، إنما نظلّ في حاجةٍ إلى صوته وهو يتسلل إلينا بقدرٍ أكبر من الواقعية ، وهذا يعني قدراً أصغر من المطلقات غير المحدودة !

والشاعر الرابع في ترتيب المجموعة هو محمد حسن غريب الألمعي ، وله سبع قصائد (ص ١٠٠) :

تتغذى من فؤاد ما اجتنتْها كفُّ قاطفْ
هاكها خردُ غوال لؤلؤاً واليم عاصفْ
تتجلى مثل بدر نيِّر والأفق صائفْ

ولو قبلنا ذلك – ونحن نقبله – فلابدّ أن نحمّل غريباً الألمعي مسؤولية الرسالة ، لا من حيث صدقُها ولا صعوبتها حتى ليظلّ « بين مقذوف وقاذف » وإنما من حيث هي فاعلية إيجابية ، حتى ولو كانت مجرد أحلام شاعر أو صوراً لخواطر رسمتها ريشته ببراعة « في تلك الحواضر والبوادي » أو توسلات في محراب الحبِّ الأكبر .. حبّ

الوطن حيث لا يجدي أن يغنيه بمثل قوله :

وطني رأيتك في الكرى
طيفاً يداعب مقلتي

وقوله :

وطني رجولتك مذنباً
فاغفر فديتك ذلتي

وبخاصة أنه نصب نفسه – ولا بأس إطلاقاً – ذائباً عن الشعر ، والشعر فيما يعرف لا يسعده أن يقول صاحبه (ص ١١٣) :

أنا شاعر غنّى مع الصبح الجميل ورَدّدا
وأقام من ميْل القريض وذبّ عنه وسَنّدا
صاغ الخيال زمُرُداً وبنَى الحقيقة عسجدا

حتى وإن كانت الصياغة بكلّ هذا الجمال ، وكل هذه العذوبَة .. الشعر رسالة أو موقف وفلسفة رأي .

والشاعر الخامس محمد زايد الألمعي ، سجلت له المجموعة ست قصائد أعذبها « رقصة عسيرية » ، (ص ١٣٩) وإن شابها هذا الأسى الذي يهوّم على سائر قصائده .. سافر بالحرف وفي الحرف ، أم شكا وجع البقاء في الدوامة والضجر ، أم عاد يزفّه الورد حاملاً الشمس والقمر ..

والعناقيد في دمى
تحمل الشهد والثمرْ

فهو في كل الأحوال مفجّع ، يزرع الآه تارة – كما يقول – والقدر تارة أخرى ..

فالهوى صار دمعة
والندى صار كالحجرْ

لا أدري – مرة أخرى – لماذا يتنكّب الجادة وهو بعدُ في أول الطريق ؟ ماذا لو تقدم به العمر وطالت به تلك الطريق ؟ أيتناثر – كما يقول – هشيماً في فم المجهول ؟ نحن نفضّل لو ظل ينشد في فرح خال من الهموم (ص ١٣٩) :

كلام حبيبتي سكرْ
وعيناها عسيريه
وفي منديلها الأصفرْ
نما قرٌ وجوريه
وشال حبيبتي عطرْ
وأزهار ربيعيه

وأما الشاعر السادس – في ترتيب المجموعة – فهو محمد عبد الرحمن الحفظي ، الأصغر سناً ، والتالي بعد أحمد عسيري في اجترار الحزن وقد ..

خانه الحزن حينما
صار صوتاً وغرُدا
جاء من ألف ليلةٍ
وانتهى مثلما بدا

وفي قصيدته « البحث في وطن كبير » وهو من هو في الفتاء يقول (ص ١٤٥) :

طيوفٌ تخزن الفجرا
وعمرٌ يجهد العمرا
يرى نهر الحياة يسيـ
ـر لكن ما له مجرى

لمجرد أنه لا يراها ولا يلمس لها كفاً أو يلثم لها ثغراً .. من هي ؟ أفاتنة شاعرة الحبّ المعذّبة والمعذّبة ، أم ذكراها ، أم ملهمته الأخرى التي يهمي ثغرها بالكلمات عند اللقاء ..

.. أودّ بشوقيَ المؤارِ حقاً أن أقلبه
وأن أتدارك الإدبارَ
أدنو نحوه أقربْ
أخاف صغيرتي الحسناء
والأشياء تمنعني
ومعنى الحب يمنعني !
(ص ١٦٩)

على أي حال لا يعنينا أمرها ، وإنما الذي يعنينا هو الشاعر وبخاصة إذا كان واعداً ويستطيع أن ينشد مثل ما أنشد ، وقبل ذلك مثل قصيدته « السماح » (ص ١٥٧) ، وإن كانت مثقلة بالحسن الفاجع .

✵ ✵

رحلة في كتاب



العلم عند الأتراك العثمانيين

تأليف :
د . عبدالحق عدنان آديوار
عرض :
د . الصفصافي أحمد المرسي

ولد عبد الحق عدنان آديوار في غاليبولي ١٨٨٢م = ١٣٠٠ هـ وأتم دراسته في استانبول ، هاجر إلى أوروبا ، ومارس الطب في برلين ، ثم عاد إلى وطنه بعد إعلان الدستور بسنة واحدة وعيّن أستاذاً في كلية الطب ، ثم انضم إلى الجيش العثماني خلال حرب طرابلس الغرب والحرب العالمية الأولى بصفته طبيباً ومفتشاً في الهلال الأحمر .

اشتغل آديوار بالسياسة ، وكان عضواً في آخر مجلس للمبعوثات في الدولة العثمانية ، عيّن وكيلاً لوزارة الصحة والخدمات الاجتماعية في أول وزارة يشكلها مجلس الأمة التركي في أنقرة . وظل عضواً في البرلمان عن استانبول حتى ١٩٢٦م = ١٣٤٥ هـ ، ثم اختلف مع كمال أتاتورك لموقفه من الخلافة والإسلام فترك البلاد هو وزوجته الأديبة المشهورة خالدة أديب آديوار وتوجها إلى أوروبا .

ظلا في فرنسا وانجلترا حتى عام ١٩٣٩م = ١٣٥٨ هـ . وبدأ أبحاثه العلمية وهو في باريس ، واختير أستاذاً للغة التركية في معهد اللغات الشرقية في باريس ، وظل يشغل هذه الوظيفة لمدة ثماني سنوات وهو الذي كتب الفصل الخاص بتركيا الحديثة في **دائرة المعارف البريطانية** Encyclopedia Britanica أثناء اقامته في انجلترا . وبعد أن عاد إلى الوطن ترأس الهيئة العلمية التي شكلتها وزارة التعليم لإصدار **دائرة المعارف الإسلامية باللغة التركية** وتوفي في استانبول ١٩٥٥م = ١٣٧٥ هـ . وله عدة مؤلفات بالفرنسية والتركية .

الكتـــاب

يتكون كتابه « **العلم عند الأتراك العثمانيين** » من ثمانية فصول ، وأربع مقدمات وخاتمة وفهارس ركز المؤلف في مقدمته الأولى والخاصة بالطبعة الفرنسية على ما يقصده بكلمة « **العلم** » . وحاول التفريق في مفهومها عند الغربيين وعند الشرقيين . وبيّن أن المقصود بهذا البحث هو العلوم التطبيقية أو المثبتة والمرادفة لكلمة «Seince» . ولا يُدخل فيها علوم الدين أو علوم اللغة وما شابهها من العلوم النظرية . وأن كلمة « مدرسة » ترادف كلمة « كلية » وتساويها تماماً كما ترادف Collège الفرنسية .

وفي المقدمة الثانية للطبعة التركية أوضح أنه اضطر إلى تأليف كتابه بالفرنسية للرد على المحاولات الشرسة التي أراد بها أصحابها تعرية المسلمين عامة والعثمانيين خاصة من كل نتاج عقلي يتصل بالعلوم العقلية .

أثبت المؤلف في كتابه ماكان للأتراك العثمانيين من فعاليات علمية في ميدان **العلوم الطبيعية** بصرف النظر عن اللغة التي كتبت بها تلك الأعمال العلمية ؛ خاصة وأن العربية كانت لغة العلم والدين ، والفارسية هي لغة الأدب والفنون في تلك الحقبة من التاريخ . وبناءً على ذلك فإن المؤلف ركز في بحثه على الأعمال العلمية التي ألفها الأتراك حتى وإن كُتبت باللغة العربية أو الفارسية .

★ د . عبد الحق عدنان آديوار ★





• **الفصل الأول** : تناول الوضع العلمي لدى العثمانيين في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ؛ وبادىء ذي بدء يبيّن أن العثمانيين لم يبدأوا من فراغ ، بل إنهم ورثوا ملك السلاجقة ومؤسساتهم العلمية بكل نمطها وطرزها ، بل وحتى مناهجها وأساتذتها وطلابها . وأن أول مدرسة عثمانية أنشأها **أورخان بك** سنة ١٣٣٢/١٣٣٠ = ٧٣٣/٧٣١ هـ كانت عبارة عن استمرار للمدارس السلجوقية ، وأنه شيدها في « **إزنيك** » التي كانت تُعد آنذاك ملجأ العلماء . وعيّن عليها **داوود بن محمود الرومي القيصري** [ت ١٣٥٠ م = ٧٥٦ هـ] كمدرس أول عليها . وقد كان عالماً متخصصاً في العلوم العقلية والنقلية معاً ، أتم دراسته في **مصر** ، وأن الذي تولاها بعده هو العالم الجليل **قره علاء الدين** (١٣٩٣م = ٧٩٦ هـ) خليفة العالم **تاج الدين الكردي** .

أما **المدرسة الثانية** فقد تم تشييدها في مدينة « **بورصة** » بما خصصه لها القائد « **لا لا شاهين** » من غنائم فتح **إزنيك** . وقد كانت لغة التدريس في هذه الكليات اللغة العربية ، وأن برامجها كانت تشمل إلى جوار علوم الفقه والكلام وعلوم الرياضيات والمنطق والفلك ، وقد تم ترجمة بعض الكتب العربية العلمية إلى اللغة التركية كترجمة « **مفردات ابن البيطار** » وهي ترجمة لكتاب العالم البيطري **ابن البيطار** الذي نال شهرة واسعة في القرن الثالث عشر الميلادي وكانت وفاته ١٢٤٨م = ٦٤٦ هـ والمسمى « **كتاب الجامع في الأدوية المفردة** » . وهو يحتوي على أسماء الأعشاب المستخدمة في بيطرة الحيوانات وطرق استخدامها ومرتب على حروف الهجاء .

وذكر المؤلف من العلماء الذين تخرجوا من كلية « إزنيك » العالم **شمس الدين محمد بن حمزة الفناري** المتوفى ١٤٣١/١٤٣٠ = ٨٣٤ هـ والذي أكمل تحصيله العالي في « **قرامان** » ثم مصر ، وقد تخصص في العقلية ، وزامل الطبيب « **حاجي باشا** » في القاهرة عندما كان يدرس الطب في مصر بدوره . وأن مولا فناري هذا قد ألف كتاباً عن سطح الأرض أسماه « **أنموذج العلوم** » وكان كتاباً « انسكلوبيدياً » أي دائرة معارف عن سطح الأرض .

ومن علماء العلوم المثبتة الذين نالوا شهرة واسعة في « بورصة » العالم **موسى باشا بن محمود بن محمد صلاح الدين** والذي اشتهر بـ « **قاضي زاده الرومي** » وقد كان فلكياً ورياضياً شهيراً ، أكمل دراسته في بورصة ثم سافر إلى خراسان ثم تركستان من أجل الاستزادة العلمية في مجالي الرياضة والفلك ، وأنه تولى إدارة **مرصد** « **سمرقند** » عقب وفاة العالم **غياث الدين جمشيد** . وألف كتاب « **شرح أشكال التأسيس** » ثم تولى رئاسة مدرسة « سمرقند » في عهد « **ألوغ بك** » الذي كان يذهب إليه في بيته من حين لآخر لإعادته لمباشرة التدريس إذا ما تركه لسبب أو لآخر .

وأشار المؤلف إلى كتاب « **خواص الأدوية** » الذي ألفه **مراد بن إسحاق** في علم الطب على أنه أول كتاب تركي في مجاله . ويتضح من مقدمة هذا المخطوط أن مؤلفه قد استفاد من كتاب « **القانون** » **لابن سينا** ، ثم أشار إلى **حاجي باشا جلال الدين خضر** الذي درس في مصر وأصبح طبيباً مشهوراً ، وله في الطب « **شفاء الأسقام ودواء الآلام** » وقد ألفه بالعربية ١٣٨١م = ٧٨٣ هـ وأنه قد سار في تأليفه على طريقة **غالينوس** وابن سينا ، ولنفس العالم « **كتاب التعليم** » وله أيضاً « **وصايا** » وهو عبارة عن نصائح يقدمها للأطباء عند ممارسة المهنة بدءاً من ملبسه إلى طريقة التعامل مع المرضى .

ويعدد المؤلف في فصله هذا العلماء الذين اشتهروا خلال القرنين المعنيين بالدراسة مع ذكر الكتب التي ألفوها والأساتذة الذين تخرجوا على أيديهم ، وأشهر المكتبات العالمية التي تحتفظ بنسخ من كتبهم . وأهم ما يلفت النظر في هذا الفصل أن المؤلف أورد أن الأطباء وعلماء الرياضة والعلوم كانوا يؤلفون كتبهم باللغة العربية ثم يترجمونها إلى اللغة التركية حتى تلقى الرواج المطلوب بين الشعب كما راجت بين العلماء .

عهد محمد الفاتح

أما **القسم الثاني** فقد خصصه المؤلف للحديث عن العلم في عهد **السلطان محمد الفاتح** الذي جلس على عرش السلطنة سنة ١٤٥١م ٨٥٥ هـ **ولقب بالفاتح لفتحه مدينة استانبول** ١٤٥٤م = ٨٥٩ هـ . ويبيّن المؤلف أن الأتراك إذا كانوا قد اهتموا منذ تأسيس دولتهم ١٢٩٩م = ٦٩٩ هـ وحتى تولي الفاتح الحكم بعلوم الكلام والفقه والمنطق كما كان عليه الوضع في العهد السلجوقي إلا أنهم أيضاً قد تركوا آثاراً ناضجة في الرياضة والفلك كأعمال قاضي زادة الرومي وحاجي باشا في الطب .

وأوضح المؤلف أن الفاتح نفسه قد اهتم اهتماماً كبيراً بالعلوم المثبتة بالرغم من أن كتب التاريخ تثبت أنه هو شخصياً لم يكن مقبلاً على التعلم في صباه ، ولكن ما أن تولى الحكم حتى كان من أعظم حماة العلماء وكانت أسعد أوقاته هي تلك التي يقضيها في محاورات مع العلماء والفقهاء والأدباء .

وسجل المؤلف مستعيناً بالمراجع البيزنطية أن **محمد الثاني** كان يعرف معرفة جيدة اللغات العربية والفارسية والعبرية والكيلدوانية واليونانية والسلاوية واللاتينية إلى جانب لغته الأصلية وهي اللغة التركية ، وأن ذلك قد تأتى له من مصاحبته للأمراء الذين كانوا يعيشون في القصر السلطاني كرهائن . وأن السلطان محمد الفاتح قد أمر بإنشاء مركز للترجمة ملحقاً **بالقصر الهمايوني للترجمة** من هذه اللغات إلى بعضها البعض . وأنه كان يقرأ الترجمات سواء أكانت في العلوم أو الفلسفة اليونانية ، وكان يجزل العطاء للمؤلف والمترجم على حد سواء ، ولا يدخر وسعاً في حماية العلماء ، ويحرص على وجودهم في القصر بصرف النظر عن دياناتهم أو لغاتهم أو جنسياتهم ، ولم يفته إنشاء مكتبة

ضخمة تضم مؤلفات أشهر الكتّاب في عصره بأي لغة كانت إلى جوار المؤلفات باللغات الإسلامية ، وأنه كان يستكتب العلماء المحيطين به كتباً في موضوعات معينة في العلوم المثبتة أو يكلف بترجمة كتب بعينها ، وأن مكتبات العالم المعاصر مازالت تزخر بهذه المخطوطات الفريدة والمتنوعة . وأن مكتبته الخاصة قد وجدت فيها مخطوطات لترجمات عن **بطليموس** في الجغرافية وأن نص الفرمان الذي أصدره إلى « **آميروتزاس** » بترجمته العربية موجود بين وثائقه . وأن ست نسخ من هذه الترجمة العربية موجودة حتى الآن في مكتبات استانبول وحدها وأن بعض الترجمات كانت منظومة .

وعدا كتب الجغرافيا ، فقد تُرجمت كتب اقليدس في الرياضة ، ومجموعة كبيرة في الفلك عن الفلكيين اليونانيين . وأن هناك مؤلفات تتعلق بالطب البيطري ، وأخرى عن حياة الفلاسفة اليونانيين أنفسهم .

ويشير الدكتور آديوار إلى أن بعض الباحثين الغربيين والذين بحثوا لسنوات طويلة في مكتبة الفاتح قد وجدوا نتائج مذهلة حيث رأوا أن الفاتح كان يستكتب كتباً علمية باللغات اليونانية واللاتينية . ويطلب ترجمة أمهات الكتب العربية والفارسية إلى تلك اللغات ليُطْلع الأوروبيين على الإنتاج العلمي الإسلامي ، ويتعرف الغربيون على العلماء المسلمين .

كما بيَّن المؤلف أن الفاتح كان منفتحاً على الفنون والثقافة الأوروبية ؛ وقد استجلب كبار الرسامين الإيطاليين إلى قصره ، وكلفهم أن يرسموا له لوحات وصوراً ، ويصمموا له ميدالياته وأوسمته ، وأن كثيراً من المخطوطات العلمية مزدانة بكثير من رسومات هؤلاء الفنانين .

المؤسسات العلمية

وانتقل المؤلف إلى المؤسسات العلمية التي انشأها السلطان محمد الفاتح وأشهرها المدارس « الكليات » التي أقامها حول مسجده الشهير والتي سميت « **صحن ثمان** » ، بحيث تكون دور العلم إلى جانب دور العبادة ، وأنه قد أمر بإنشاء أروقة لإقامة الأساتذة والطلاب ، وأنه قد أوقف من ممتلكاته الخاصة أوقافاً كثيرة ملأت بياناتها أربع عشرة صفحة باللغة العربية ، بحيث يصرف من ريعها على دور العلم والعبادة معاً ، وأن بعضاً من هذه المعاهد العلمية كانت مخصصة لتدريس وتطبيق العلوم المثبتة كالطب والعمارة والهندسة .

وأوضح المؤلف أن وقفية أخرى باللغة العربية أيضاً قد تم نشرها أخيراً ، وفيها أوقف الفاتح دكاكين وحمامات واقطاعات ضخمة ليصرف منها على « **دار الشفاء** » وأن يُجلب لها « علماء حاذقون وأهل فراغة من أي قوم يكونون » ، وأن نفس الوقفية تبيِّن أنه قد عيَّن كحالاً « طبيب عيون » وجراحاً وصيدلياً وخدماً « ممرضين » وبواباً . وأنه قد اشترط بأن يقوم الأطباء بعيادة المرضى مرتين يومياً . وأنه قد نص في هذه الوقفية على أن يُطعم المرضى ويكسوا بل ويعطي لهم مصروفاً كل يوم ، وأن يقدم لهم الطباخ طعاماً وافياً حسب وصف الطبيب الحاذق . وبينت الوقفية ربط أجر الخدم بحسن معاملة المرضى ومخاطبتهم باللين .

علم الفلك

وانتقل المؤلف بعد ذلك للحديث عن علم الفلك « **الهيئة** » ، ويبين أن العصر العثماني قد شهد تطوراً كبيراً في هذا العلم ، خاصة بعد أن وفد إلى الدولة العثمانية عدد كبير من علماء الرياضة والفلك الذين كانوا في **تركستان** ويعيشون في كنف ومعية عالم الفلك الأمير **أولوغ** بك حفيد **تيمور لنك** ؛ وعلى رأس هؤلاء العلماء الوافدين العالم **علاء الدين علي بن محمد القوشجي** ، وأنه تعلم الرياضة والفلك على يدي أولوغ بك وحلَّ محل أستاذه عقب وفاته ، وهو الذي أكمل التقويم المسمى « **زيج أولوغ بك** » وله « رسالة في الهيئة » و« رسالة في الحساب » .

ويأتي بعد القوشجي الرياضي **يوسف سنان باشا** الذي كان يشتغل بالمنطق والفلسفة إلى جانب الرياضة . وله رسالة بالعربية في هذه العلوم .

واستمر المؤلف في سرد العلماء الذين نشأوا في عهد السلطان محمد ويسلط الأضواء على مخطوطاتهم ومؤلفاتهم ذاكراً أماكن وأرقام تلك المخطوطات في المكتبات العالمية .

علماء برزوا

وفي **القسم الثالث** من الكتاب تناول المؤلف العلماء الذين ظهروا في نهاية القرن الخامس عشر وبداية السادس عشر . وبيَّن كيف أن هذه الفترة قد اتسمت بظهور المؤلفات الموسوعية ، وأن العلماء العثمانيين قد دخلوا إلى علم « **الببليوجرافيا** » أي علم وصف الكتب وفهرستها ، وكان ذلك يسير جنباً إلى جنب مع العلوم الآخرى .

ويذكر المؤلف أن **السلطان بايزيد الثاني** ما أن استقر به المقام في السلطة حتى عاد **سنان باشا ومولا لطفي** إلى استانبول ، وتوليا تدريس العمارة والهندسة والطب في بورصة وأدرنة ثم استانبول . وأن بايزيد الثاني قد أمر بإنشاء مستشفى في وسط الخضرة والمزارع على شاطىء **نهر** « **الطونا** » بالقرب من مدينة أدرنة . وحسب وقفيته يذكر الرحَّالة التركي **أوليا جلبي** أن الموسيقى كانت تُعزف للمرضى كشرط أساسي في الوقفية . ويُستدل من ذلك بأنها كانت مستشفى للأمراض العصبية والنفسية . ويذكر **رفعت عثمان** في مقال له ؛ « أن بايزيد الثاني قد بنى مستشفى خاصاً بالجذام في أدرنة » وأن أم **سليم الأول** قد بنت وجهزت على حسابها الخاص مستشفى آخر في « **مانيسا** » وأن نفس المبنى كان يستخدم إلى عهد قريب على أنها مصحة للإستشفاء والنقاهة .

الجغرافيون

أما الفصل الرابع فقد خصصه المؤلف عن جغرافيي البحرية العثمانية



العلم عند الأتراك العثمانيين

في القرن السادس عشر ، ويعترف بما حدث من توقف وركود في العلوم ، الطبيعية منذ بداية القرن السادس عشر وحتى السنوات الأولى في القرن السابع عشر ، وخاصة في عهد **محمد الثالث** الذي توفي ١٦٠٣م ويرجع المؤلف ذلك إلى حمى التوسع التي اجتاحت الإمبراطورية العثمانية آنذاك حيث وصلت إلى أسوار **فيينا** شمالاً وإلى منتصف **إيران** شرقاً **والسودان** جنوباً **وفاس** غرباً ، وانتقلت العدوى من السياسة إلى الأدب والعلم حيث حرص الشعراء والأدباء والعلماء على مرافقة الجيش في فتوحاته مما صرفهم عن البحث والفكر . هذا وغيره من الأسباب أدت جميعاً إلى التوقف والركود .

ثم انتقل المؤلف إلى التنويه بدور السلطان سليم الأول بنشر الثقافة وتوحيد الأمة الإسلامية تحت علم واحد ؛ وأنه في سبيل ذلك جمع حوله مجموعة كبيرة من شعراء الفرس والعرب والترك وذلك لمعرفته الجيدة بفنون الشعر وقرضه إياه ، وأنه ترك ديواناً شعرياً بهذه اللغات الثلاث ، بل وصل الأمر أن أصدر « فرماناً » أي أمراً يجبر كل المواطنين العثمانيين في شتى الولايات غير العربية بتعلم اللغة العربية وجعلها في المقام الأول ، والعمل على نشرها وسيادتها بين سائر الرعايا بصرف النظر عن دينهم أو جنسهم .

ومما يحمد للسلطان سليم الأول وسليمان القانوني أنهما رغبة في التوسع ومعرفة حدود العالم دفعا بالعلماء إلى البحث في المجال الجغرافي وخاصة في **الجغرافية البحرية** . ولذلك فقد خلَّفت لنا هذه الحقبة مجموعة كبيرة من الخرائط والمخطوطات الجغرافية ، ومن أشهر القباطنة وأمراء البحار الذين تركوا آثاراً في هذا الصدد هو « **بيري رئيس** » وله كتاب مسمى « **كتاب بحرية** » أي كتاب البحرية ، » وقد طبع في استانبول عام ١٩٣٥م » . وقد حاول فيه أن يتعرف على بحار العالم ، وينقل معارفه إلى الآخرين ، وله أيضا خرائط مازالت موجودة في **متحف** « **طوب قابي سراي** » في استانبول . وإحدى هذه الخرائط تعود إلى سنة ١٥٢٨م = ٩٣٥هـ . ويأتي بعده كاتب جلبي أي **حاجي خليفة** وكتابه « **جهاننما** » الذي يُعد نقلاً عن كتاب المحيط . وقد قدَّم فيه معلومات وافية عن جزر **جاوا وسوماطرة وسيلان** ، كما قدَّم دراسات مفيدة جداً عن المناخ والرياح في هذه المناطق .

وعرج المؤلف في نفس الفصل إلى **أحمد بن ماجد العماني وسليمان ابن أحمد الجوري** ومؤلفاتهما « **الفوائد** » و« **تحفة الفحول** » و« **المنهاج** » و« **قلادة الشموس** » و« **الحاوية** » . وأن ربابنة السفن وأمراء البحار كانوا يستفيدون من هؤلاء البحارة المسلمين ومن كتبهم في كل ما يتصل من معلومات عن بحر **الهند** وخليج **البصرة** ، وبحر **عمان ، ومضيق هرمز** .

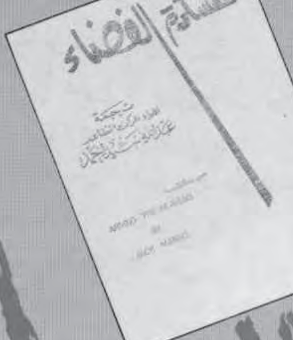
ويأتي بعد ذلك « **سيدي علي رئيس** » ويبين المؤلف أن هذا الأميرال البحري له مؤلفات في الفلك إلى جانب الجغرافية البحرية .

أما الفصل الخامس فقد خصصه المؤلف للحديث عن القرنين ١٧ ، ١٨ وظهور كاتب جلبي ، ويدلل المؤلف على أن هذين القرنين قد شهدا رواجاً علمياً كبيراً في الدولة العثمانية بالرغم من التقهقر السياسي . وأن المخطوطات المتوفرة الآن في المكتبات الأوروبية تؤكد هذا القول وأن كتب التراجم مليئة بأسماء هؤلاء الكتاب العلماء الذين حققوا شهرة واسعة . وهذا لا يمنع المؤلف من القول أن التدني السياسي صاحبه فتور إلى حد ما في ميدان العلوم المثبتة وازدهار في ميدان الفقه وإحلاله المكانة الأولى . وأن هذا التدني دفع بكثير من العلماء وعلى رأسهم « **كوجي بك** » إلى أن يقدم رسالة إلى السلطان يطالبه فيها بالسعي إلى ازدهار العلم وإجلال العلماء وأن تكون « المناصب العلمية لا تُعطى بالشفعة أو الشفاعة إنما تُمنح للعالم بصرف النظر عن كينونته » .

ومن المؤلفات التي راجت خلال تلك الفترة في ميدان الرياضة « **جذر أرقام** » أي جذر الأرقام لمؤلفه **خضر خليفة الطبري** . وهو باللغة العربية ، وهناك كتب فارسية في الطب قد شهدها هذا العصر . وأن كتباً كثيرة قد أُلفت إما شرحاً لقانون ابن سينا أو على غراره ومن أهمها « **أنموذج الطب** » و« **تشريح الأبدان** » و« **شرح التشريح** » وتحدث فيه **ابن النفيس** عن تشريح القلب ، و« **غاية الإتقان** » .

وأظهر المؤلف كاتب جلبي أي حاجي خليفة مصطفى ابن عبد الله الذي ولد عام ١٦٠٨ = ١٠١٧ هـ على أنه من أشهر الذين يلفتون النظر من العلماء الأتراك في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، وأن شهرته في الغرب قد بنيت على كتابه « **كشف الظنون** » الذي يُعد من أهم الكتب التي ظهرت في هذا القرن وحتى الآن في فهرسة الكتب والتعريف بها ، وإن كان هو عالماً بكل ما تحمله هذه الكلمة ، وأنه ألَّف في فروع العلوم المثبتة مالو سلطت عليه الأضواء لنال بها شهرة أوسع من شهرة كشف الظنون ؛ فله « **سلم الوصول إلى طبقات الفحول** » و« **ميزان الحق** » في الفلسفة والمنطق . و« **جهاننما** » في الجغرافية . وأنه ترجم « **الأطلس الصغير** » عن اللاتينية وسمى الترجمة لما أضافه عليها أو علَّق على ما ورد في الكتاب الأصلي من موضوعات « **لوامع النور في ظلمات أطلس مينور** » وله في الجغرافية البحرية « **تحفة الكبار في أسفار البحار** » ؛ وقد طبع هذا الكتاب ١١٤١ هـ من قِبل **إبراهيم متفرقه أول من أدخل الطباعة إلى الدولة العثمانية** . وقد تحدث فيه إلى جانب المعارك البحرية عن شواطىء أوروبا من الناحية الجغرافية .

ثم خصص المؤلف الأقسام الباقية من الكتاب عن دخول المطبعة إلى الدولة العثمانية وعن إبراهيم متفرقه وأثر النشر على ازدهار الكتب العلمية وعرج بعد ذلك على حالة الطب والرياضة في الدولة العثمانية خلال نهاية القرن الثامن عشر وحركات التجديد والتحديث التي ظهرت في الدولة .



عسكرة الفضاء (*)

تأليف : جاك مانو * ترجمة : اللواء الركن عبدالله سيد أحمد

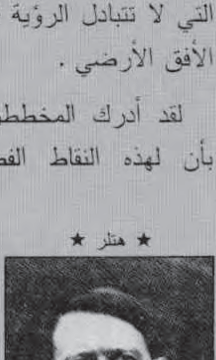
عرض : عبدالجبار محمود السامرائي

كان من المنتظر أن يؤدي إدراك البشر لعظمة الكون وصغر الكرة الأرضية إلى التخلي عن الطموحات العسكرية والأطماع الاستعمارية . قبل حوالي ألفي سنة وصف **الكاتب اليوناني (لوسيان)** رحلة خيالية قام بها بطل أسطوري إلى القمر ، طار إلى هناك على جناح نسر ـ وعقاب . يصف البطل منظر الأرض من علوه الشاهق ويقول بأن النزاعات الأرضية بدت له تافهة وصغيرة وغير ضرورية .

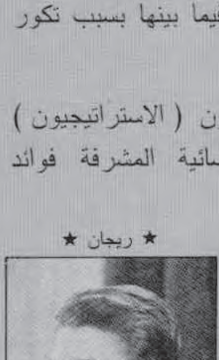
ولكن تقدم البشرية والحضارة أدى مع الأسف إلى عكس ما كان يريده لوسيان وأتباعه من المثاليين . لقد ازدادت احتمالات الحروب بدلاً من انكماشها ، وأصبح بمقدور العسكريين الذين كانوا يثيرون الحروب في الماضي للاستيلاء على مقاطعات بحجم (علبة العدس المصدأة) أن يستغلوا العلم والتكنولوجيا للسيطرة على العالم بأسره .

وعندما أصبحت **الرحلات الفضائية** ميسورة من الناحية الفنية بدأ الاستراتيجيون باستغلالها واستثمار **الأقمار الصناعية** لا للاستيلاء على الكرة الأرضية فحسب بل للسيطرة على ما فوق الغلاف الجوي أيضاً . أدرك العسكريون أن بالإمكان مشاهدة مساحات واسعة من الكرة الأرضية من نقطة مشرفة واحدة في الفضاء ، وأن بمقدور سفينة فضائية واحدة استمكان عدد كبير من النقاط الأرضية التي لا تتبادل الرؤية فيما بينها بسبب تكور الأفق الأرضي .

لقد أدرك المخططون (الاستراتيجيون) بأن لهذه النقاط الفضائية المشرفة فوائد عسكرية هائلة :



★ هتلر ★



★ ريجان ★

إن بمقدور الأقمار الصناعية أخذ صور المعارك التي تجري من جانب واحد من الكرة الأرضية ونقلها حية إلى القادة العسكريين الجالسين في مقراتهم على الجانب الآخر من العالم . ويمكن من هذه النقاط الفضائية المشرفة رؤية مواقع إطلاق القذائف البالستيقية العابرة للقارات مع أهدافها في نفس الوقت وتوجيه النيران بدقة إلى هذه الأهداف . تستطيع وسائل الاستطلاع العلنية في الفضاء مراقبة كل نقطة من على سطح الأرض . **إن التحسن المطرد في وسائل التجسس وأساليب الملاحة ومعالجة وعرض المعلومات جعل بالإمكان تحويل كرتنا الأرضية إلى ساحة قتال الكترونية يستطيع فيها القادة البعيدون مشاهدة ومراقبة معاركها على شاشات عرض انتهائية في مقراتهم .**

كان الجنرال (**برنارد شريفر**) مديراً لبرامج الفضاء في القوة الجوية الأمريكية للأعوام ١٩٥٤ ـ ١٩٦٦ م قبل إحالته على

مطالعات في الكتب

عسكرة الفضاء

التقاعد ، لقد كلفه **رونالد ريجان** المرشح الجمهوري لرئاسة الجمهورية لعام ١٩٨٣ م بكتابة التقرير الانتقالي عن الفضاء فكتب يقول : « إن ما أريده لك هو منظومة مراقبة رادارية تجعلك قادراً على رؤية كل شيء على سطح الأرض وفوق سطح الأرض . إذا ما استطعنا تزويدك بالإضافة إلى ذلك بعدد من النظم المرافقة ـ وبمنظومات **الليزر** العالية القدرة وبأسلحة أشعة الذرات وما يماثلها وبتمكينك من تعقيب وتدمير الطائرات والقذائف والصواريخ أصبح بمقدورك القضاء على القوات المعادية دون الحاجة إلى تدمير المدن . سيصبح بمقدورك عندئذ شل العدو ومنعه من الحركة » .

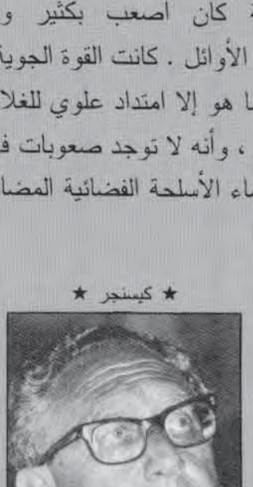
يشعر الإنسان بالزهو والخيلاء والغرور عند الوصول إلى هذا العلو الشاهق في الفضاء وتستهوي ـ الإمكانيات الكافية للنقاط الفضائية المشرفة أفئدة ومخيلة العسكريين وتزيد من طموحاتهم وأطماعهم .. ولكن هذا لم يكن بالشيء الذي يبتغيه لوسيان وأتباعه من المفكرين . كما أنه ليس بالشيء الذي يريده الكثرة الكاثرة من البشر .

لقد ظهر للذين شاهدوا صور الأرض المأخوذة من الفضاء بأن الأرض كوكب صغير واهن ومنعزل في كون لا متناه وأنها تبدو كواحة صغيرة مأهولة في متسع من الفراغ الذي لا يساعد على الحياة . وعلى إثر ذلك ظهرت شعارات تنادي بالحفاظ على سلامة الأرض باعتبارها أيقونة مقدسة وسفينة فضائية ـ وجزيرة كونية وهي مفاهيم ساعدت على تكوين وانتشار حركات عالمية ، (للحفاظ على البيئة ومنع تلوثها) و(للقضاء على الأسلحة النووية التي تهدد سكان الأرض بالفناء) و(لنشر السلام في العالم) وهي حركات تستهدف الحفاظ على سلامة كوكبنا الأرضي . يريد أنصار هذه الشعارات إنهاء السيادة الإقليمية للدول عند تلك الغمامة الزرقاء التي تمثل الحد الفاصل بين الغلاف الجوي والفضاء وجعل كل اندفاع إلى ما وراء تلك الغمامة خاضعاً ـ لسيطرة جميع الدول ولفائدة جميع الدول بدلا من جعله استثماراً لصالح إحدى الدول بالذات . ولكن المؤسف أن تصطدم هذه الرؤية الكونية الصادقة بمطامع الدول القادرة على تجواب الفضاء وهي الدول العنصرية والعسكرية التي تعمل على استغلال الفعاليات الفضائية لتحقيق أطماعها الاستعمارية وتستثمر أموالاً هائلة للقيام بمشاريع فضائية لا لخدمة البشر بل للإضرار بهم ولتحقيق مكاسب عسكرية واقتصادية ذاتية .

ولكن هذه النظرة الضيقة يجب أن لا تحجب عن انظارنا حقيقة أن الفضاء بيئة عالمية لأنه يتميز بالرؤية الشمولية الواسعة للأرض . يجب أن نكون على بينة من أن التوترات الحالية بين القلة الغنية من الدول التي تحاول استغلال الفضاء لتحقيق مكاسب قومية وعنصرية وبين الكثرة ـ الفقيرة من أمم الأرض التي تريد استثمار تكنولوجيات الفضاء لفائدة الجميع إنما هي توترات تهدد بنشوب صراع حاد بين الجانبين في القرن الحادي والعشرين .

قد أثبت الواقع بأن استثمار الفضاء للمقاصد العسكرية كان أصعب بكثير وأكثر مما تصورها الأوائل . كانت القوة الجوية تؤكد بأن الفضاء ما هو إلا امتداد علوي للغلاف الجوي الأرضي ، وأنه لا توجد صعوبات في غزوه . ولكن إنشاء الأسلحة الفضائية المضادة للقذائف

★ كيسنجر ★



البالستيقية وتصنيع الأقمار الاعتراضية والقاصفات المدارية والأسلحة البرية والبحرية والجوية المضادة للقذائف والمشاريع الأخرى المماثلة التي تم تصميمها في عقد الخمسينات لم تظهر إلى الوجود بالسهولة التي تصورتها القوة الجوية بل إنها استنزفت جهوداً وأموالاً ووقتا أكثر مما كان متوقعاً لها في الابتداء . ومع ذلك فإن تطوير البرامج العسكرية الفضائية قصة تكنولوجية مثيرة للغاية تستحق السرد والإيضاح لما أحاطت بها من مناقشات وخصومات بين القوات ـ المسلحة ولما جمعت عن طريقها من ثروات هائلة حصل عليها الأفراد والجماعات والشركات بشكل أو بآخر ، ولأن تفاصيلها عرضت على الجمهور بشكل زائف وخادع .

كنتيجة لهذه السياسات برز إلى الوجود مفهوم عسكري جديد أطلق عليه اسم **(ساحات المعارك الكونية)** مع ما تحتاجها من منظومات متكاملة للقيادة والسيطرة والمواصلات والاستخبارات المدمجة بالأقمار الصناعية . لقد فتح هذا المفهوم الباب على مصراعيه أمام سباق مثير لتسليح الفضاء .

إن كتاب « **عسكرة الفضاء** » يعالج موضوع استخدام الفضاء للمقاصد العسكرية واستغلال تكنولوجياته المتطورة لأغراض الحرب وما يمكن أن ينجم عن ذلك من أضرار بالكون والبيئة والبشرية .

تبدأ القصة في أعقاب **الحرب العالمية الأولى** وهزيمة ألمانيا **ومعاهدة فرساي** التي فرضت على ألمانيا شروطاً قاسية منعتها من أن تمتلك جيوشاً ميدانية أو طائرات حربية أو سفناً بحرية أو غواصات أو مدافع أو دبابات أو أسلحة هجومية .

لقد أغفلت المعاهدات الصواريخ فوجدت الجهات العسكرية من ذلك ثغرة يمكن النفوذ منها لإعادة تسليح بلادها بأسلحة جديدة تحقق لها النصر في الحرب القادمة وتبرز في هذه المرحلة التمهيدية من عصر الفضاء أسماء ثلاثة من الألمان هم « **فون براون**) والجنرال

(**دور نبرغر**) و(**هتلر**) . كان (فون براون) مثالاً للآري النموذجي الذي اعتبره الحزب النازي مؤهلاً ليرث الأرض والنظام الجديد الذي كان على وشك إنشائه . كان شاباً « عبقرياً » استهوته النجوم والفضاء فقرر القيام برحلة فضائية إلى الكواكب السماوية في صواريخ يصنعها بنفسه وهو لم يتجاوز الثالثة عشر من العمر . نجح (**فون براون**) أثناء الحرب العالمية الثانية في إنتاج أسلحة (**في ١**) و(**في ٢**) واستخدامها لقصف **لندن وميناء أنتورب البلجيكي** ، وإلحاق الخسائر والرعب بالمدنيين ، لكنه لم يستطع إيصال مشاريعه الفضائية الأخرى إلى المراحل العملياتية أثناء تلك الحرب .

وكان الجنرال (**دور نبرغر**) مديراً لإحدى الشعب في مديرية العينة الألمانية في أعقاب الحرب العالمية الأولى فأدرك ببصيرته النافذة الأهمية البالغة للصواريخ فقام بتجنيد فون براون للخدمة في الجيش الألماني وتزويده بالأموال وميادين التجارب والإسناد المادي والمعنوي .

ولما جاء هتلر إلى الحكم عام ١٩٣٣ م أدرك على الفور – وهو النائب العريق السابق في الجيش – ما يمكن أن تقوم به الصواريخ من خدمات للعسكرية الألمانية فأمر بإعطائها الأسبقية العالية ومنع استخدام كلمة (الصواريخ) في ألمانيا بشكل علني بين الأعوام ١٩٣٣ و١٩٤٢ م حيث سقطت أولى قذائف (في ١) و(في ٢) على لندن فحقق بذلك أعظم مباغتة تكنولوجية في التاريخ لأن الحلفاء أهملوا الصواريخ في هذه الفترة ظناً منهم أن اختفاء اسم الصواريخ في ألمانيا كان دليلاً على عدم فائدة هذا السلاح .

انتهت **الحرب العالمية الثانية** بهزيمة ألمانيا واكتساح الحلفاء لأراضيها .. واعتبر **الاتحاد السوفيتي** العلماء والمهندسين والفنيين الألمان المسؤولين عن أسلحة (في ١) و(في ٢) مجرمي حرب يجب تطبيق عقوبة الإعدام بحقهم على الفور . أما **الولايات المتحدة** فكانت على العكس من ذلك . لقد أدركت بأن


★ ترومان ★


★ إيزنهاور ★

الصواريخ والأسلحة الفضائية ستكون شعار المستقبل وأملها الوحيد في الاحتفاظ بتفوقها على العالم ، وعليه فإنها بحثت عن العلماء والمهندسين والفنيين الألمان من بين ملايين الأسرى واللاجئين وأحسنت معاملتهم ونقلتهم إلى الولايات المتحدة ، وأسندت إليهم مناصب مرموقة كمستشارين للحكومة والقوات المسلحة وكمسؤولين رئيسيين في الصناعات الجوية – الفضائية التي بدأت تزدهر في الولايات المتحدة في هذه الفترة . وعلى سبيل المثال فإنها وجدت (فون براون) ونقلته إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٥ م وأسندت إليه مهمة تطوير الصواريخ والرحلات البشرية المأهولة إلى القمر . كان **صاروخ (ساترن)** الضخم الذي أنزل أول إنسان أمريكي على القمر من تصميم وإنتاج فون براون . كما نقلت الحكومة الجنرال (دور نبرغر) هو الآخر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٧ م وأسندت إليه منصب خبير أقدم في القوة الجوية ومستشار أقدم لوزارة الدفاع . كانت هذه المعاملة الحسنة سبباً في تدفق آلاف العلماء والمهندسين والفنيين الألمان على الغرب ومشاركتهم في تطوير البرامج الفضائية .. وقد أدّى ذلك إلى تخلف السوفييت في نفس المضمار إلى أن غيرت الحكومة السوفيتية سياستها وعادت إلى الاستعانة بالعبقريات الألمانية ولكن حدثت ثغرة تكنولوجية واسعة بينها وبين الولايات المتحدة لم تستطع تجسيرها لحد الآن .

كما يبحث الكتاب أيضا مختلف العقائد والخطط السوقية العسكرية الأمريكية منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى وعلى الأخص :

(١) **مبدأ ترومان** المتمثل بمحاصرة الاتحاد السوفيتي بقواعد جوية وبحرية وبقوات برية في البلدان المحيطة بها . والاعتماد على القاصفات النووية السوقية مازال ضربة مدمرة بالاتحاد السوفيتي . كانت الولايات المتحدة في هذه الفترة تحتكر **السلاح الذري** وتتفوق على الاتحاد السوفيتي بشكل ساحق في الجو وفي البحر . ويتطرق الكتاب كذلك إلى سوقية **ستالين** البرية لمناوأة هذه العقيدة .

(٢) **الانتقام النووي الشامل لايزنهاور ووزير خارجية دالاس** . المتمثل بالرد الفوري على كل هجوم سوفيتي مهما كان صغيراً باستخدام القوة النووية الشاملة للولايات المتحدة . قال دالاس بأنه ليس من الضروري مقابلة التعرض السوفيتي في نفس المكان الذي يحدث فيه بل في أي مكان وبأي سلاح تعتقد الولايات المتحدة بأنه الأفضل لإلحاق الأذى بالاتحاد السوفيتي .

(٣) **خطة سوق هنري كيسنجر** القائلة بأن (الانتقام النووي الشامل) فتح الأبواب على مصراعيه أمام الاتحاد السوفيتي للتوسع بقفزات صغيرة لا تشكل أي منها مبرراً لاستخدام الانتقام النووي الشامل وإشعال نيران حرب عالمية لا تبقي ولا تذر . قال كيسنجر بأن (الانتقام النووي الشامل) أدّى إلى شل السياسة الأمريكية وطالب بدلاً عن ذلك باتباع عقيدة (الحرب النووية المحدودة باستخدام أسلحة قصيرة المدى وقنابل نووية من العيار الصغير) بجانب (قيادة عسكرية سيارة تعمل بأسلوب لا مركزي) . أدّى القبول بخطة كيسنجر إلى تغييرات واسعة في السياسة الأمريكية المتعلقة بالقذائف والفضاء . وذلك بتقليل الاهتمام بالقذائف البالستقية العابرة للقارات والتركيز بدلا عن ذلك على وسائط المواصلات والملاحة الفضائية الضرورية لتأمين قابلية الحركة للقوات الأمريكية على النطاق العالمي . والتركيز كذلك على استغلال الأقمار الصناعية لتثبيت الأهداف باعتبار كل ذلك عناصر أساسية لشن وإدارة الحروب المحدودة .

عسكرة الفضاء

(٤) **خطة مؤسسة (راند)** التي توجهت بالنقد الشديد إلى القاصفات والقواعد الجوية الأمريكية فيما وراء البحار وطالبت بدلاً عن ذلك بالقذائف البالستيقية العابرة للقارات من النوع الذي تطلق من داخل الولايات المتحدة ، والتركيز على مهاجمة المؤسسات العسكرية السوفيتية بدلا من المراكز السكانية الآهلة بالسكان على أساس أن الاتحاد السوفيتي كان سيقابل الولايات المتحدة بالمثل ويتجنب ضرب المدن الأمريكية . استوجبت هذه الخطة السوقية الاهتمام باستطلاع وجمع الاستخبارات وأدّت بدورها إلى استخدام **طائرات (يو ٢)** التجسسية وتطوير الأقمار الاستطلاعية .

(٥) **خطة الرد المرن والمتدرج** وزيادة الخيارات أمام رئيس الولايات المتحدة .

(٦) **خطة مكنمارا** وخطة ساحات القتال الالكترونية وأتمته الحرب .

(٧) **خطة ريجان الحالية .**

إن إنزال إنسان أمريكي على القمر (مشروع أبولو) ينال اهتماماً خاصاً من الكاتب الذي يبحث عن مراحل التخطيط والإعداد والتنفيذ لهذا المشروع الجبار ، ويوضح النتائج العلمية والسايكولوجية والمالية والاقتصادية والعسكرية التي نجمت عن تنفيذه وكيف استغل العسكريون هذا المشروع العلمي وجعلوه ستاراً لإخفاء وإمرار مشاريعهم العسكرية التدميرية في الفضاء .

ويبحث الكتاب في فصل فني خاص عن **القنابل القزحية** ويقول بأن أحد العلماء اكتشف بأن **الجاذبية الأرضية** تشكل حزاماً مغناطيسياً يحيط بالأرض بارتفاع يتراوح بين ٢٠٠ إلى ٤٠,٠٠٠ ميل . وأن هذا الحزام (الذي سمي بحزام ألين نسبة إلى مكتشفه يقوم بمنع الأشعة الكونية والرذاذ الذري الناجم عن الانفجارات الشمسية وتلاشي الأجرام السماوية من الوصول إلى الأرض وإنهاء الحياة عليها . ثم يقول الكاتب بأسلوبه الممتع والرصين بأن العالم أصبح على شفا الدمار عندما أرادت الولايات المتحدة تفجير قنابل قزحية[1] **(هيدروجينية)** داخل هذا الحزام ، وكان أكثرية علماء العالم يقولون بأن تفجير القنابل الهيدروجينية القوية داخل حزام الين سيؤدي إلى (فلق) الجاذبية الأرضية وسقوط الأشعة الكونية على سطح الأرض . وأخيرا وتحت ضغط الرأي العام الأمريكي والعالمي اكتفت الولايات المتحدة بتفجير قنبلة هيدروجينية قزحية واحدة أسفل الحزام وإلغاء تفجير القنبلة الثانية داخل الحزام نفسه .

إن الأسلحة الفضائية بالرغم من تعقيداتها التصميمية ما هي إلا أسلحة تم تطوير مفاهيمها على الأرض وعليه فإن بالإمكان تطوير الأسلحة البرية والجوية كافة لتناسب الاستخدام في الفضاء . وهكذا فإن من الممكن أن تكون هناك مدافع فضائية ودبابات فضائية وألغام فضائية وأقمار اعتراضية فضائية ومنظومات فضائية للإنذار والسيطرة **(أيواكس فضائية)** وسفن فضائية وقاصفات فضائية وغير ذلك . ولا شك في أن التنافس في حرب الفضاء سيؤدي إلى نشوء حلقة لولبية مفرغة بين الدفاع والهجوم على غرار الحلقة المفرغة المعروفة في مجال التسليح على الأرض . تحتاج السفن الفضائية إلى وسائل دفاعية عضوية وأخرى خارجية ، حالما يتم إعداد الوسيلة الدفاعية المطلوبة يبتكر الهجوم وسيلة جديدة للتغلب عليها . يحمل السلاح الهجومي الجديد في داخله بذور أسلوب دفاعي مضاد ، وهكذا يمكن أن يحدث الكثير من الفعل ورد الفعل في هذه الحلقة المفرغة حتى قبل أن يصل السلاح إلى مرحلة الإنتاج أو التشغيل العملياتي . سوف يجد العسكريون لكل مرحلة من مراحل هذا السباق التسليحي في الفضاء مبررات سياسية أو عسكرية على شكل تهديد سوفيتي حقيقي أو مقصود . وهكذا كلما حاول السياسيون كبح جماح سباق التسلح وفرض سيطرتهم على الموقف العسكري أفلت منهم زمام السيطرة بسبب ظهور سلاح جديد أو تحديد جديد تفرضه البيئة الفضائية على استخدام السلاح ، أو عراقيل يفرضها الوضع الاقتصادي المتدهور للبلاد إلى أن تقضي الحرب أو الفوضى الاقتصادية في الأخير على سباق التسلح وعلى المؤسسات التي كانت تسنده .

إن المأساة الحقيقية لسباق تسلح الفضاء هي ليست نوعية الأسلحة الجديدة التي يجرى تطويرها لأنها لا يمكن أن تكون اسوأ من الأسلحة الموجودة فعلا . إن المأساة الحقيقية تتمثل بضياع الفرصة لإحلال السلام في عصرنا وانتقال سباق التسلح إلى القرن الحادي والعشرين . إن تسليح الفضاء لعبة خاسرة في الأخير . إذ لو افترضنا جدلاً بأن العسكريين نجحوا في تسليح الفضاء بالشكل الذي يريدونه وأَمّنوا التفوق العسكري المطلق على خصومهم فسوف تبقى أمامهم معضلة أخرى تتمثل بتكنولوجية الإرهاب ـ أي نقل الأسلحة الكيمياوية والجرثومية والوراثية والسايكولوجية والذرية الصغيرة واستخدامها من قبل الإرهابيين والأشخاص غير المخولين . ستكون تكنولوجية الإرهاب شوكة تقض مضاجع البشرية ، وتهديداً خطيراً للأمن الدولي ، وباعثاً على قلق الإنسان على مصيره المظلم في القرن الحادي والعشرين . إن محاولة القضاء على التوترات الدولية وإحلال التعاون الدولي محل التنافس والخصام هي الوسيلة المثلى الوحيدة لطمأنة الدول وتحقيق الأمن القومي للجميع في السنوات القادمة . إن الفضاء بيئة دولية وعليه فإن إيقاف سباق التسلح فيه يمثل نقطة البدء الأساسية لإحلال التعاون والتفاهم محل التنافس والخصام بين دول العلم على الأرض .

الهوامش

(★) صدرت ترجمة هذا الكتاب عن : دائرة التدريب في مديرية التطوير القتالي . وزارة الدفاع العراقية ـ بغداد ١٩٨٦ م ويقع الكتاب في حدود ٣٠٠ صفحة .

(١) سميت القنبلة القزحية بهذا الاسم لأنها شكلت عند الانفجار شفقاً قطبياً جميلاً زاهي الألوان يشبه القزح .

موضوع خاص

المجرات

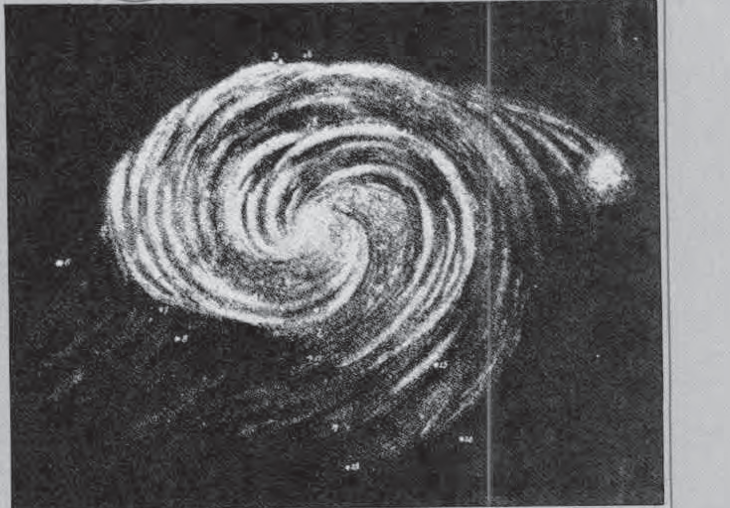
"الجزر الكونية"

بقلم: عدنان عضيمة



★ المجرة اللولبية NGC , 4535 الواقعة في برج العذراء وتبعد عن الأرض مسافة ٦٠ مليون سنة ضوئية ★

لو نظرت إلى السماء في ليلة صافية خالية من ضوء القمر فإن كل ما سوف تراه من نجوم ما هو إلاَ الحافة المضيئة لـ « مجرّة درب اللبّانة » Milky Way Galaxy التي ينتمي إليها نظامنا الشمسي . ودرب اللبّانة ليست إلا واحدة من آلاف الملايين من المجرّات ، أو الغمامات nebulae التي يتألف منها الكون . ويعود فضل اكتشاف المجرّات إلى « وليام هيرشل » William Herschel ومن بعده « لورد روس » Lord Rosse . وكان روس قد لاحظ أن لبعض هذه الغمامات « تركيبا لولبيا » Spiral Structure مميزا ، وربما يكون أفضل مثال عنها المجرّة M51 (تدعى أيضا NGC 5194 أو الهدف الفلكي رقم 5194 في « الفهرس العام الجديد » New General Catalogue الذي يمثّل قائمة بكل الغمامات والعناقيد النجمية التي لاحظها وراقبها وليام هيرشل وابنه جون وآخرون) .

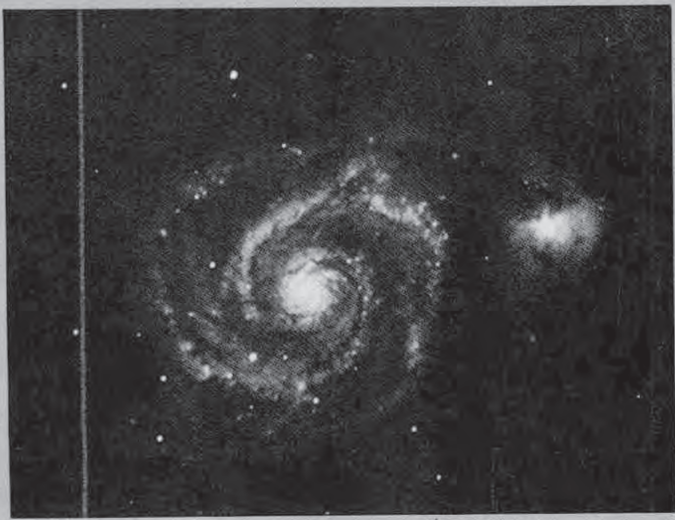


★ المجرة M 51 كما رسمها روس ★

ونظراً لعدم امتلاك روس لأي من أجهزة التصوير الفوتوغرافي فقد كان عليه أن يرسم كل ما يراه . ورسمه للمجرّة M51 موّضح في (الشكل ١) ، والصورة الحديثة لها تتضح في (الشكل ٢) . ولقد جذبت هذه الرسوم انتباه الفيلسوف الألماني « **إيمانويل كانت** » الذي افترض عام ١٧٥٥ م ، أن هذه الأجسام إلا « **جزرا كونيّة** » أو مجموعات واسعة من النجوم ذات البعد الشديد عن مجرّة درب اللبّانة .

ولم يستجب معظم الفلكيين لفكرة « الجزر الكونية » لأن العديد من الأجسام المدّونة في الفهرس العام الجديد بدت وكأنها غمامات وعناقيد نجميّة متناثرة حول درب اللبّانة حتى ظن بعضهم أنها أعضاء فيها . وازداد الانقسام في آراء الفلكيين حول طبيعة الغمامات اللولبيّة ، وبلغ الخلاف ذروته في أبريل/نيسان من عام ١٩٢٠ م خلال المناقشات الحادة التي شهدتها قاعات « الأكاديمية الوطنية للعلوم » NAS في **واشنطن** . فمن جهة كان الفلكي اللامع الشاب « **هارلو شابلي** » Harlew Shapley قد اشتهر بتمكّنه من تحديد حجم مجرّة درب اللبّانة ، واعتقد أن الغمامات اللولبيّة صغيرة نسبياً ، وهي أجسام متقاربة تناثرت حول مجرّتنا ، وكان « **هيبر كورتيس** » Heber D. Curtis الذي عمل في مرصد « **ليك** » Lick في **كاليفورنيا** ، يعارض شابلي ، حيث تبنّى كورتيس نظرية الجزر الكونيّة وصرّح بأن كلا من هذه الغمامات اللولبيّة يشكّل نظاما دائراً من النجوم يشبه مجرتنا بشكل كبير .

وحوار شابلي ـ كورتيس أنتج الكثير من الحرارة والقليل من الضوء . ولم يتمّ القطع في الأمر لأن الفلكيين كانوا عاجزين عن إيجاد القرائن والقياسات المقنعة التي من شأنها أن توضح البعد الحقيقي لهذه الغمامات . وكان علم الفلك يفتقر لطريقة محدّدة وموثوقة لقياس المسافات التي تفصلنا عن المجرّات . وبعد ذلك بعدة سنوات تمكّن محام شاب يدعى « **أدوين هابل** » Edwin Hubble من ابتداع هذه الطريقة بعد أن تخلّى عن عمله القانوني في « كينتاكي » وهاجر إلى « شيكاغو » لدراسة علم الفلك .



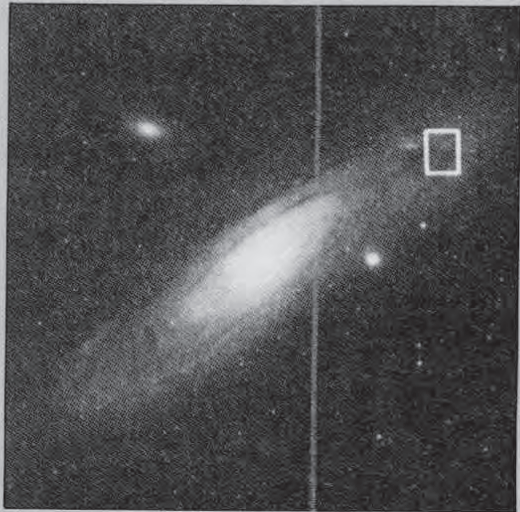
★ أحدث صورة للمجرة M 51 ★

اكتشـاف المسـافـات

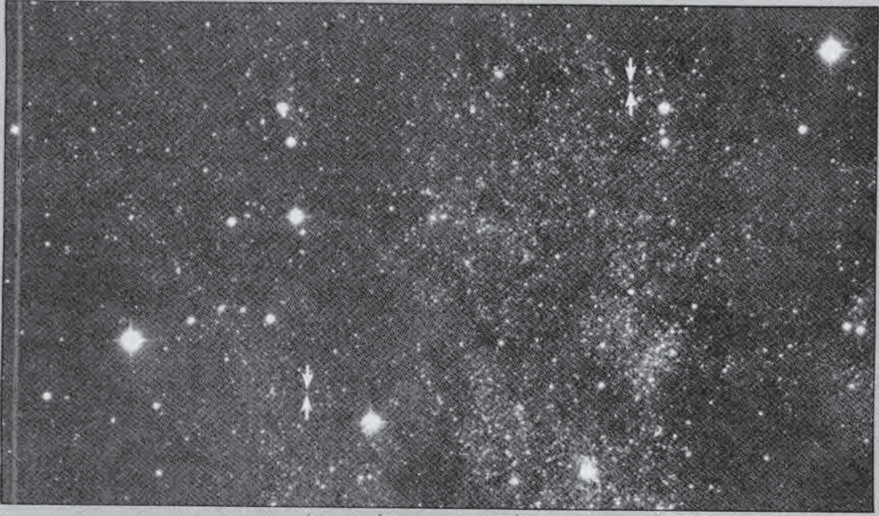
بعد أن أكمل هابل دراساته الأولى في علم الفلك انضمّ إلى فريق مرصد « **ماونت ويلسون** » في **باسادينا/كاليفورنيا** . وفي أكتوبر/تشرين أول من عام ١٩٢٣ م التقط صورة فوتوغرافية تاريخية لمجرّة « **أندروميدا** » Andromeda **(يطلق عليها أيضا** M31 **أو** NGC 224 **) التي تظهر أحدث صورة لها في (الشكل ٣) . وهي واحدة من الغمامات اللولبيّة التي حازت على الكثير من الاهتمام . والفحص الدقيق للصورة كشف عن تركيب خاص ظنّه الفلكيون في بداية الأمر** « **مستسعرة** » nova ، ولكن سرعان ما بيّنت الصور الأخرى لأندروميدا أنها ليست إلا واحداً من « **متغيّرات سيفيد** » Cepheid variables . ومتغيّرات سيفيد هذه تمثّل نجوماً أو تراكيب نجمية تتميّز بنسقها الخاص في مجال تغيّر شدة إضاءتها ، حيث تسطع بسرعة كبيرة ثم يخبو ضوؤها بشكل تدريجي ووفق نسق بطيء . ووجد الفلكيّون أن التغيّر في شدّة إضاءة السيفيد يتم خلال أزمة دوريّة محدّدة تحدث خلالها



★ المجرة M 104 أو (سومبريرو) من ذوات الجوف المركزي الكبير ★



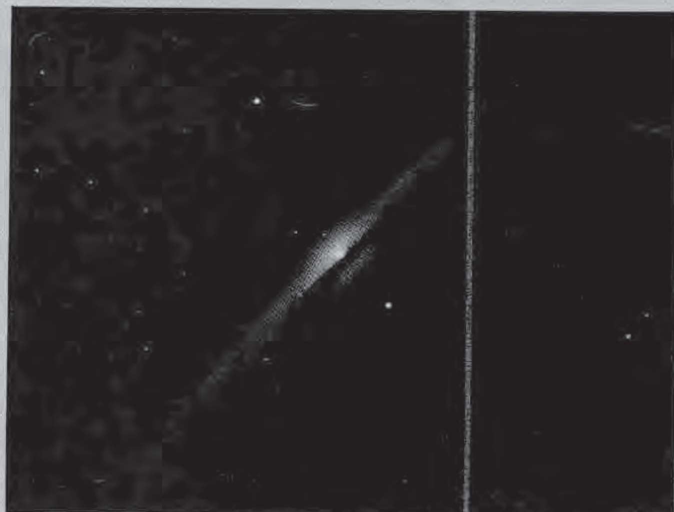
★ صورة تلسكوبية لمجرة أندروميدا ★



★ صورة لأحد قطاعات مجرة أندروميدا وتظهر الأسهم زوجاً من متغيرات سيفيد ★

تغيّرات أساسيّة في تركيب النجوم وسرعاتها . والصور اللاحقة لمجرّة أندروميدا أظهرت أنها تتضمن العديد من السيفيدات . ويوّضح (الشكل ٤) اثنين منها .

وتكمن أهم فوائد اكتشاف متغيّرات سيفيد في أنها ساعدت الفلكيين على تحديد المسافات التي تفصلنا عن المجرّات البعيدة . **فبمعرفة « دور » تغيّر شدّة الإضاءة (الذي يساوي زمن ذبذبة كاملة لتغيّر شدّة الإضاءة)** يمكن تحديد المسافة التقريبيّة التي تفصلنا عن السيفيد . وأثبتت دراسة متغيّرات سيفيد أن الكثير من النجوم البعيدة تبدو من الأرض أقلّ سطوعاً بكثير مما يجب أن تكون . وبين هابل أن هذا يعود لبعدها الشديد عنّا . والحسابات المكثّفة التي تستند إلى البيانات الرصديّة الحديثة للسيفيدات بيّنت أن مجرّة أندروميدا تبعد عن الأرض بمسافة ٢,٢٥ مليون سنة ضوئية (السنة الضوئية هي المسافة التي يقطعها الضوء في الخلاء خلال سنة كاملة وتساوي بالتقريب $١٠^{١٣}$ كيلو متر) ، مما يثبت أنها ليست غمامة عادية ولكنها نظام نجمي هائل الحجم وشديد البعد عن مجرّة درب اللبّانة .



★ المجرة NGC 4565 من ذوات الجوف المركزي الصغير ★

وأدى طرح نتائج دراسات هابل خلال ملتقى « **الجمعية الفلكية الأمريكية** » ASS **الذي عقد في ٣٠ ديسمبر/كانون أول من عام ١٩٢٤ م إلى وضع حد نهائي لحوار شابلي ـ كورتيس ، فالكون أصبح يعد أكثر اتساعاً بكثير مما كان يظنّ ، وهو يعج بالأجسام الفلكية الأكثر حجماً بكثير مما كان يظنّ الفلكيون ..**

لقد اكتشف هابل العالم الحقيقي للمجرّات . وتبيّن أثر ذلك أن الكون يتألف من ملايين المجرّات المنتشرة في الفضاء ، وأن المجرّة اللولبيّة الواحدة قد تتضمن مائة مليون نجم وقد يصل قطرها إلى ١٠٠٠٠٠ سنة ضوئية .

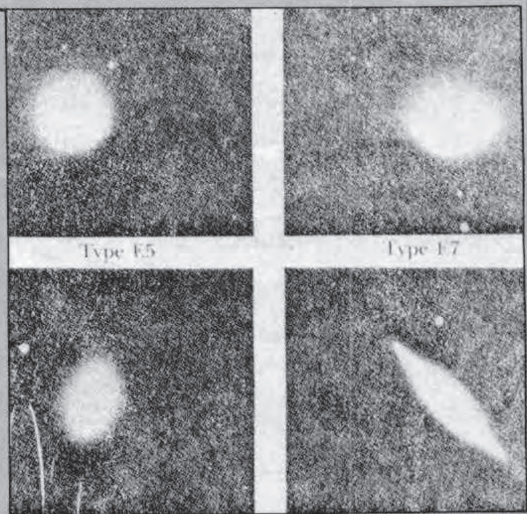
وانفرد هابل بسبق علمي كبير حين تمكّن من وضع أول تصنيف دقيق للمجرّات يعرف باسم « تصنيف هابل » Hubble Classification ويستند هذا التصنيف بشكل أساسي على الأشكال الهندسية للمجرّات التي قسمها هابل إلى أربعة أقسام رئيسية هي : **الإهليلجيّة** Ellipticals **واللولبيّة** Spirals **وقليلة التلولب** Barred spirals **واللامنتظمة** irregulars . وكلّ من المجرّتين M51 (NGC 5194) وأندروميدا (M31 أو NGC 224) تعدان مثالين عن المجرّات اللولبيّة . وقام هابل بإعادة تقسيم المجرّات اللولبيّة إلى عدة أنواع بناء على حجم الجوف المركزي central bulge ودرجة انعطاف الأذرع اللولبية . فالمجرّة MIO4 (تعرف أيضاً باسمي « **سومبريرو** » Sombrero و NGC 4594) التي تظهر في (الشكل ٥) تنتمي إلى ذوات الجوف المركزي الكبير ، والمجرّة WGC 4594 التي تظهر في (الشكل ٦) تنتمي إلى ذوات الجوف المركزي الصغير .

وتتميّز المجرّات الإهليلجيّة بأشكالها الإهليلجيّة المميّزة وعدم احتوائها على الأذرع اللولبية . وقام هابل بإعادة تقسيمها بناء على درجة استدارتها أو تفلطحها فعبّر عن درجات التفلطح بأرقام تبدأ بالصفر وتنتهي بالسبعة . ويوضح (الشكل ٧) بعض أنواع المجرّات الإهليلجية ذات درجات التفلطح المتنوعة . وتتواجد المجرات الإهليلجية وفق

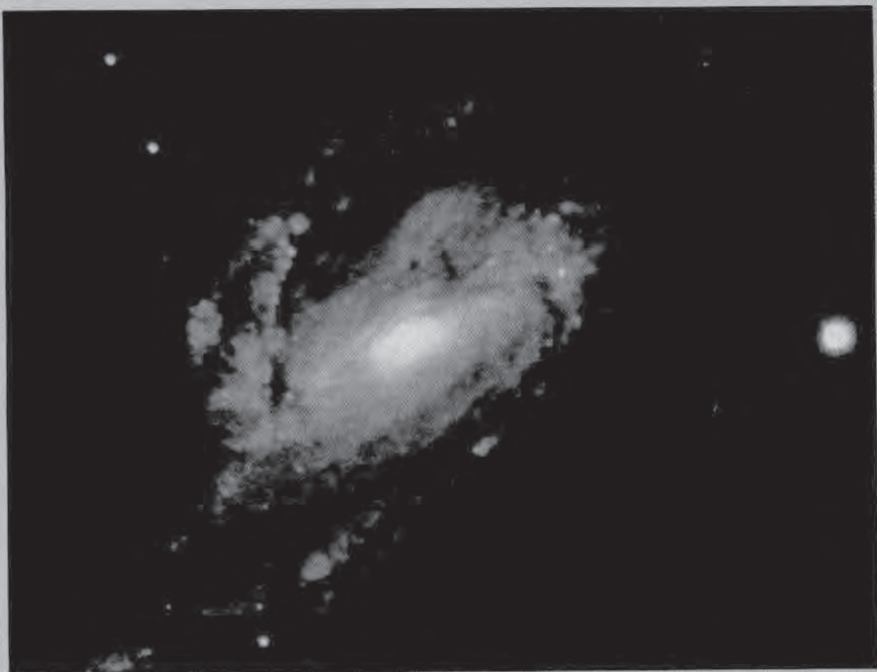
حجوم وكتل شديدة التباين حيث تنتمي كل من أضخم المجرّات وأصغرها إلى هذا الصنف . والمجرّة M87 (أو NGC 4486) التي تظهر في (الشكل ٨) تعد مثالاً للمجرّات الإهليلجية العملاقة ، وهي تتوضع وسط عنقود كبير من المجرّات في « برج العذراء » Virge-censtellation ويرى الفلكيّون فيها واحدة من أكثر المجرّات فتنة وجمالاً . وفي الوقت الذي تبدو فيه المجرّات الإهليلجية الضخمة نادرة الوجود في الكون فإن « **المجرات الإهليلجية القزمة** Dwarf ellipticals كثيرة الانتشار ، وتتميّز باحتوائها على أعداد قليلة من النجوم لا يتعدّى بضعة ملايين في المجرّة الواحدة . ويمثل (الشكل ٩) صورة لمجرة NGC 147 الإهليلجية القزمة التي تنتمي إلى برج « ذات الكرسي » Cassiopeia .

وأما المجرّات التي لا تنتمي إلى الأنواع اللولبية أو قليلة التلولب أو الإهليلجية فقد فضل هابل أن يسميها « المجرّات اللامنتظمة » بسبب غرابة أشكالها وخصائصها . ومنها مجرّتا :

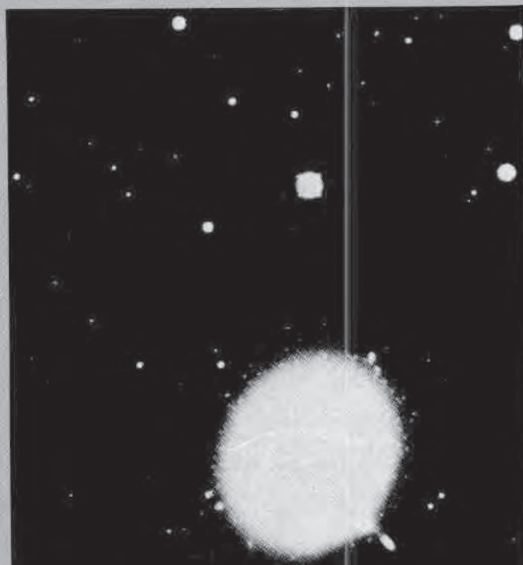
« **سحابة ماجلان الكبيرة** » Large Magellanic Cloud و« **سحابة ماجلان الصغيرة** » Small Magellanic Cloud اللتان تظهران في (الشكلين ١٠ و١١) . وهما جارتان لدرب اللبّانة ويمكن رصدهما من المناطق الجنوبية البعيدة عن خط استواء الأرض . وتُظهر الصورتان أن هاتين المجرّتين تفتقران لعناصر التناظر الهندسي اللولبي أو الإهليلجي وهذا ما دفع هابل إلى تصنيفهما ضمن مجموعة المجرّات اللامنتظمة . وتجدر الإشارة إلى أن سحابتي ماجلان تمثّلان المجرّتين الأكثر قرباً إلى الأرض في عنقود المجرّات الذي تنتمي إليه مجرّتا درب اللبّانة وأندروميدا .



★ بعض أنواع المجرات الاهليلجية ذات درجات التفلطح المختلفة ★



★ صورة للمجرة اللولبية M 66 التي تبعد عن الأرض بمسافة ٣٠ مليون سنة ضوئية ★



★ المجرة M 87 مثال عن الاهليلجيات العملاقة ★

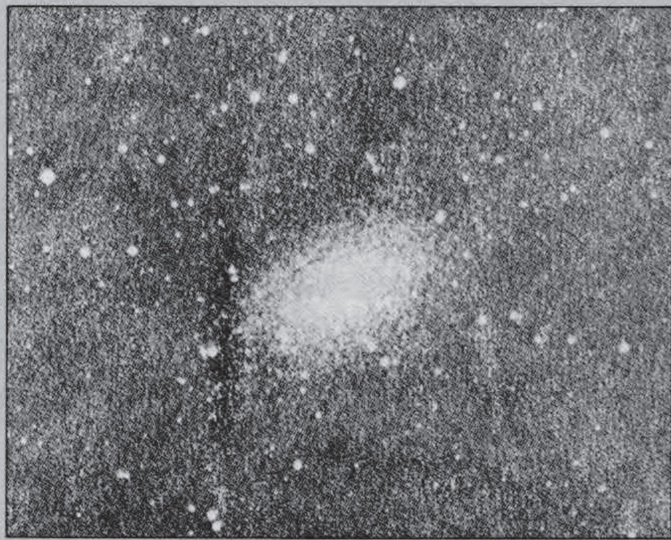


★ سحابة ماجلان الصغرى (لا منتظمة) ★

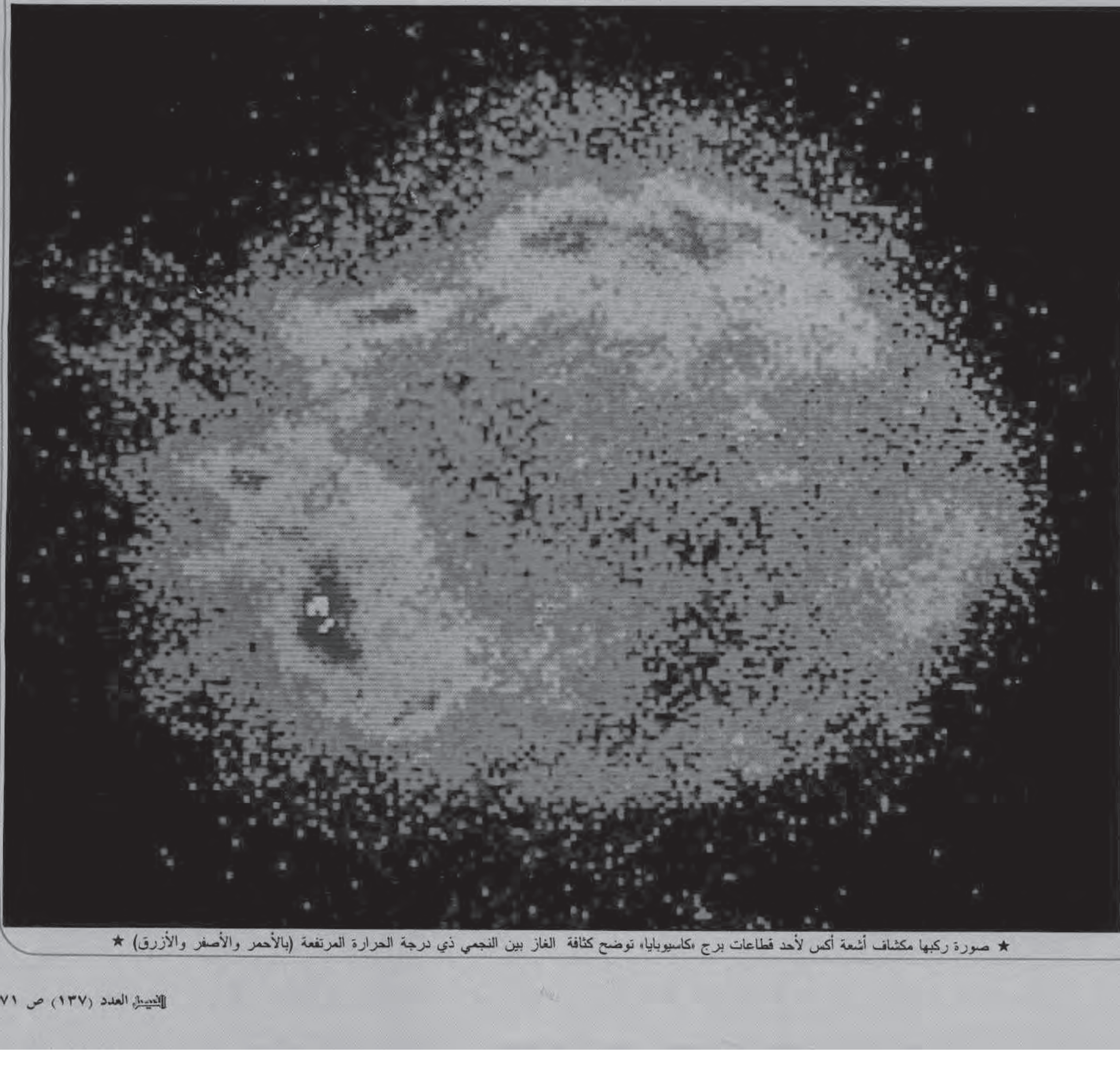
عنـاقيـد المجـرّات

أكدت مختلف عمليات الرصد والحساب الفلكي التي أجريت مؤخراً من أن المجرّات لا تنتشر في الفضاء بشكل عشوائي ولكنها تتجمع في عناقيد Clusters مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ **وكلّ في فلك يسبحون** ﴾ .

والعناقيد نوعان : فقيرة poor **وغنيّة** rich ، وذلك بناء على عدد المجرّات التي تحتويها . وعلى سبيل المثال ، تنتمي مجرّات درب اللبّانة وأندروميدا وسحابتا ماجلاّن الكبيرة والصغيرة إلى عنقود فقير يدعى « **المجموعة المحلّية** » local group التي تتضمن حوالي عشرين مجرّة ينتمي معظمها إلى صنف المجرّات الإهليلجيّة القزمة . على أن أقرب العناقيد الغنيّة إلى الأرض هو **عنقود العذراء** Virgo cluster الذي يتألف من حوالي ١٠٠٠ مجرّة تغطي مساحة هائلة من الفضاء . والمسافة بين



★ المجرة NGC 147 نموذج للاهليلجيات القزمة ★



★ صورة ركبها مكشاف أشعة أكس لأحد قطاعات برج «كاسيوبايا» توضح كثافة الغاز بين النجمي ذي درجة الحرارة المرتفعة (بالأحمر والأصفر والأزرق) ★

الأرض وعنقود العذراء تقدّر بحوالي ٥٠ مليون سنة ضوئية ، وعلى هذا فهو بعيد للحدّ الذي يجعل متغيّرات سيفيد مستحيلة الرؤيا من مجرّتنا مما اضطرّ الفلكيين إلى اللجوء لطرق أخرى لحساب بعده عن الأرض ومنها القياسات المتعلّقة بالبهوت الظاهري لبعض نجومه ودرجة سطوع بعض العناقيد الكرويّة التي تحيط ببعض مجرّاته . ولقد بيّنت هذه القياسات أيضاً بأن القطر الكلّي لعنقود العذراء يبلغ حوالي سبعة ملايين سنة ضوئية .

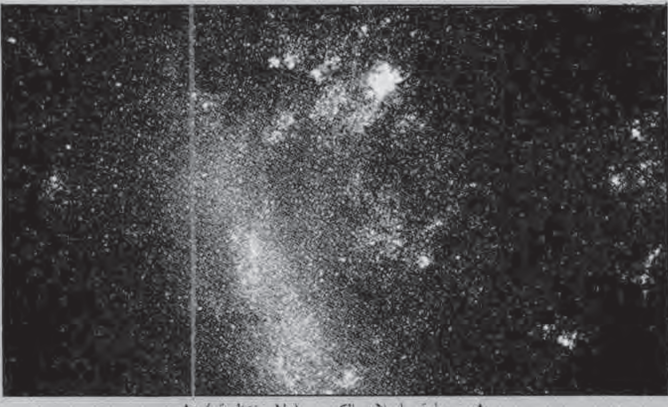
والقطاع المركزي لعنقود العذراء تسوده ثلاث مجرّات إهليلجية ، اثنتان منها (M 84 وM86) تظهران في (الشكل ١٢) والثالثة (M 87) تظهر في (الشكل ٨) . وكل من هذه المجرّات الهائلة الحجم يمكن أن يصل قطرها إلى مليوني سنة ضوئية أي أنها تفوق أكبر المجرّات اللولبية أو الإهليلجية حجماً بحوالي عشرين مرّة . كما وجد أن واحدة من هذه المجرّات الكبرى تساوي تقريباً من حيث حجمها الحجم الكلي للمجموعة المحلّية .

وبالإضافة لتصنيف (الغنيّة والفقيرة) فإن الفلكيين غالباً ما يلجأون إلى تصنيف عناقيد المجرّات في نوعي « **المنتظمة** » و« **اللامنتظمة** » وذلك بناء على الشكل الهندسي الكلي للعنقود . فعنقود العذراء يصنّف ضمن العناقيد اللامنتظمة بسبب عدم التناظر الذي يميّز طريقة انتثار مجراته عبر الفضاء . وعلى العكس من ذلك ، فإن للعناقيد **المنتظمة مظهر كرويّ مميّز مصحوب بتركيز خاص للمجرّات في جوف العنقود .**

وأقرب نموذج للعناقيد المنتظمة إلى الأرض هو « عنقود كوما » Coma cluster الذي يستلقي بعيداً عن الأرض بمسافة ٣٥٠ مليون سنة ضوئية وباتجاه برج « **كوما بيرينايسيس** » Coma Berenices . وهو من العناقيد الغنيّة جداً بالمجرات . وبالرغم من بعده الهائل عن الأرض فإن أكثر من ألف من مجرّاته الساطعة يمكن كشفها من الأرض بوٍاسطة الشرائح الفوتوغرافية التليسكوبية . ويظهر (الشكل ١٣) بعض المجرّات الساطعة في واحدة من هذه الشرائح . ومن المؤكد أن هذا العنقود يحتوي أيضاً على الآلاف من المجرّات الإهليلجية القزمة التي لا يمكن كشفها من الأرض بسبب بهوتها الشديد ، لذا فإن الفلكّيين يقدرون العدد الإجمالي لمجرّات عنقود كوما بحوالي عشرة آلاف .

الكتلة المفقودة

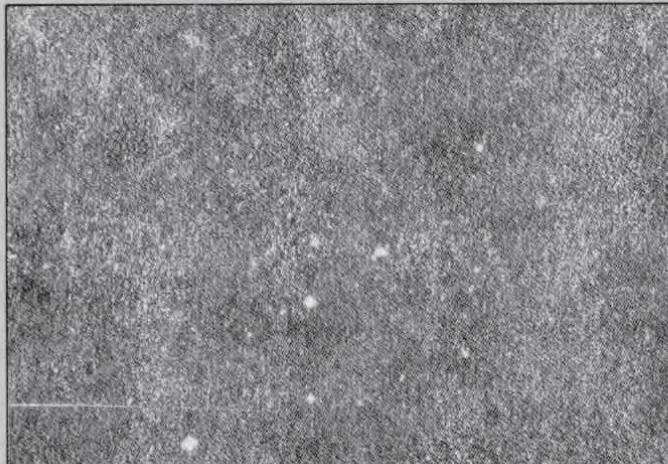
إن الحقيقة التي أثبتتها كافة الحسابات الفلكية والتي لم يعد يختلف بشأنها الفلكيون هي أن كل عنقود من المجرّات لابد أنه يمثّل نظاماً تجاذبياً مغلقاً . وبمعنى آخر ، لابد أن تكون الكتلة الكلّية لمادة أي عنقود كافية لإنتاج القوى الجاذبية التي تمنع المجرّات من التشتّت والتناثر في الفضاء . والتفحص الدقيق لعنقود غني ، كعنقود كوما ، أظهر على نحو مثالي بأن كتلة المادة ذات الضوء المرئي لا تكفي لتحقيق الترابط التجاذبي بين أجزاء العنقود . ولقد أظهرت القياسات المتعلقة بسرعات حركات المجرّات (المقيسة بطريقة « **انزياحات دبلر** » Doppler shifts) أن الكتلة الحقيقية للعنقود لابد أن تكون أكبر بكثير من مجموع كتل المجرّات المرئية حتى يمكن للمجرّات أن تحتفظ بمدارات ثابتة حول مركز العنقود



★ سحابة ماجلان الكبرى (لا منتظمة) ★

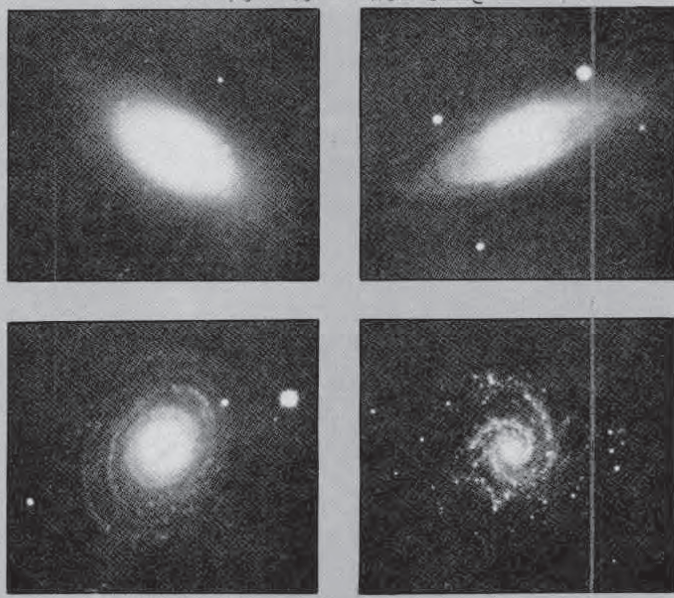


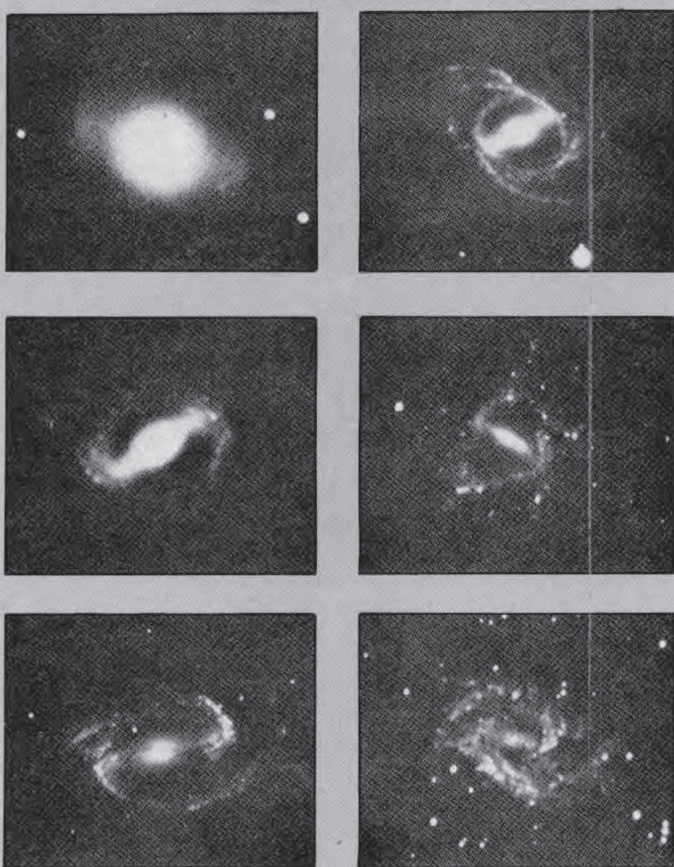
★ صورة لمركز عنقود العذراء ★



★ صورة فوتوغرافية تلسكوبية لعنقود « كوما » أقرب العناقيد إلى الأرض ★

★ نماذج لمجرات لولبية ذات درجات تلولب مختلفة ★





★ نماذج لمجرات قليلة التلولب ★

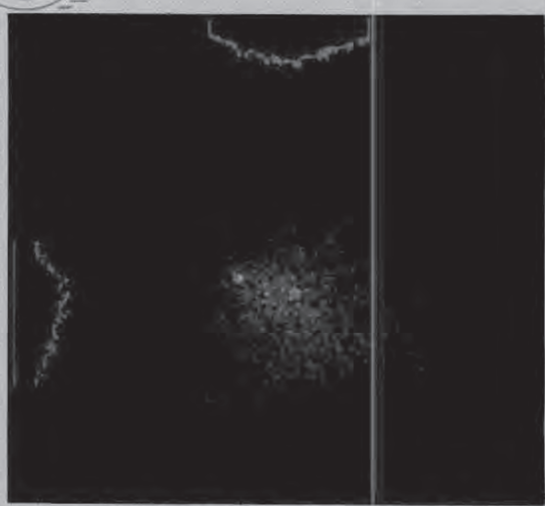
وعلى النحو الذي أثبتته مختلف عمليات الرصد الحديثة . وهذه المعضلة الفلكيّة تعرف الآن في علم الفلك باسم (**مشكلة المادة المفقودة** Missing-mass problem) . ولاشك أن المادة الداكنة (غير الساطعة) التي تنتشر في كافة أرجاء العناقيد تشكل كسراً كبيراً من أصل الكتلة الكلّية الحقيقية لمادة العناقيد . ولولا هذه المادة فإن مما لاشكّ فيه أن العنقود لم يكن ليتشكّل على الإطلاق ، ولانتثرت مجرّات العناقيد في الفضاء بشكل عشوائي . وأوضحت التحاليل الإشعاعية والحسابات النظرية بأن الكتلة الكلّية اللازمة لربط مؤلفات عنقود نموذجي غنيّ لابد أن تبلغ عشرة أضعاف كتلة المادة المرئية في الشرائح الفوتوغرافية التليسكوبية .

جزء من هذا اللغز تم حلّه مؤخراً باستخدام كواشف أشعة أكس X-ray detectrs المحمولة على الأقمار الصناعية التي أظهرت أن أشعة أكس دائمة التدفّق من الفضاء الواقع بين مجرّات العناقيد الغنيّة .

ويوضح (الشكل ١٤) صورة للعنقود الغني (A 1367 ، أو العنقود رقم 1367 في فهرس العناقيد الغنيّة الذي ابتدعه جورج أبيل George Abell) التقطت بواسطة مكشاف أشعة أكس . ويدلّ تدفّق هذه الأشعة على وجود كميات كبيرة من « الغاز بين المجرّى » intergalactic gas الذي تتراوح درجة حرارته بين ١٠ ملايين و ١٠٠ مليون درجة مئوية . ووضحت التحاليل والقياسات أن كتلة الغاز بين المجرّى تساوي مجموع كتل المجرّات المرئية في أي عنقود . ومع كل ذلك وجد أن مجموع كتلتي المادة المرئية والغاز بين المجرّى لا يشكل إلا جزءاً من الكتلة الكلّية للمادة التي من شأنها أن تفسر القوى التجاذبية المسؤولة عن بقاء المجرّات في مداراتها حول مراكز العناقيد . ومعظم الفلكيين يتفقون الآن على أن مقداراً كبيراً من المادة الداكنة التي لم يتم اكتشافها حتى الآن تنتشر في العناقيد الغنيّة ، ويقدّر البعض أن تكون هذه المادة موزّعة على شكل نجوم ميتة خبا ضوؤها وتنتشر ضمن هالات مترامية الأبعاد تحيط بالمجرات ، ويمكن أيضاً أن تكون منتشرة عبر الفضاء الكائن بين مجرّات العنقود . وبالرغم من أن العديد من الفرضيات الأخرى قد وضعت مؤخراً لتفسير لغز المادة المفقودة بما فيها فرضيّة وجود الغاز البارد والثقوب السوداء والدقائق الكثيفة فإن فرضية وجود الهالات المترامية من النجوم الداكنة تبقى الأكثر احتمالاً .

تصادم واندماج المجرّات

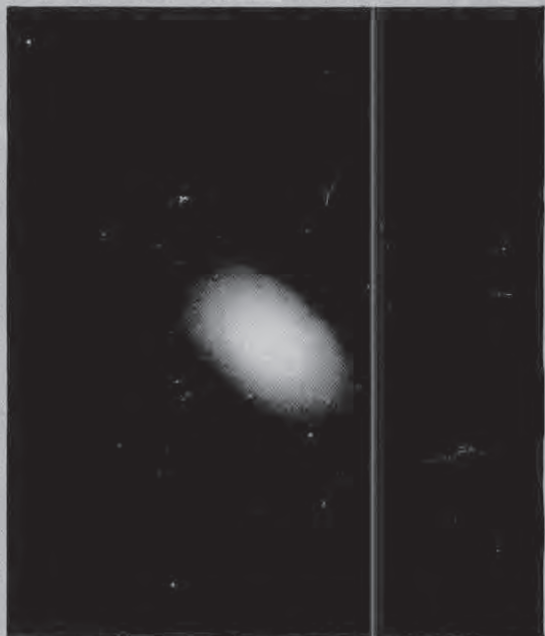
يعد اصطدام المجرّات ببعضها واحداً من أهم الظواهر الفلكيّة ، ويحدث هذا عندما تتقابل مجرّتان رأساً لرأس . وبما أن السحب الهائلة الحجم من الغاز والغبار بين المجرتين لا يمكنها أن تتداخل في بعضها فإن الاصطدام يولّد موجات عنيفة تؤدي إلى رفع حرارة هذه السحب لدرجات عالية . وفي بعض الحالات الأخرى يؤدي تصادم مجرتين ببعضهما إلى اندماجهما في مجرّة واحدة . ولقد تمكّن الفلكي « **فرانسوا شفايتزر** » François Schweizer من مرصد « **سيرّو تولولو** » cerro Tololo في الشيلي من اكتشاف العديد من الأمثلة عن المجرّات المندمجة . وتظهر في (الشكل ١٥) صورة للمجرّة NGC 1316 الكائنة في برج « **فورناكس** » Fornax والتي تعد مثالاً نموذجياً عن اندماج



★ صورة للعنقود A 1367 التقطت بمكشاف أشعة أكس ، الأجزاء الملونة تمثل الغاز بين المجري المصدر لأشعة أكس ★



★ المجرة NGC 1316 ، نتجت عن اندماج مجرتين ★



★ الجوف المركزي لمجرة أندروميدا ★

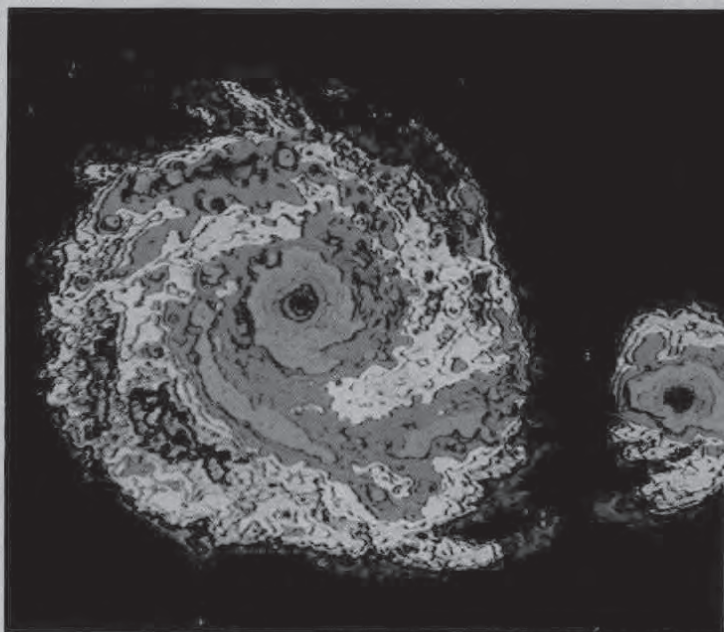


★ المجرة NGC 2623 الواقعة في برج السرطان التي يعتقد أنها نتجت عن اندماج مجرتين ★

مجرتين . وعندما تندمج مجرّتان فإنهما تؤديان إلى تشكيل مجرّة أكبر ، وإذا كانت هذه المجرّة الجديدة موجودة في عنقود غني فإنها ستلتهم و(تفترس) مجرات أخرى مما يؤدي إلى نموّها لأحجام هائلة . وتدعى هذه الظاهرة « **الافتراس المجرّي** » galactic canniblism . ويختلف الافتراس عن الاندماج في أن المجرّة المفترسة تكون أكبر من فريستها بينما تكون المجرّتان المندمجتان من حجم واحد تقريباً .

تباعد المجرّات واتساع الكون

خلال عقد العشرينات توّصل كل من أدوين هابل و« **ميلتون هيوماسون** » Milton Humason إلى اكتشاف هام عندما لاحظا وجود ارتباط مباشر بين المسافة من الأرض إلى أية مجرّة ومقدار انزياح طيفها spectrum نحو النهاية الحمراء وذلك حين قاما بتصوير طيوف العديد من المجرّات بواسطة تلسكوب (**ماونت ويلسون**) ذو المائة بوصة . والنتيجة الهامة التي توصلا إليها بواسطة هذه التقنية تقضي بأن المجرّات القريبة من الأرض تبتعد عنها بشكل بطيء والمجرّات الأكثر بعداً تندفع بعيداً عنها بسرعة أكبر . ويطلق على هذه الحركة التباعديّة للمجرّات في مصطلحات علم الفلك الحديث اسم « **مدّ هابل** » Hubble flew . وتعدّ هذه العلاقة بين المسافات إلى المجرّات وانزياحات طيوفها نحو النهاية الحمراء إحدى أهم الاكتشافات الفلكيّة في القرن العشرين لأنها أثبتت أننا نعيش في كون لا يتوقّف عن الاتساع . وفي عام ١٩٢٩ م عبّر هابل عن هذا الاكتشاف في القانون الذي يعرف الآن باسم « **قانون هابل** »



★ ديناميكية حركية وطاقة حيوية وإشعاعات حرارية مدمرة لاهبة للمجرة (M 81) .. والألوان الحرارة المختلفة في الصورة تبين اختلاف أنواع التكوين لنجومها الزرق والحمر ★

Hubble Law ويكتب على النحو التالي : (**سر = ثا × س**) .

حيث : تمثل (سر) سرعة ابتعاد المجرّة ، (س) البعد الراهن للمجرّة ، (ثا) مقدار ثابت يدعى « **ثابت هابل** » Hubble censtant . ويتضح من هذه المعادلة الخطية البسيطة أن أهم مقدار يجب التوصّل لحسابه من أجل تحديد سرعات ابتعاد مختلف المجرّات عن الأرض هو الثابت (ثا) ، ولقد تمكّن هابل من تقدير قيمة ثابتة عن طريق الحسابات الرصدية فأعطاه القيمة (١٥ كيلو متر في الثانية لكل مليون سنة ضوئية) ، مما يعني أن المجرّة التي تبعد عن الأرض بمسافة مليون سنة ضوئية تزداد ابتعاداً عنها بسرعة ١٥ كيلو متراً في الثانية .

ولابد من الإشارة إلى أن القيمة الدقيقة لثابت هابل تعد اليوم ميداناً لخلاف كبير يدور بين الفلكيين ، ذلك أن هناك العديد منهم ممن أعطى للثابت قيمة أعلى بكثير من تلك التي توّصل إليها هابل . وهذا الثابت يعد الآن واحداً من أهم الأرقام في علم الفيزياء الفلكيّة .

*

المــراجــع

1 – (UNIVERSE). Willliam J. Kaufmann. W.H. Freeman and Company, New York. pages 471-491; 1985.

2 – (DARK MATTER IN SPIRAL GALAXIES). Vera C. Rubin in SCIENTIFIC AMERICAN, Vol. 284, Pages 88-101; June, 1983.

3 – (THE LARGE-SCALE STREAMING OF GALAXIES). Alan Dressler in SCIENTIFIC AMERICAN, Vol. 257, pages 38-46; September, 1987.

عمر الشباب

شعر : سعد البواردي

فَجـــرِّ العـــزة في صُمِّ الهضاب
وازرع الإيمان في شُمِّ الرحـــاب
وأشِدْ بالثـــأر داراً حـــوِّلت
بيـد العـادي إلى دار خـــراب
عَالَـم طـال بـه الليـلُ فمـا
أَنِـفَ الخدَّ التصاقـاً بالتـــراب
لا تقل في مقلتـي دمـعٌ .. ولا
في ضميري قـد ينادينـي عقـابي
لا تقل قد يذهب الحتـف بهم
إن جسر النصر يُرسى بـالحراب
طالَ عمر القوم وَهْنـاً وكـرىً
آن أن يُدعى إلى دنيـا الصواب
قد يموت النور في طوع الخُطـى
ويشع النـور في زجـر العـذاب
رُبَّ حـيٍ لم يـذق طعـمَ الإبـا
ذاقه في صفعة .. أو قول نـابِ
وجبـانٍ يهزأ النـاسُ بـــه ..
خلَّقَ الجبـنَ على وخـز السبـاب
وكسيـــح أنقذتـــه موجـــة ..
أسلمته الشطُّ مـن لُـجِّ العبـاب
رُبَّ حلمٍ مزعـجٍ يصحـو لـه ..
نائمٌ مـن بعـد رعب وانتحـاب
وحبـــيب لم يَـــرق لحم الهوى
ذاقـه مـن بعـد بُعـدٍ واغتـراب
قـل لمن غنـى لأطـلال الـونى
« تُهزَمُ الأطلال في عمر الشباب »



الثقافة للجميع

نقطة



★ نموذج لمنزل شعبي في مكة المكرمة ★

أوائل

•• أول من اتخذ الحرس والعسس ، ومُشي بين يديه بالحراب والعُمد ، وجلس بين يديه على الكراسي .. وأول من اتخذ السقيف على حوانيت السوق .. « **زياد** » وهو صاحبي جليل ، ومن القادة الشجعان .. توفي عام ٦٠ هـ .

•• أول من مشت الرجال معه وهو راكب ، **الأشعث بن قيس** .. وكانت **بنو عمرو بن معاوية** قد ملّكوه عليهم وتوّجوه .

•• أول عربي قُتل خنقاً ، **عديُ ابن زيد** .. وهو شاعر من دهاة الجاهليين .. كان يحسن العربية والفارسية والرمي بالنشاب ، ويلعب لعب العجم بالصولجة على الخيل .. وهو **أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى** .. تزوج **هنداً بنت النعمان بن المنذر** .. ثم سجنه النعمان لوشاية ، وقتله في سجنه **بالحيرة** نحو سنة ٣٥ ق . هـ .

•• أول من رسم هدايا النيروز والمهرجان هو **الحجاج بن يوسف الثقفي** .. وأول من رفعها (أي منعها) **عمر بن عبد العزيز** .

*

طرفة

خرج أعرابي قد ولّاه **الحَجَّاجُ** بعض النواحي ، فأقام بها مدةً طويلة .. فلما كان في بعض الأيام ، وَرَدَ عليه أعرابي من حَيّه .. فقدّم إليه الطعام ، وكان إذ ذاك جائعاً .. فسأله عن أهله وقال : **ماحال ابني عُمير** ؟ . قال : على ما تحب .. قد ملا الأرضَ والحيَّ رجالاً ونساءً . قال : **فما حالُ أم عمير** ؟ .. قال : صالحةٌ أيضا .. قال : **فما حال الدار** ؟ .. قال : عامرة بأهلها . قال : وكلبنا إيقاع ؟ .. قال : قد ملأ الحيَّ نبحاً . قال : **فما حال جَمَلي زُرَيْق** ؟ .. قال : على ما يسرك .. فالتَفَت إلى خادمه وقال : إرفع الطعام .. فرفعه ولم يشبع الأعرابي .

ثم أقبَل عليه (الأعرابي) يسأله وقال : يأمبارك الناصية .. أعِدْ عليَّ ما ذكرت .. سَلْ عما بدا لك .. قال : فما حالي كلبي إيقاع ؟ قال : مات . قال : وما الذي أماته ؟ قال : اختنق بعُظمةٍ من عظام جَمَلِك زُريق فمات . قال : أو مات جملي زُريق ؟ .. قال : نعم . قال : وماالذي أماته ؟ .. قال : كُثْر نقل الماء إلى قبر أم عمير .. قال : أو ماتت أم عُمير ؟ قال : نعم . قال : وما الذي أماتها ؟ قال : كثرةُ بكائها على عُمير .. قال : أو مات عُمير ؟ .. قال : نعم .. قال : وماالذي أماته ؟ قال : سقطت عليه الدار .. قال : أو سقطت الدار ؟ .. قال : نعم .... فقام له بالعصا ضارباً .. فولّى من بين يديه هارباً .

من أقوال العرب

★ قال **أبو الطيب المتنبي** :

ومن العَداوةِ ما ينالُكَ نَفْعُـهُ ... ومن الصداقةِ ما يَضُرُّ ويُؤلِم

★ وقالت **العرب** :

« من قَصُرَت يده ، مَدَّ لسانه » .

★ وقال **الشاعر** :

قَدِّرْ لرجلكَ قبل الخطوِ موضعها ... فمن علاَ زَلَقاً عن غِرَّةٍ زَلَجا

وأقوال الإنجليز

••

Better an open enemy than a false friend.

« عدوٌ صريح خيرٌ من صديق زائف »

••

Barking dogs seldom bite.

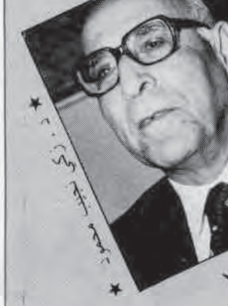
« الكلاب النبّاحة نادراً ما تعض » .

••

Better be sure than sorry.

« أن تكون واثقاً خير من أن تصبح نادماً » .

من ثمرات مجلة الفيصل



العلـم .. واللغـو

« إن عصرنا هذا ، بصفة خاصة ، يسوده استهتار عجيب في كل شيء .
والذي يهمني الآن ناحية خطيرة من نواحي حياتنا ، هي ناحية التفكير والتعبير . فقد اعتادت الألسنة والأقلام أن ترسل القول إرسالاً غير مسؤول ، دون أن يطوف ببال المتعلم أو الكاتب أدنى شعور بأنه مطالب أمام نفسه وأمام الناس بأن يجعل لقوله سنداً من الواقع الذي تراه الأبصار وتمسه الأيدي .

وعلى ذلك فأنا مؤمن بالعلم ، كافر بهذا اللغو الذي لا يجدي على أصحابه ، ولا على الناس شيئاً . وعندي أن الأمة تأخذ بنصيب من المدنية يكثر أو يقل بمقدار ما تأخذ بنصيب من العلم ومنهجه . فإن كان نتاج العاطفة من فن وأدب وما إليها قد صاحب المدنية الإنسانية في كل أدوارها ، فلأنه علامة تدل على وجودها أكثر منه عاملاً من عوامل إيجادها . »

دكتور زكي نجيب محمود
العدد التاسع
ربيع الأول ١٣٩٨ هـ
فبراير ـ مارس ١٩٧٨ م

لغة الأرقام



المؤلفون .. والأدبـاء

★ الأديب الأسباني ، **لوب دي فيجا** (١٥٦٢ ـ ١٦٣٥ م) كتب ١٨٠٠ مسرحية .

★ الكاتب الإنجليزي **فرانك ريتشاردز** (١٨٧٥ ـ ١٩٦١ م) بلغ عدد ما كتب ٧٢ مليون كلمة .

★ المؤلف البلجيكي جورج سيمونون ألّف ٢١٤ كتاباً .

★ المفكر الفرنسي **فولتير** (١٦٩٤ ـ ١٧٧٨ م) كتب أكثر من ٢١٠ ألف رسالة .

★ الأديب الفرنسي **فيكتور هوجو** (١٨٠٢ ـ ١٨٨٥ م) كتب أكثر من ١٠٠ ألف بيت شعر .

★ الأديب الفرنسي **ألكسندر دوماس** (١٨٠٢ ـ ١٨٧٠ م) كتب ٢٥٧ جزءاً .

★ الروائي الفرنسي **بلزاك** (١٧٩٩ ـ ١٨٥٠ م) ألف ١٥٠ مؤلفاً .

★ الروائي الأمريكي **إرنست همنجواي** (١٨٩٩ ـ ١٩٦١ م) كان يتقاضى ٣٠ ألف دولار لكتابة مقال يتكون من ٢٠٠٠ كلمة ـ أي أنه كان يكتب الكلمة الواحدة بـ ١٥ دولاراً .

★ الروائي البريطاني **جانيه إيتشيسون** ألّف « **قصة القبطان** » وعمره خمس سنوات ونصف .

صورة وتعليق



[حنان .. ودلال .. سمك المواري بخليج العقبة]

الجديد .. في العلم

★ ترقيع جلد الإنسان

تمكّنت إحدى **مؤسسات البحوث الألمانية** من التوصل إلى طريقة جديدة لترقيع جلد الإنسان الذي يصاب بحروق من الدرجة الثالثة .

تعتمد الطريقة الجديدة على أخذ قطعة سليمة من جلد المصاب ، ووضعها في حاضنة من نوع خاص ، فيزداد حجمها ويبلغ ضعفيه ، في غضون ثلاثة أسابيع ، ثم يرقَّع بها الجزء المصاب بالحروق .

تتميز هذه الطريقة بأن الجسم لا يلفظ الجلد الجديد بعد زرعه كما يحدث في الطرق المستعملة في أغلب العمليات . وقد استخدمت لأول مرة في **مستشفى الطوارئ في « لودفيجسهافن » بألمانيا الغربية** .

لوحة وفنان

★★ لوحة : صدى الصرخة ★★

• طفل يجلس وحيداً بين أنقـاض وأشلاء .. أوراق متطايرة .. أجزاء من آلات وأنابيب معدنية متناثرة على الأرض .. فوهات مدافع وبقايا أسلحة متدمرة .. أشكال غير محددة المعالم مصبوغة باللون الأحمر كأنه أثر دماء بشرية .. قطعة قماش حمراء تستر بعض أجزاء الجسد النحيل للطفل وتكشف عن البعض الآخر .. ألم وصراخ وبكاء ، تعبيـرات مرتسمة على وجه الطفل .. مناخ مأساوي يوحي بالفوضى والخراب والدمار ، وكأنه مشهد لأثر حرب ضارية دُمر فيها كل شيء .. ذهب كل شيء ، وبقي الطفل الذي يبكي من الألم والوحدة والوحشة .. هذا الصراخ المدوي الذي يصم الآذان ، الذي يؤلم المتلقي حتى يصيبه بالملل .. تلك هي عناصر ومفردات ورموز الفنان « دافيد سيكيروس » في لوحة « صدى صرخة » ، فقد صور الفنان صرخة الطفل وجسَّدها عن طريق تثبيت الزمن لحظة الصرخة لنسمعها في كل وقت ولتذكرنا بتألم هذا الطفل وبأثر الحروب وما تتركه من دمار لأنفسنا وهذا هو موضوع اللوحة .. أي تصوير الصرخة وصداها .

• مضمون اللوحة هو تحريك مشاعرنا وأحاسيسنا لعمل شيء إيجابي ليس لهذا الطفل فقط ، وإنما لأطفال العالم ، ومستقبل البشرية ، والإنسانية بوجه عام .. أي التحذير من الحروب والدعوة لإيقافها ، وهنا نقل الفنان إطار موضوع لوحته من المحلية إلى العالمية عبر هذا المضمون .. أي نقله من الحالة الخاصة إلى الحالة العامة ليؤثر في كل إنسان على وجه البصيرة بمخاطبة عقله ووجدانه ، فموضوع الحرب والدمار الذي تتركه يمس كل إنسان ..

• تذكرنا هذه اللوحة باللوحة التعبيرية الشهيرة « صرخة » للفنان الألماني « إدوارد مونش » ، إلا أن هذه اللوحة تندرج تحت « مدرسة الواقعية الاجتماعية » ، ولم يصور الفنان فيها الصرخة فقط وإنما صدى الصرخة أيضاً بترديد تصوير وجه الطفل بحجم كبير يحتل مساحة أعلى منتصف اللوحة ، ليجذب عين وانتباه المتلقي ، ويخرج هذا الوجه المنفصل الكبير من الوجه الصغير للطفل لينتشر كالموجات الصوتية ، وبذلك صور الفنان صدى الصرخة عن طريق التكبير والترديد .

• اللوحة مصورة في مجال الثلاثـة أبعاد ، فتشعر بالعمق في اللوحة ، إلاَّ أن الفنان لم يتقيد بقواعد المنظور من حيث الأحجام ، وذلك بهدف إبراز القيم التعبيرية حيث لها الأهمية الأولى ، فالرأس الكبيرة للطفل تأتي من خلف الرأس الصغيرة ، كما أن الأشكال تتساوى في الدرجات اللونية ، فلا فارق بين شدة اللون في الأشكال القريبة والبعيدة .. ويحقق الفنان الإتزان في التكوين بحسه التلقائي ، وبإتزان الكتل والأشكال والألوان .

✸

★★ الفنان دافيد الفارو سيكيروس ★★

• ولد في شيهواوا بالمكسيك عـام ١٨٩٨م .

• في سن السادسة عشرة من عمره كان يعمل قارع طبل في الثورة المكسيكية ، وقد تدرج إلى أن وصل إلى رتبة ضابط ، لذلك عاش الفنان رعب الحروب ومآسيها .

• سافر إلى خارج المكسيك ودرس الفن لمدة عام .

• عاد بعد دراسته إلى المكسيك ليقوم بدوره في بداية حركة التصوير الحائطي الكبيرة التي اشتهرت بها دولة المكسيك .

• استكمل دراسته الفنية في مـدرسة الفنون بمدينة المكسيك ثم قام بدوره في الثورة المكسيكية .

• في الفترة بين عامي ١٩١٩ ــ ١٩٢٢ م سافر للدراسة في كل من بلجيكا وفرنسا وإيطاليا وأسبانيا ثم عاد إلى المكسيك .

• كان مهتماً بمتاعب الناس ومآسيهم في كافة أنحاء العالم ، لذلك كان مفهومه للفن يتلخص في استخدامه أداة لنقل رسالة مثالية محددة بالاستناد على الأسس الجماليـة ، والتعبير عن روح العصر الذي يعيش فيه الفنان .

• من أهم لوحاته التي تعبر عن أسلوبه لوحة يوم الحرية (١٦ × ٣٨ قدم) التي صوَّرها عام ١٩٤٥ م ، وكذلك لوحة صدى الصرخة (٣٦ × ٤٨ بوصة) التي صورها عام ١٩٣٧ م والتي نحن بصدد الحديث عنها .

• توفي الفنان عام ١٩٧٤ م ويعد من أهم قادة الحركة التشكيلية في المكسيك .



فن الكتابة العربية

بقلم : خلف طايع

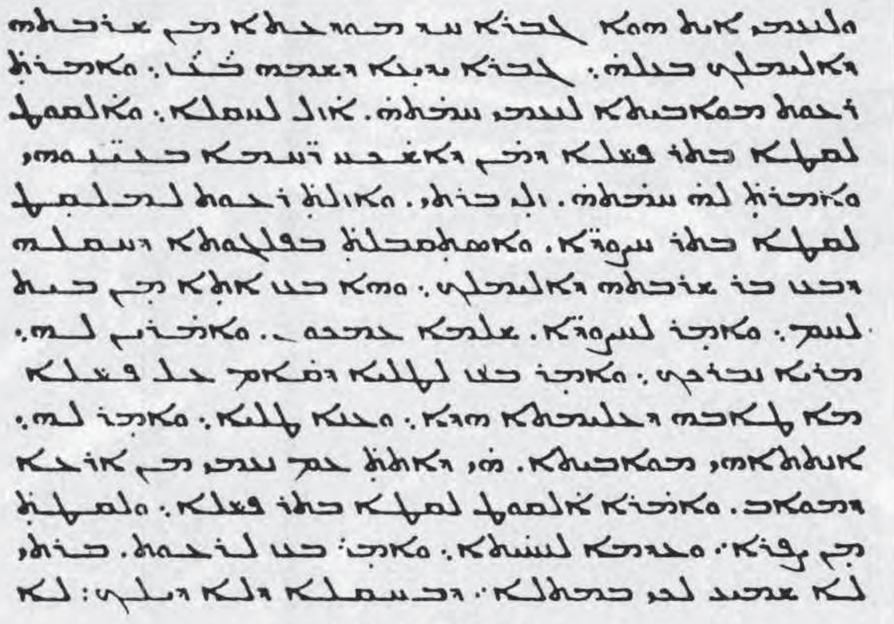
بدأت الكتابة العربية بشكلها البدائي (النبطي) وخصائص حروفها الهجائية ذات الصبغة السامية بحروف يمكن ربطها بعضها ببعض تستعمل في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام لتلبي مقتضيات التجارة التي كان يمارسها العرب مع جيرانهم .

وبظهور الإسلام نمت الحاجة إلى تعليم المسلمين الكتابة بلغة القرآن لنشر العقيدة الإسلامية وسرعان ماأصبحت الكتابة العربية إلى جانب دورها الديني ـ بفضل ـ الخطاطون العرب ـ موضوعاً للكثير من ضروب التحسين والتجميل ليصبح فن الكتابة العربية من أكثر الفنون الإسلامية أصالة وتميزاً .

الكتابة النبطية

أثبتت الدراسات أن العرب ورثوا طريقتهم في الكتابة عن **عرب الأنباط الذين كانوا يسكنون قبل الإسلام شمال الجزيرة العربية** على حدود المدينة في « **حوران** » و« **البتراء** » و« **معان** » جنوب الأردن ، والذين كانوا يجاورون عرب الحجاز في **تبوك ومدائن صالح والعلا** . واستمرت دولة الانباط من القرن الثاني قبل الميلاد حتى القرن الثاني بعد الميلاد ، **وكان الأنباط في أول الأمـر يستخدمون في الكتابة نوعاً من الخط الأرامي مأخوذ عن الخطوط الفينيقيـة مستخدمين أيضا اللغة الأرامية في الكتابة لأسباب تتعلق بالنشاط التجاري في تلك الحقبة .**

وبعد الغزو الروماني في أوائل القرن الثاني بدأ النبط في إحلال لغتهم العربية في النصوص الكتابية بدلا من اللغة الأرامية وبدأت الأبجدية النبطية في الكتابة تتحول لتلائم الأبجدية العربية . وهذا الإنتقال من الأرامية إلى النبطية نستطيع تبينه من النقوش النبطية القديمة التي كتبت في القرن الأول قبل الميلاد وخصوصا نقوش **حوران** لأنها قريبة من **فلسطين** حيث كان يستعمل الخط الأرامي . أما الكتابة النبطية فنستطيع تتبع تطورها من النقوش القديمة التي كتبت في القرنين الأول والثاني قبل الميلاد وخصوصا نقوش مدائن صالح لأنها كانت بعيدة



★ الكتابة الاسترانجيلية ★



★ مثال من النقوش النبطية في مدائن صالح من السنة الأولى قبل الميلاد ★

عن النفوذ الأرامي وقريبة من البلاد العربية موطن النبط وبيئتهم الأولى .

ثم نجد بعد ذلك الكتابة النبطية قد تطورت حروفها تطوراً سريعاً حتى غلبت عليها الصبغة العربية وبدأت في نظام وصل الحروف ويبدو ذلك واضحاً في النقوش التي كتبت في القرنين الثالث والرابع ، كالنقوش النبطية السينيانية ونقوش النمارة وأم الجمال .

وفي القرنين الخامس والسادس تندثر الكتابة النبطية وتتولد منها الكتابة العربية الجاهلية كما نشاهد في النصوص النبطية التي عثر عليها والتي ترجع إلى ماقبل الإسلام مثل **نقش زبد في ٥١٢م ، ونقش حوران في ٥٦٨م .**

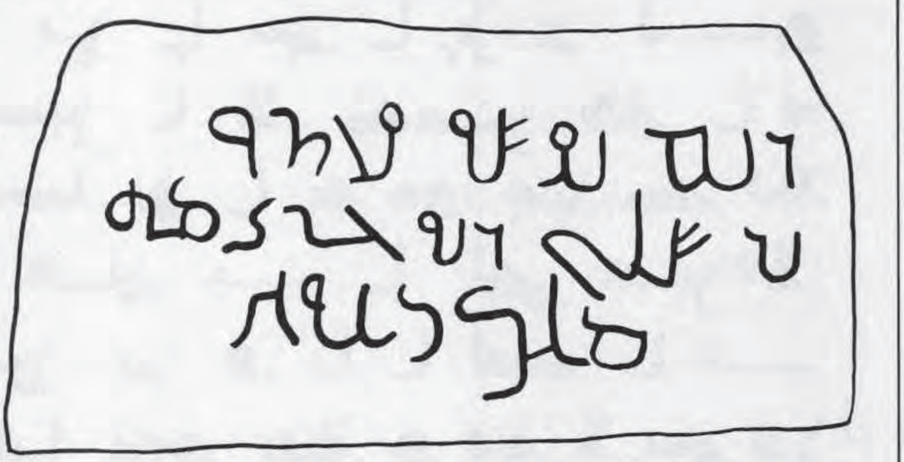
وقد استخدم الخط النبطي إثنى وعشرين حرفاً كلها ساكنة وخالية من التنقيط وكانت تكتب من اليمين إلى اليسار كمعظم الأقلام السامية وقد اشتملت الكلمات على الوصل والفصل .

أصل الخط العربي

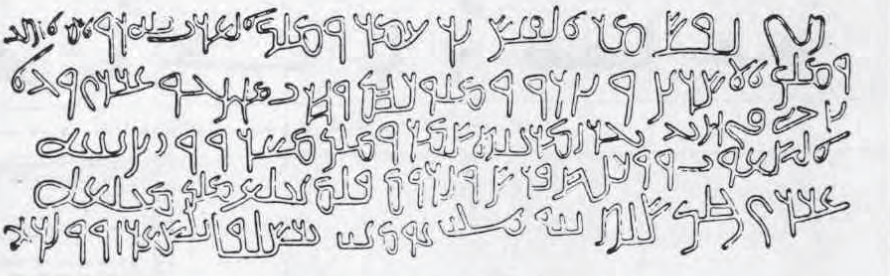
وبالدراسات السابقة عن الكتابة النبطية وانبعاث الكتابة العربية منها تنتفي كل النظريات التي كانت متداولة عن أصل الخط العربي من نظرية التوقيف أو كما يقول أصحابها « **انّ الخط توقيف من عند الله استفاد به البشر لتركيب حروفه عن طريق العقل البشري** » .

وكذلك انتفت أيضا النظرية الجنوبية (**الحميرية**) التي تذهب إلى اعتبار الخط العربي إشتقاقا من **الخط المسند الحميري خط التبابعة في اليمن** .

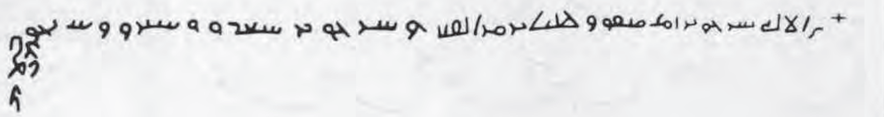
على أن هذه الكتابة التي اقتبسها العرب من أسلافهم النبطيين تشير اليها المراجع العربية بأسماء عدة يذكر منها **الحيري والأنباري والخط المدني والمكي** وكلها خطوط لينة أتقنها العرب قبل الإسلام ، وترجع تسمية الخطوط بأسماء المدن إلى أن العرب الذين كانوا يجهلون الكتابة قبل الإسلام وصلتهم هذه الخطوط مع السلع التي كانت تجلبها القوافل التجارية فأطلقوا عليها أسماء الجهات التي وردت إليهم منها ،



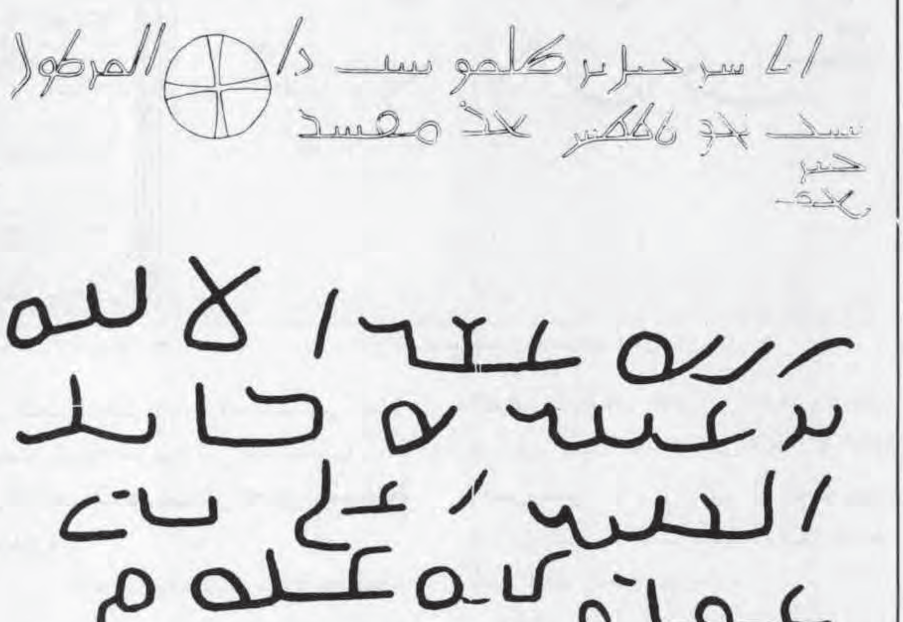
★ نقش نبطي عثر عليه في أم الجمال ويرجع إلى ٢٥٠ ميلادية ★



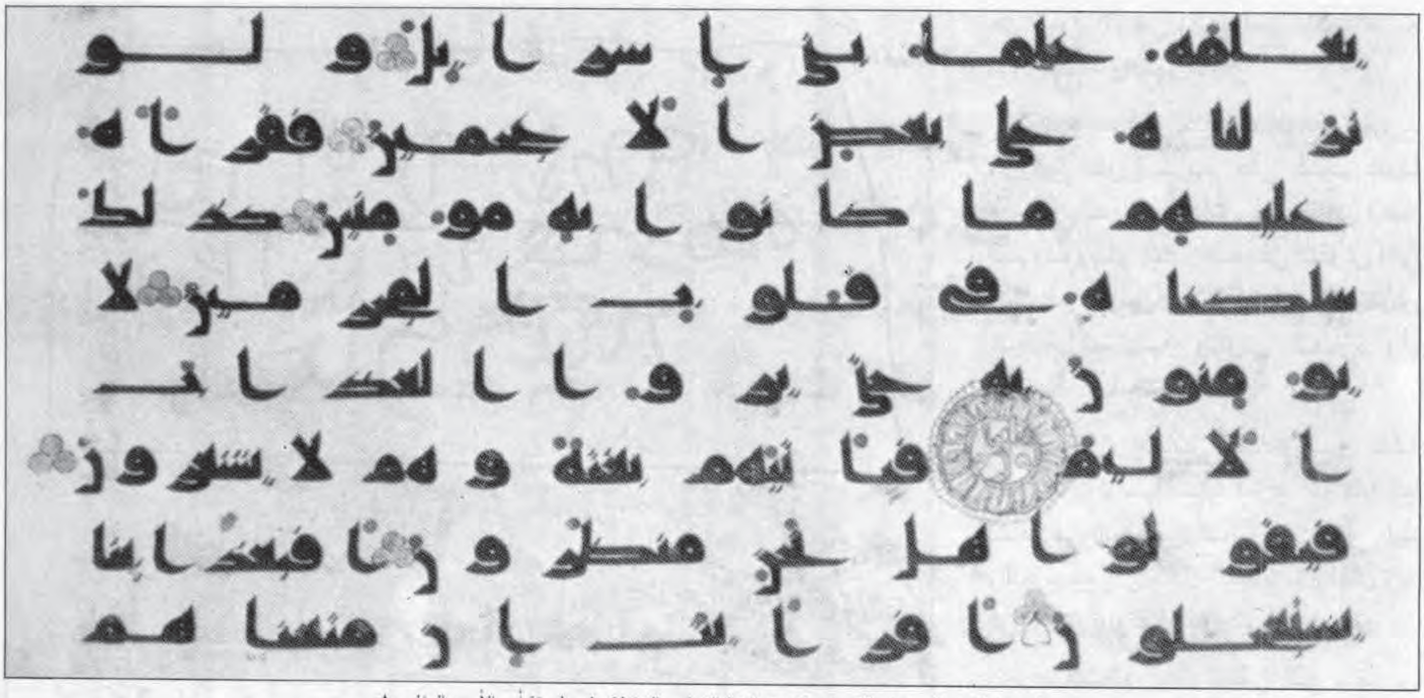
★ نقش النمارة النبطي ويرجع إلى ٣٢٨ ميلادية ★



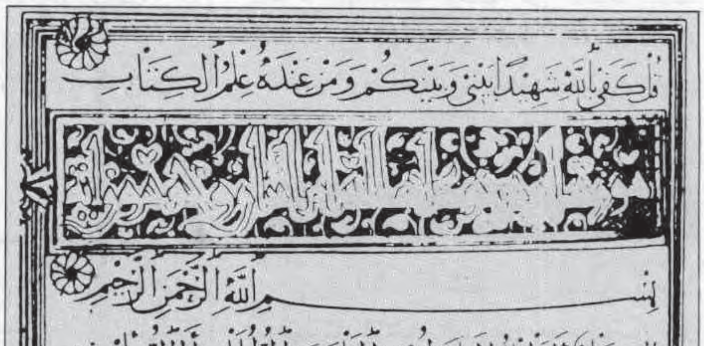
★ نقش زبد ★



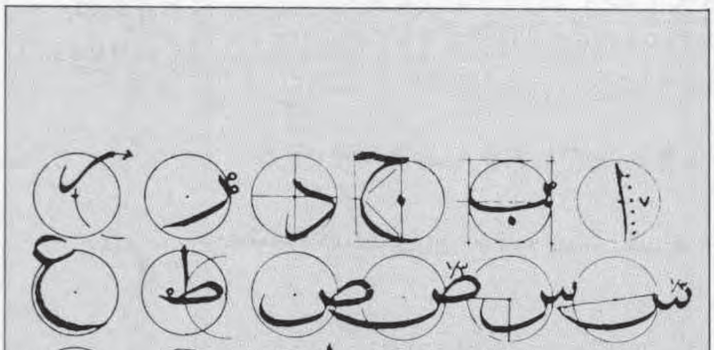
★ نقش نبطي باسم شرحبيل بن ظلمو ، عثر عليه في حوران مؤرخ ٥٦٨ ميلادية ★



★ صفحة من المصحف الشريف مكتوبة بالخط الكوفي والمنقطة على طريقة أبي الأسود الدؤلي ★



★ صفحة من القرآن الكريم بخط ياقوت المستعصمي ويبدو فيها شكل الإعراب والإعجام كاملاً ★



★ ارتفاع الألف بسبع نقاط من عرض القلم (طريقة ابن مقلة) ★

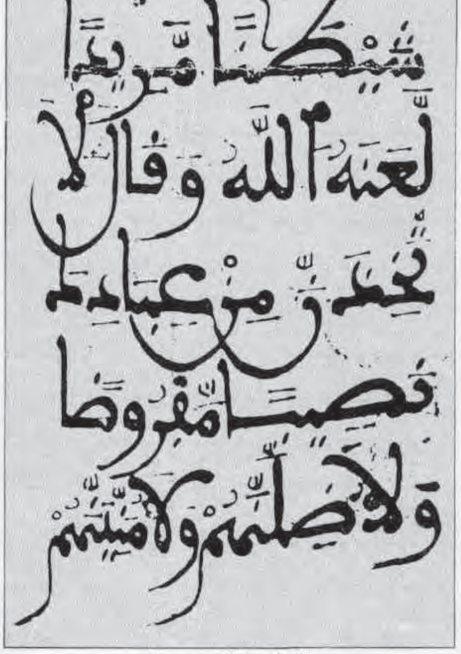
فكما عرف **الخط العربي** قبل النبوة **بالخط النبطي** لأنه أتى إلى بلاد العرب من ديار النبط مع التجارة التي كان القرشيون يمارسونها مع الأنباط . عرف أيضا **الخط الحيري والأنباري** لأنه أتى إلى شبه الجزيرة من الحيرة والانبار ، وبانتهاء الخط إلى المدينة ومكة عُرف باسميهما ولما انتقل مركز النشاط السياسي إلى **العراق** في خلافتي **عمر وعلي** انتقلت الخطوط المدنية إلى البصرة والكوفة وعرفت هناك في البداية بأسماء المدن العربية التي جاءت منها . **ثم عرفت بعد ذلك جميعها في العراق باسم الخط الحجازي** .

وفي الكوفة نال الخط العربي قسطاً كبيراً من التجويد فهندست أشكاله واستقامت حروفه وتميز عن الخطوط الحجازية بميل إلى التربيع والجفاف وانفرد باسم جديد هو **الخط الكوفي** .. وأغلب الظن أن الكوفة وقد بنيت في إقليم سادت فيه من قبل ثقافة **الآراميين والسريانيين** ، لابد أن تكون قد تأثرت بعض كتاباتها بالكتابات الاسترانجيلية والسريانية من حيث هيأتها العامة المربعة .

وانتشر هذا النوع في أرجاء العالم الإسلامي حيث كتبت به المصاحف وزينت به المباني وشواهد القبور في حين ظل الخط



★ الخط الفارسي (النستعليق) ★



★ الخط المغربي ★

الحجازي اللين في خدمة الدواوين لمرونته وسرعة الكتابة به واستخدمه العامة في أغراضهم اليومية المختلفة واستخدمه الخاصة في التدوين والتراسل والمخطوطات .

وظلت هذه الخطوط سائدة حتى **العصر العباسي** بعد أن **وضع ابن مقلة الخطاط الوزير قواعد خط النسخ** فاستحسنه العرب لجماله وسهولة كتابته وسميت الخطوط إما بأحجامها **كالثلث والنصف والثلثين** ، أو نسبت إلى الأغراض التي كانت تؤديها **كالنسخ والتوقيع والديواني** ، وبعض الخطوط سميت مرة أخرى بأسماء المدن التي جاءت منها **كالفارسي** الذي ابتدعه الايرانيون من خط النسخ في القرن الرابع عشر ، **والأندلسي أو المغربي** الذي جمع فيه أهل المغرب صورة لينة للخط الكوفي ، أو باسم مخترعها **كالخط الياقوتي** نسبة إلى **ياقوت المستعصمي** ، واخترع الاتراك خط الرقعة الذي مازال مستخدماً في الكتابات اليدوية والمعاملات اليومية في كل العالم العربي والإسلامي المعاصر .

النقط والحركات في الخط العربي

كانت الكتابة العربية الجاهلية خالية من الحركات والإعجام (**النقط**) كما كانت عليه الكتابة الأم (**النبطية التي اشتقت منها**) . ولم يكن العرب في حاجة إلى النقط والشكل لتمكنهم من لغتهم بل كانوا يعدون ذلك تجهيلاً لهم إذ قال بعضهم « **شكل الكتاب سوء ظن بالمكتوب إليه** » ، غير أنه لما جاء الإسلام ونزل القرآن بلغة العرب ودون بحروف كتابتهم ودخل كثير من الأعاجم إلى الدين الإسلامي بدت الحاجة ملحة إلى وضع ضوابط للقراءة مخافة التصحيف والتحريف . وفي بداية العصر الأموي كلف أمير العراق **أبا الأسود الدؤلي** حوالي عام ٦٧هـ بوضع **النحو** فقام بوضع نقط فوق الحروف بلون مختلف عن الحبر المستعمل في الكتابة فكانت النقطة فوق الحرف دليلاً على الفتح وإلى جانبه دليلاً على الضم وتحته دليلاً على الكسر .

« وكانت طريقة **أبي الأسود** في ذلك أن استحضر كاتباً وأمره أن يتناول المصحف ، وأن يأخذ صبغاً يخالف لون المداد الذي كتب به المصحف . فإذا فتح **أبو الأسود** شفتيه بالحرف نقَّط نقطة واحدة بالصبغ فوق الحرف . وإذا رآه قد خفضهما نقَّط نقطة واحدة تحت الحرف . فإذا ضمهما جعل النقطة بين يدي الحرف (على **خط استواء الكتابة**) فإن تبع الحرف غنة **(تنوين)** نقَّط نقطتين أمام يدي الحرف على خط استواء الكتابة . **ففعل الكاتب ذلك حتى أتى أبو الأسود على آخر المصحف .**

وظلت الكتابة خالية من النقط التي تميز الصور المتشابهة من الحروف كالباء والتاء والثاء أو الجيم والحاء والخاء . **وفي الثلث الأخير من القرن الأول الهجري في زمن خلافة عبد الملك بن مروان وضع يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم النقط للتفريق بين الحروف المتشابهة** وكانت الحركات والنقط كلها توضع بالنقط إلا أن نقط الشكل كانت بمداد يختلف عن لون مداد الكتابة أما نقط الحروف فكانت بنفس لون مداد الكتابة الأصلية لأن النقط من أصل الكلمة .

وفي منتصف القرن الثاني الهجري في العصر العباسي استبدل **الخليل بن أحمد الفراهيدي** نقط الشكل التي وصفها **أبو الأسود** بجرات علوية وسفلية مستطيلة مستلقية ترسم بسن القلم للدلالة على الفتح والكسر وتتكرر في حالة التنوين أما الضم فقد جعل علامته واواً صغيرة ترسم بأعلى الحرف فإذا لحق حركة الضم تنوين رسموا واواً صغيرة مردودة ، أما السكون فقد رسموا له دائرة إشارة إلى الجزم والتشديد يمثل برسم جزء من السين أما الهمزة فمثلت برأس عين أما علامة الصلة في ألفات الوصل فرسمت هكذا (صـ) كما في شكل المصحف .

علم الخط العربي

أولى الدين الإسلامي القراءة والكتابة أهمية فائقة وكأنهما من بعض مفهومات وعي الإنسان المسلم بأمور دينه ، وفي القرآن الكريم اكثر من آية قد جاءت على ذكر القلم تكريماً له وحتى القسم به . **وأن الرسول** ﷺ والخلفاء الراشدين وحتى من خلفهم لم يكفوا عن الحث على ذلك . فبالحرف العربي دون القرآن وانتشر الإسلام وانتقلت أحاديث الرسول إلى مشارق الأرض ومغاربها . فخرج الخط بذلك من كونه وسيلة تعبير وإتصال إلى غاية في التفاضل على غيره من الخطوط « **وصار للمجيدين في صنعة الكتابة فضل الدالين إلى الخير والإيمان** » .

وقد قامت الصفات الجمالية في الكتابة العربية التي تأكدت بنوع خاص في مستهل العصر الإسلامي على كل من التخطيط الأصلي للحروف وعلاقات التناسق مقترنه بمقتضيات التكوين .

وكان من شأن هذه السمات الجمالية في الكتابة العربية بالإضافة إلى دورها الديني في تدوين القرآن. أن أصبحت هذه الكتابة وفي وقت قصير موضوعا للكثير من ضروب التحسين والتجميل وترك المجال مفتوحا لكل المبدعين في كتابة الخط العربي بفروق التجويد التي لاتنال من خصائصه الجوهرية . وكان أولهم هو الوزير الخطاط **الحسين بن مقلة** (٢٧٢ - ٣٢٨هـ)

قواعد الخط عند ابن مقلة

جاء في « **صبح الأعشى لصناعة الإنشا** » **للقلقشندي** : « **ثم انتهت جودة الخط وتحريره على رأس الثلاثمائة إلى الوزير ابن مقلة وهو الذي هندس الحروف وأجاد تحريرها وعنه انتشر الخط في مشارق الأرض ومغاربها** » .

وقد نسب **ابن مقلة** الحروف جميعها إلى الألف التي اتخذها مقياساً أساسياً فنسبت الحروف الأخرى إليها ولذلك **سمى خطه بالمنسوب** بمعنى الخط الذي تنتسب حروفه إلى الألف بنسب هندسية ثابتة . بأن يكون حرف الأول قطراً للدائرة التي تبنى عليها جميع أقواس الحروف الابجدية المفردة قبل تركيبها .

يقول أصحاب **رسائل إخوان الصفا** :

« **ينبغي لمن يرغب أن يكون خطه جيداً ومايكتبه صحيح التناسب أن يجعل لذلك أصلاً يبني عليه حروفه ليكون ذلك قانوناً يرجع إليه حروفه لايتجاوزه ولا يقصر دونه** » .

وفي رسالته « **في علم الخط والقلم** » قال ابن مقلة :

« **الألف وهو شكل مركب في خط منتصب يجب أن يكون مستقيماً غير مائل إلى استلقاء ولا إنكباب وليست مناسبة لحرف في طول ولا قصر** » غير أن **ابن مقلة** جعل طول هذه الألف بنسبة تقدر بالفكر ولم يجعل لها أبعاد .

وعن نسبه الألف قال أصحاب **رسائل إخوان الصفا** :

« تخط ألف بأي قلم شئت - وتجعل غلظه الذي هو عرضه مناسبا لطوله وهو الثمن ليكون الطول مثل للعرض ثمان مرات ثم تجعل البركار (الفرجار) على وسط الألف ، وتدير دائرة تحيط بالألف ولا يخرج دورانها عن طرفيها . فإن هذا الطريق والمسلك يوصلان إلى معرفة مقادير الحروف على النسبة ولا تحتاج في مقاييس مانقصده إلى شيء يخرج عن الألف وعن الدائرة التي تحيط به » .

وقد قام **الشيخ عز الدين بن عبد السلام** بتعديل هذه النسبة بعد ذلك فجعل عرض الألف سدس طولها أي قدّرها بست نقاط من عرض القلم ثم عدلها **الشيخ زين الدين شعبان الآثاري** فقدر الألف بسبع نقاط وجاء ذلك في ألفيته :

« **وان مازاد عن ذلك فهو زائد في الطول وماكان ناقصاً عن ذلك فهو ناقص وعلى ذلك تختلف المقادير المقدرة بالألف عن الحروف بنقص قدر الثمن في الطول** » .

ويقول أصحاب **رسائل إخوان الصفا** بشأن ضبط الحروف بهذه المقادير على النحو الذي سبق أن قرره في شأنها **ابن مقلة** ثم **ابن عبد السلام** من بعده فيقول :

● **فالباء وأخوانها** : كل واحدة منها يجب أن يكون قائمها ومنبسطها مساويين معا لطول الألف .

● **والجيم وأخوانها** : مقدار مدتها في الابتداء لايقصر عن نصف طول الألف وكل منها مثل ١/٤ محيط الدائرة .

● **والدال والذال** : كل واحدة منها يجب أن يكون مقادرها إذا أزيل الانثناء واعيدت إلى التسطيح لا يتجاوز طول الألف .

● **والسين والشين** : تدويرهما إلى أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

● **الصاد والضاد** : مقدار عرض كل منهما في مداها مثل مقدار نصف الألف وتدويرهما إلى أسفل مثل نصف الدائرة المحيطة بالألف .

● **الطاء والظاء** : كل واحدة منهما يجب أن تكون جملة أجزائها مثل مقدار طول الألف وعرضها مثل نصف الألف .

● **العين والغين** : كل واحدة منهما مقدار تقويس رأسها في العرض نصف الألف وقوسها الكبير مثل نصف محيط الدائرة .

● **الفاء** : يجب أن يكون تدويرهـا ومنبسطها معا مثل طول الألف .

● **والقاف** : تقويسها من فوق ينبغي أن يكون مثل سدس طول الألف وتدويرها إلى أسفل مثل نصف الدائرة .

● **الكاف** : ينبغي أن يكون الجزء الأعلى منها طول الألف وفتحة البياض داخله مثل سدس طول الألف وتسطيحها من أسفل مثل أعلاها وكسرها إلى فوق مثل نصف طول الألف .

● **اللام** : يجب أن يكون مقدار طول قائمها مثل الألف ومدّتها إلى قدام مثل مقدار نصف الألف .

● **النون** : يجب أن يكون مقدارها مثل نصف محيط الألف .

● **الياء** : ينبغي أن يكون مبدؤها دالاً مقلوبة لاتتجاوز مقدار طول الألف وتعريقها إلى أسفل مثل نصف محيط الدائرة .

قواعد الخط العربي

واستقر على هذا النهج خطاط عربي عظيم أيضا هو **ابن البواب الذي وضع للخط النسخ** مجموعة قواعده مما أتاح للأجيال التالية أن تمارسه على هدى القواعد الثابتة والمقررة في فن الخط العربي كما نعرفه الآن ، وحتى بعد ظهور الطباعة ظل خط النسخ هو النموذج الأكثر استخداماً في الوسائل الاتصاليـة المطبوعة وفي مجالات التعليم وتسجيل التراث الثقافي والأدبي نظرا لدقته وسهولة قراءته .

وقد أدى اتساع الرقعة الجغرافية للعالم العربي والإسلامي إلى تعميم الكتابة العربية التي فرضت نفسها خلال سنوات قليلة على كل الشعوب التي اعتنقت الإسلام باعتبارها الطريق الوحيد إلى تدوين القرآن الكريم كما أنزل ومازالت الكتابة العربية مستخدمة إلى الآن في تدوين العديد من اللغات المختلفة غير العربية كالفارسية والأوردية والماليزية وبعض لغات افريقيا .

السعال الديكي

بقلم: د. حسن محمد شريف

السعال الديكي أو الشاهوق، مرض إنتاني شائع في سن الطفولة، وهو شديد السراية وأشد خطراً مما يعتقد بوجه عام، وخاصة بالنسبة لصغار الأطفال، وسببه جرثومة تدعى: محبة الدم الشاهوقية أو البورديتلة البيرتوسيس وقد وصفه لأول مرة بوردة وجنكو عام ١٩٠٦م، ويتصف الداء بدور نزلي يتظاهر بأعراض تنفسية عامة، ويترقى إلى مرحلة السعال التشنجي الذي يترافق بصوت شهيق وصفي وبالقيء أحياناً، قد تتلوه اختلاطات خطرة في الجهاز التنفسي والعصبي، وتتلو الإصابة بالسعال الديكي مناعة ثابتة.

الأسباب

من المقبول بوجه عام أن البورديتلة الشاهوقية (برتوسيس) هي الجرثوم الممرض في السعال الديكي، ونظرية اشتراك حمة لم يمكن البرهنة عليها، كما أنه أمكن إحداث الداء تجريبياً بهذا الجرثوم لوحده في الإنسان والقرد، ويمكن للزمر ١، ٢، ٣، ٥ من الحمات العقدية أن تسبب مرضاً لا يمكن تفريقه عن السعال الديكي. وأفضل طريقة لزرع هذا الجرثوم أخذه من البلعوم الأنفي، وهذه الطريقة أفضل من السعال أمام علبة بتري، ويكون الزرع إيجابياً في أكثر الحالات في الدور النزلي، أي في الأسبوع ١ ـ ٢ الأولين من المرض، وقبل بدء السعال التشنجي، وتقل إمكانية الزرع بعد ذلك ويندر أن يكون إيجابياً بعد الأسبوع الرابع من المرض، ويشكل الجرثوم أنواعاً متعددة من الأجسام الضدية سواء كان ذلك بالإصابة بالسعال الديكي أو التطعيم ضده، ويمكن بعيارها تشخيص المرض بشكل راجح ويستفاد منه كذلك لتقدير تأثير اللقاح، وهناك جرثومان يمكن لكل منها أن يسبب مرضاً يشبه السعال الديكي.

التشريح المرضي

تشاهد التغيرات الالتهابية في الغشاء المخاطي المبطن للجهاز التنفسي من البلعوم الأنفي حتى القصبات، فتصاب المخاطية بالالتهاب والاحتقان، ترتشح فيها اللمفاويات أو المعتدلات، ويتجمع المخاط الكثيف والكريات البيض في لمة القصبات، كما أن أهداب الظهارة الرغامية والقصبية تشكل شبكة صيد تحبس مجموعات الجراثيم، وخلف ذلك يظهر في الظهارة (**الأبيتليوم**) القصبية تنخر مع ارتشاح بالمعتدلات، ويعتقد أن هذه الآفة وصفية للسعال الديكي، كما أن وجود الانخماص والنفاخ هي من الأشياء الشائعة في السعال الديكي، وسببها انسداد اللمعة التام أو الناقص. إن سبب أكثر هذه التغيرات هو جرثوم السعال الديكي، أما ذات القصبات والرئة فتسببها الجراثيم المقيحة الأخرى، ويعتبر توسع القصبات من العقابيل الشائعة للآفات الآنفة الذكر.

الظواهر السريرية

★ **دور الحضانة**: يدوم نحو ٧ أيام وإذا مضى أسبوعان على التعرض للإصابة فمعنى ذلك أن الطفل لم يصب بالعدوى، **ويقسم المرض إلى ثلاث مراحل: الدور النزلي، التشنجي، النقاهة:**

● **الدور النزلي**: يدوم من أسبوع إلى أسبوعين، وتبدأ الأعراض بإنتان تنفسي علوي يتظاهر بالزكام، والعطاس، والدمع، والسعال، وحرارة خفيفة، وقد يصبح الطفل قليل النشاط أو متهيجاً، ولا يمكن الشك بالسعال الديكي في هذه المرحلة إذا لم تكن قصة العدوى واضحة، وبعد أسبوع يشتد السعال تدريجياً وخاصة في الليل، ويصبح نوبياً بشكل تدريجي.

● **الدور التشنجي**: يدوم ٤ ـ ٦ أسابيع، وقد يمتد إلى ١٠ أسابيع، ويأتي السعال نوبياً من ٥ ـ ١٠ مرات بزفير واحد يتلوه شهيق فجائي يترافق بصوت كصياح الديك، وخلال النوبة يصبح وجه الطفل أحمر مزرقاً وتنتفخ العينان، ويبرز اللسان ويصبح منظر الطفل قلقاً، وقد تتابع النوب حتى يتمكن الطفل في النوبة الأخيرة من إخراج الصمامة المخاطية، وتخرج مادة شديدة الكثافة، وكثيراً ما يتلو القيء هذه الهجمة، وبعد ذلك يصاب الطفل بالهمود فتشرد عيناه، ولا يمكن محادثته لمدة دقائق، وقد يتعرق تعرقاً غزيراً ويتورم وخاصة حول العينين. ويختلف عدد النوب من ٤ ـ ٥ في الحالات البسيطة إلى أكثر من ٤٠ في الحالات الشديدة، وتكثر النوب في الليل، كما أن الغرفة المغلقة تزيد النوب حدة بينما تخف في الغرف المهواة، وفي الهواء الطلق، وقد يحرض الطعام أو الشراب النوب على البدء بضغطه على الرغامي، أو الجهد الجسمي أو الإيحاء. وتقل النوب إذا انصرف الطفل بانتباهه إلى الألعاب والأحاجي والكتب، ويبدو الطفل طبيعياً خارج هذه النوب، وقد لا تسمع صيحة الديك الوصفية على الرغم من شدة النوب، وخاصة في الأطفال دون الشهر السادس من العمر، ويصاب بالنوب البسيطة المسنون، أو الذين لديهم مناعة جزئية بسبب اللقاح. وتزداد النوب خلال أسبوع أو أسبوعين، وتبقى على شدتها لمدة أسبوع إلى

السعال الديكي

ثلاثة أسابيع ثم تخف تدريجياً .

● **دور النقاهة :** وتتظاهر بتوقف صوت الديك ، والإقياء ، وقلة عدد النوب وشدتها ، ويستمر السعال العادي لمدة مختلفة ، ويغلب أن تختفي خلال أسبوعين أو ثلاثة ، ويمكن للنوب أن تعاود إثر إنتان تنفسي ، وقد تعاود بشكل متكرر لأشهر أو سنة أو سنتين .

التشخيص

إن سماع نوبة واحدة للسعال الديكي تكفي للتعرف عليه وتشخيصه بسهولة ، ومن المستحيل تشخيصه خلال الدور النزلي سريرياً ، إلا بوجود قصة عدوى ، ويشير إليه اشتداد السعال التدريجي ، ويؤكد ذلك بالزرع ، ويصبح الزرع أكثر صعوبة في الدور التشنجي . ويفضل أخذ الزرع من البلعوم الأنفي بإدخال قطعة صغيرة من القطن ملفوفة حول شريط نحاسي رفيع يدخل من المنخرين إلى البلعوم الأنفي الخلفي ويترك خلال النوبة ، وبعد ذلك المسحة (سواب) في أنبوب يحتوي ٠,٣ سم٣ من العرق العادي ، ثم تزرع في أول فرصة ممكنة على مستنبت بورده ــ جينكو ، ولا تنبت جراثيم السعال الديكي قبل مرور يومين ــ ثلاثة أيام ، وطريق الأضداد المتألقة أكثر سرعة . وقد يساعد تعداد الكريات البيض على التشخيص ، فيرتفع التعداد في نهاية الدور النزلي إلى ٢٠ ــ ٣٠ ألف مم٣ ، ويكون ٦٠ ٪ منها أو أكثر من اللمفاويات ، وفي بعض الحالات يصل التعداد إلى أكثر من ١٠٠ ألف ، وعند ذلك لا بد من نفي الابيضاض (اللوكيميا) ، وذلك بعدم وجود اللمفاويات غير الطبيعية ، وتعداد الصفيحات الطبيعي ، بالإضافة إلى بقية العلامات السريرية .

● **التشخيص التفريقي :** ليس السعال التشنجي الوصفي بعرض وصفي للسعال الديكي ، فصغار الأطفال المصابون بذات القصبات الشعرية ، أو ذات القصبات والرئة الخلالية ، قد يصابون بأعراض مشابهة ، كما أن سعال الأطفال المصابين بداء البكرياس الليفي الكيسي قد يكون نوبياً ، ويفرق بأعراضه الخاصة ، وبعيار الشوارد (الكهرليات) في العرق ، ويفرق عن انضغاط الرغامي أو القصبات بعقدة ضخمة سليمة ، ويفرق عن السل بتفاعل السلين ، وبالأشعة ، ولا بد من تفريق السعال الديكي عن الجسم الأجنبي في المسالك الهوائية ، وعن الإنتان بالجراثيم الشبيهة بجرثوم السعال الديكي .

● **الاختلاطات ــ في الجهاز التنفسي :** أهمها ذات الرئة وهي السبب في ٩٠ ٪ من الوفيات تحت الثالثة من العمر ، وذات القصبات والرئة الخلالية ، وتوسع القصبات ، والتهاب الأذن الوسطى ، وانخماص الرئة وانتفاخها الذي قد يترافق بالانصباب الغازي تحت الجلد .

في الجملة العصبية المركزية : قد يصاب المريض بالاختلاجات (التشنجات) ، وبالتكزز الذي يرافق الخرع (نقص الفيتامين د) ، أو القلاء التالي للقيء الشديد ، وتحدث الاختلاجات بآليات مختلفة أهمها نقص الأوكسيجين الدماغي أو النزف بأشكاله .

الاختلاطات الأخرى ــ النزوف : وتحدث بسبب ارتفاع الضغط الوريدي ، والاحتقان ، الذي يرافق النوب وأشدها أهمية نزف الدماغ ، وكذلك القرحة في لجام اللسان ، الذي ترضه القواطع السفلية عندما يمتد اللسان خارج الفم أثناء النوب . ومن الاختلاطات الأخرى : الفتق ، وهبوط الشرج ، واضطراب التغذية .

● **الإنذار :** لقد هبطت نسبة الوفيات إلى أقل من ١٠ في الألف حالة ، وتشكل الوفيات بالسعال الديكي خلال السنة الأولى من العمر نحو ٧٠ ٪ من مجموع هذه الوفيات ، وقد قلّت حوادث السعال الديكي ووفياته في الدول التي طبقت التطعيم تطبيقاً شاملاً ، فبعد أن كانت تحدث نحو ٢٠٠ ألف حادثة في **الولايات المتحدة** سنوياً في الثلاثينات انخفض العدد إلى ١٣ ألف سنوياً في الستينات ، ونحو ٥ آلاف حادثة في مطلع السبعينات .

● **العوامل الوبائية :** يصادف السعال الديكي في جميع أنحاء العالم ، وهو من المشاكل الصحية الرئيسية في البلدان المتخلفة ، وتصادف حوادثه في جميع الفصول ، ويتعرض له صغار الأطفال ، إذ إنه لا مناعة له تمر من الأم إلى وليدها عبر المشيمة . وعلى الرغم من أن ١٠ ٪ من الإصابات تحدث خلال السنة الأولى من العمر ، فإن ٧٠ ٪ من الوفيات تحدث في نفس المدة ، وعلى الرغم من أن جميع الأمراض الإنتانية تصيب الذكور أكثر من الإناث ، فإن السعال الديكي يصيب الإناث أكثر من الذكور لسبب مجهول .

وينتقل المرض بالتماس المباشر ، مما يبرر عدوى أفراد الأسرة الواحدة ، وبشكل يفوق عدوى الأطفال الآخرين ، وتحدث العدوى بين اليوم السابع من التعرض للعدوى ، حتى نهاية الأسابيع الثلاثة الأولى التي تتلو بدء النوب التشنجية ، وتكون العدوى على أشدها خلال الدور النزلي .

● **المناعة :** إن المناعة التي تلي الإصابة دائمة وقوية .

المعالجة

المعالجة النوعية : قد يفيد استعمال الغاما غلوبولين الشديد التمنيع في المعالجة ، وينصح باستعمالها لجميع المرضى دون الثانية من العمر ، فتعطى بمقدار ١,٢٥ سم٣ بطريق العضل مرة كل يومين على ٣ ــ ٤ دفعات ، ولا ينصح باستعمال اللقاحات للمعالجة ، أما بالنسبة للمضادات الحيوية فليس هنالك من مضاد ذي تأثير ممتاز ، ويفضل **الأريثروميسين** ، أو **الأمبيسيللين** على غيره ، كما يمكن استعمال **التتراسيكلين ، أو الكلورامفينيكول** ، وينتقى منها ما هو أقل

ضرراً للمريض ولا بد من الاستمرار على المعالجة لمدة ١٠ أيام على الأقل .

العناية العامة : يعالج المريض في المنزل ، ويستثنى من ذلك صغار الأطفال الذين يوضعون تحت رقابة تمريضية مشددة في المستشفى ، وتهوّى الغرفة ويفضل تجنب الأسباب المثيرة للنوب ، ويجب مص المفرزات إذا سببت عسرة في التنفس ، وقد يعني هذا النوع من العناية ، بالذات الفرق بين الحياة والموت ، وتستعمل مضادات الاختلاج عند الحاجة إليها ، وقد يفيد البزل القطني (لامبر بانتشر) في تخفيف التوتر المزداد داخل القحف فيوقف أحياناً الاختلاجات .

الوقاية

لم تفد الغاما غلوبولين الشديدة التمنيع في وقاية الأطفال المعرضين ، ويمكن إعطاؤهم الأريثروميسين أو الأمبيسيللين لمدة ١٠ أيام بالإضافة إلى عزل المصاب ، أما إذا كان عزله غير ممكن فيعطى المعرضون الأريثروميسين أو الأمبيسيللين طيلة مدة التعرض للعدوى . ويمكن تحقيق المناعة الفاعلة باللقاح ضد السعال الديكي ، الذي يشترك عادة مع اللقاح ضد الخانوق (الدفتيريا) ، والكزاز (التيتانوس) على شكل اللقاح الثلاثي ، ويعطى بزرقات ثلاث ، يبدأ أولها في نهاية الشهر الثاني من العمر ، ويفصل الزرقة عن الأخرى شهران ، وتدعم هذه اللقاحات على النحو المذكور في الدفتيريا ، أي بعد سنة وسنتين وخمس سنوات ، وكذلك كلما تعرض الطفل تعرضاً مباشراً للسعال الديكي ، ويعطي اللقاح مناعة لـ ٧٥ ــ ٨٠٪ من الملقحين فيقيهم من الإصابة ، أما الذين يصابون فتكون إصابتهم خفيفة ، أما مضادات استطباب اللقاح (أي موانع إجرائه) فهي حدوث الاختلاجات (التشنجات) إثر إعطائه .

المصادر

(١) محاضرات في الأمراض الانتانية .
(٢) كتاب الأمراض الانتانية عند الأطفال للدكتور رشاد العنبري .

عُيُونُ النَّرجِسِ

شعر: عبد الرحمن العبد الكريم

حَدِّثِيني يَاعُيُونَ النَّرْجِسِ ... عَنْ عَبِيرٍ في رَقِيقٍ أَمْلَسِ
عَنْ بَرِيقٍ فِي عُيُونٍ يَخْتَفِي ... خَجَلاً خَلْفَ الْحِجَابِ السُّنْدُسِي
عَنْ زُهُورِ الوَرْدِ فِي أَشْوَاكِهِ ... نَشْرُهُ مِنْهُ الْمَغَانِي تَكْتَسِي
عَنْ خُزَامَى سَافَهَا قَطْرُ النَّدَى ... تَتَلالَى فِي الصَّبَاحِ الْمُشْمِسِ
عَنْ لِقَاءٍ فِي سُوَيْعَاتِ الصَّفَا ... نَفْحُهُ يَجْلُو هُمُومَ الأَنْفُسِ
عَنْ مُنَاغَاةِ الصَّبَايَا رُتَّعاً ... بَيْنَ آرَامِ الظِّبَاءِ الْكُنَّسِ
عَنْ مُجَارَاةِ الْمَهَارَى شُزَّباً(١) ... عَادِيَاتٍ فِي مَجَالِ حَمِسٍ(٢)
غَادَةَ الْحُسْنِ تَغَنَّنِي وَاحْذَرِي ... عَنْ تَدَانِي خَادِعٍ أَوْ مُفْلِسِ
عَنْ تَصَافِي مَاكِرٍ لاَ يَرْعَوِي ... أَوْ يَرَى مَمْكُورَهُ فِي مَحْبَسِ
وَأَسِرِّي لاَ تَبُوحِي بِالَّذِي ... بَيْنَ جَنْبَيْكِ خَبِيئاً مَا نُسِي
وَاعْلَمِي أَنِّي حَصِيفٌ أَقْتَفِي ... بِالتُّقَى نَهْجَ الْهُدَاةِ الْخُنُسِ(٣)

(١) ضُمَّراً . (٢) حامي الوغى . (٣) الوعون المتقون .





قضايا تربوية من التراث :

المثوبات والعقوبات

بقلم : نذير حمدان

يزخر تراثنا التربوي بقضايا تربوية حياتية وحيوية ، منها ما يتصل بالفكر والعلم ، ومنها ما يتصل بالمادة والمعاش ، ومنها ما يتصل بالآداب والمزاج .. وتتداخل هذه القضايا بعضها ببعض ، وتتفاعل عناصرها وقواها تفاعل النفس الإنسانية في كينونتها المادية والروحية .

ولعل من أبرز القضايا التربوية الجانبية ، قديماً وحديثاً ، إلحاحاً ــ وإن كانت أحياناً هامشية الأثر ــ قضية الجزاء ، أو ما يسمى : بالمثوبات والعقوبات . لا لأن أعرافاً معينة تتخذها أصلًا في العملية التربوية وحسب ولكنه مظهر لموقف معين في فهم النفس الإنسانية ، وأخذها نسبة التدرج والمعالجة إلى مجالات الاستخلاف التي أرادها الله لها .

ومن المتفق عليه لدى المربين أن الأصل في العملية التربوية ليس المثوبة والعقاب ، بل العناية بالتلميذ ، وتفهم مشاكله ، ومراعاة النقص في الحياة المدرسية التي تؤثر على التلميذ وتقود إلى انحرافه .... ومحاولة استكمال نواحي النقص هذه بتحسين مستوى التدريس ، والعناية بإعداد البرامج ، وتنسيق نواحي النشاط[1] .

والعقاب ــ خاصة ــ وسيلة يُلجأ إليها عندما تلح المشكلة ويصعب حلها .... وفرض العقاب في البدء أولا لحل مشكلة الفرد التلميذ عندما كان العقاب إحدى الوسائل التربوية المعينة على التحصيل ، والمقومة للسلوك ، وهكذا فهو إحدى وسائل المدرسة لزيادة كفاءتها من حيث تأدية وظيفتها ، ثانياً لحل مشكلة المدرسة عندما يكون البعض مؤثراً في **الجو المدرسي** إلى درجة تعوقها أو تعرقل قيامها بوظيفتها تجاه بقية التلاميذ[2] . والنظام التأديبي بمفهومه الشامل ، لا يقتصر على توقيع العقوبة المادية ، وتدريب الطالب على المثوبة الحسية بقدر ما يعني اعتباره جزءاً من عملية تربوية ، هدفها الأساسي نمو الفرد نمواً سلياً ، وذلك على الرغم من تعارف كثير من المؤسسات التعليمية والتربوية على أنه المبدأ الذي يؤخذ به في نجاح هذه المؤسسات تربوياً .

وأخشى ما يخشاه المربون أن تتحول **المدرسة** ـ وهي المؤسسة التربوية المتخصصة والقادرة على غرس مفاهيم التربية وتكوين الناشئ السليم ـ إلى سلطة ضابطة قاهرة تمارس الزجر والعقوبة ، أو مرفق تجاري يعوَّد فيه الطالب التعامل فيه على أساس الربح والخسارة الماديتين .

لهذا فإن إلحاح المربين على أهمية المدرسة كمؤسسة تربوية تشغل الحيز الأول والأهم من دراساتهم واهتماماتهم النفسية ، ويضعون من أجلها خبراتهم التربوية لتحقق أهدافها على خير وجه وأفضله .

وإن الأعباء والمهمات التي تنشط في المدرسة وتنظم شكلاً ومضموناً ، لا يستطيع القيام بها المنزل ولا المجتمع ، فهي التي تستحوذ على الخصائص التربوية المنسقة والهامة التي تعد الطفل حتى يصل إلى مرحلة الرجولة ، وهي تنقل تراث الأجيال الماضية لصغار الأجيال الحاضرة ، وتحافظ عليه وتنتفع بالمنجزات الحديثة ، وتستخدمها وسائل تسهل واقع الإنسان وعالمه المتشابك ، وتبسط حضارته ، وتفككها إلى أجزائها وتتناول المناسب منها بالتدريج ليستطيع الطالب أن يتكيف مع واقعه في المستقبل ، بل ويحاول تطويره إلى مجالات المثل التي كان يطمح إليها .

ومن المؤكد أن هذه الوظيفة الهامة للمدرسة لا تقتصر على حشو الأذهان بالمعارف والمعلومات النظرية بقدر ما تجعله قادراً على اتخاذ مواقف تربوية خاصة تمكنه مع المدرسة أن يطهر عيوب المجتمع الأخلاقية ، وتزيل كثيراً من مظاهره الشائنة ، وتحرره من خرافات تثقل تفكيره ، وأباطيل وتقاليد تعوق تطوره وتقدمه(٣) .

ومن غير شك أن مسؤوليات المؤسسة التربوية تلك إلى جانب أنها تعمل على إقرار التوازن بين عناصر البيئة الاجتماعية ، وتقارب بيئات الطلاب المختلفة ، وتوجد صفات جديدة مشتركة يمكن بواسطتها أن تخفف من التمسك بمبدأ العقوبات والمثوبات على أنها القضية التربوية الهامة ، وتدفع بالمربين والطلاب إلى تفاهم أقرب ، وتعاون أجدى ، مما يغنيها عن استعمال العقاب خاصة في حالات كثيرة من الشذوذ والمخالفات .

وهنا يطرح تراثنا التربوي أسئلة : **هل عني التراث بمخففات الجزاء ؟ وما تصوراته وتطبيقاته لها ؟ وكيف نجح نظامه التأديبي في تكوين أعلام تربويين ؟ وما قيمة الظواهر التأديبية في مجال التربية الإنسانية ؟** وأسئلة أخرى يجد الباحث إجابات عملية لها من خلال ممارسات تربوية متميزة . ولكن لنقتصر على :

مخففات الجزاء

إن الصور المشوهة **للكتاتيب ، وحلقات التعليم** التي ضمرت فيها الأهداف التربوية الأصيلة ، واتخذت أشكال القسوة والعقوبات البدنية ، لم تكن إلى وقت قريب إلا وجهاً للتخلف التربوي الذي ابتعد فيه القائمون والمشرفون على التعليم عن استلهام القيم التربوية التراثية ، وممارسة طرق تدريسية سقيمة لم تخطر لأعلامنا على بال ، لا في حلقاتهم التعليمية ، ولا في إنتاجهم التربوي العظيم . وتلك الصور المشوهة حرمت المتخرجين من ثمرات القواعد التربوية البنائية وشوهت نظرة المستشرقين والمستغربين إلى الأساليب التربوية التراثية ، ودفعتهم إلى الإعراض عنه جملة وتفصيلاً ليعتمدوا نظريات غزت مؤسساتنا ومناهجنا التربوية من غير تمحيص ولا اصطفاء .

وحسب الباحث بادئ ذي بدء أن يعلم أن قضية الجزاء لم تحظ باهتمامات التراث ، ولم يفصِّل الحديث عنها ولا عن أنواعها ولا عن وسائلها ، إلا ما كان منها أموراً عارضة عرقلت العمل التربوي من الناحيتين العلمية والخلقية . كما يتضح للباحث أن مخففات الجزاء التي نوه عنها المربون المحدثون كان كثير منها يمارس بشكل عملي على أفضل شكل وأنظف أسلوب ، إلى جانب مخففات أخرى مباشرة وغير مباشرة ، لم ينتبه إليها وإلى أهميتها التربية الحديثة . وهي في مضامينها مفاهيم كلية أو جزئية روحية وأدبية ، وفي صنيعها تعامل نوعي هادف .

ولعل من أبرز هذه المخففات :

(أ) الوالدية : وهي أجمل الصلات التي تنطلق من رحاب المحبة والاحترام وإرادة الخير في الدنيا والآخرة ، وهي نفسها تدفع المعلم أن ينادي تلميذه بـ : أيها الولد ، ويا بني ، ويا ولدي ، وأنت ابني روحاً . . . حتى إن **الغزالي** ، وهو ذو القدم الراسخة في التربية ألف رسالة سماها : أيها الولد ، فما ألفه في مجال التربية والتعليم . فاسمع إليه يخاطب تلميذه بقوله : أيها الولد ، كم من ليالٍ أحييتها بتكرار العلم ومطالعة الكتب ، وحرمت نفسك النوم ، لا أعلم ما كان الباعث فيه ، إن كان نيل عرض الدنيا ، وجذب حطامها ، وتحصيل مناصبها ، والمباهاة على الأقران والأمثال ، فويل لك ثم ويل لك . وإن كان قصدك فيه إحياء شريعة **النبي صلى الله عليه وسلم** وتهذيب أخلاقك ، وكسر النفس الأمَّارة ، فطوبى لك ثم طوبى لك ، ولقد صدق الشاعر :

سهر العيون لغير وجهك ضائع
وبكاؤهن لغير فقدك باطل(٤)

إذا سمعت هذا وأمثاله ، ألا تدرك أن التسامي بالعلاقات المادية وتحرير العلم من الأهداف النفعية المحضة وتهذيب الخلق خير نصيحة يقدمها أب مخلص لابن بار ؟ . ويوضح **النووي** هذه العلاقة الوالدية بالأدب الواجب على المربي الوالد ، فيقول : وينبغي أن يحنو

عليه (الطالب) ، ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسه وولده ، ويجريه مجرى ولده في الشفقة عليه ، والاهتمام بمصالحه ، والصبر على جفائه ، وسوء أدبه ، ويعذره في سوء أدبه ، وجفوة تعرض منه[٥] .

(ب) الفطرة الإنسانية : ومما فسِّرت به الفطرة لدى المربين : أصالة الإنسان الخيِّرة ، وطبيعته النزاعة إلى التعامل مع الآخرين بالحسنى ، وأن الشر طارئ عليه ، خارج عن جوهر تكوينه ، بسبب صداقة أو جهالة للفضيلة . ولهذا كان المربون سدنة هذه الفطرة وحماتها والسعاة إلى إنماء الخيرية فيها ، وإبعاد استطالات الشرور عنها بكل جهد مستطاع ، وكانت المشاكسات الطلابية والعناد والشذوذ المدرسي عوارض يبحث عن أسبابها ومعالجاتها .

وجدوى التربية الوجدانية والفكرية التي تقوم على الاستقرار النفسي والاتزان العاطفي تؤكد فطرة الطالب الإنسان السليمة ، وتمنح المربي فهماً إيجابياً لإمكانية صياغة الناشئ البشري ليكون في أحسن تقويم ولا يرد إلى أسفل السافلين .

والحديث النبوي الصحيح : **كل مولود يولد على الفطرة . . .**[٦] لا يقرر أهمية المشرفين على التربية وحسب وإنما يوضح إمكانية معالجة الظواهر الشاذة التي تبدو من بعض الطلاب بشكل عفوي أو قسري . يقول النووي : ويعذره في سوء أدب وجفوة تعرض منه في بعض الأحيان ، فإن الإنسان معرض للنقائص . . .[٧] ، وقد عقد الغزالي فصلاً في : المعالجة للأمراض النفسية في كل من إحياء العلوم ، والوالدية . فإذا ترسخ هذا المفهوم في تفكير المربي والطالب على السواء حسب استعداد كل منهما إلى نوعية هذا الفهم ، ألا يحقق ذلك كسباً تربوياً عظيماً ؟ وهل يكون للمربي خيار آخر في معالجة الشذوذ على الوجه الإيجابي ؟

(جـ) الأخلاقية والآدابية : فقوام التربية الإسلامية في واجباتها على الفضائل النفسية والعملية لدى المعلم والطالب .

١ ــ لأن العلاقة بينهما متحررة من المادية والنفعية ، فالتعامل بينهما يقوم على المنطلقات النفسية والفضائل السلوكية . والتواضع ، والصبر ، والرفق ، والأمانة بالنقل والتلقِّي ، والتلطف بالخطاب والأدب في المجلس ، والتقدير المتبادل . . . . صفات مشتركة لدى المربي وطلَّابه .

٢ ــ ولأن للعلم فضائل ذاتية ، وقيماً جوهرية ، بالإضافة إلى فضائله المتأثرة به ، أفاض العلماء بالحديث عنها ، وأطالوا في تفصيلاتها تحت عناوين متعددة ، منها : فضل العلماء ومجالستهم ، وفضائل العلم ، وهم يعدون (العلم) مرحلة دراسية متكاملة مع الأدب النفسي والخلقي ، وأحياناً متقدماً عليه . يقول **ابن عبد البر** بسنده عن **عبد الله بن المبارك :**

أيها الطالب علماً	ايت حماد بن زيد
فاقتبس علماً وحلماً	ثم قيده بقيد

وقال **محمد بن الحسن الشيباني** عن **إبراهيم النخعي** : كنا نأتي (مسروقاً) فنتعلم من هديه ودله[٨] .

٣ ــ ثم إن عناصر البحث في تراثنا تقوم تصنيفاً وتبويباً على **(الآداب)** . فمنها : آداب المعلم ، ومنها آداب المتعلم ، ومنها آداب يشترك فيها المعلم والطالب ، ومنها آداب في المجلس والدرس والقراءة . . . وفي كل من هذه الآداب (الأصول) فروع لها صلة وثيقة بالجوانب الأدبية والأخلاقية . ومن أدب الدرس المخفف للجزاء قول العلموي : ومن تتمات ما نحن فيه ألا يسارر في مجلس شيخه ، ولو في مسألة ، ولا يغمز أحداً ، ولا يكثر كلامه بغير ضرورة ، ولا يحكي ما يضحك منه ، أو ما يتضمن سوء أدب ، ولا يتكلم ما لم يسأله شيخه عنه ، ولا يسأل شيخه ما لم يستأذنه أولا ، ولا يضحك من غير عجب دون الشيخ[٩] .

(د) تقدير شخصية الطالب واحترامها : فمن البديهي أن يقدر الطالب معلمه ، لأنه يسهم في تكوين شخصيته ، وفي هذا تكريم للعطاء الإنساني المتميز الذي يبني به ذات الطالب (الإنسان) ، وهو تكريم شاع أمره في الأعراف الإنسانية قديمها وحديثها ، ولكن من الأهمية بمكان عظيم أن ينحو التراث التربوي منحىً متميزاً سباقاً ، في (تقدير شخصية الطالب واحترام إمكاناتها) ، ثم التعبير عن هذا الاحترام بالآداب الواجبة[١٠] . . **ويتناول تقدير المعلم لطالبه جانبين :**

١ ــ سلبي ، وذلك **بنهيه عن الكبر ،** والتعالي ، والغرور بعلمه وعمله في جميع الأحوال ، وبخاصة في حالة : الاستفادة ممن دونه حتى ولو كان تلميذه . يقول العلموي : لا يستنكف من التعلم ممن هو دونه في منصب أو سن أو نسب أو شهرة[١١] .

٢ ــ إيجابي ، وذلك **بالترحيب به** والتبسم في وجهه حين لقائه ، ومعاملته بالبشاشة ، وطلاقة الوجه ، وتوقيره ، وحسن الاستماع إلى رأيه وعلمه ، وندائه بأحب الأسماء إليه . يقول العلموي : وينبغي أن يخاطب كلًّا منهم لا سيما الفاضل للتمييز ، بكنيته ونحوها من أحب الأسماء إليه ، لما فيه من تعظيم وتوقير[١٢] .

(هـ) ربط العلم بالإيمان والعمل : فاليقظة النفسية التي يمارسها المربي بين فترة وأخرى كفيلة أن تنبه في الطالب مشاعر الإيمان وعواطف الإخلاص ، وتدفعه إلى الاستقامة في القول والعمل ، وتجعل تعلمه جهاداً وعبادة . والتراث التربوي لم يقنن قواعد التربية والتعليم على أنماط فكرية مجردة وجافة وإنما كان مزجه مع الإيمان ، والترغيب والترهيب دعامة من دعامات نجاحاته ، وتحسين الصلة بين المربي وطلابه . ونظرة المربي الشاملة إلى نفسية الطالب على

شكل متوازن يحقق مزيداً من نجاح العملية التربوية على وجهها السليم البنَّاء .

وقد صنف علماؤنا مؤلفات عديدة في ذلك ، منها : اقتضاء العلم العمل — والأدب المفرد — وأدب الدنيا والدين — وإحياء علوم الدين — وجامع بيان العلم وفضله — . كما دونوا ضمن مؤلفاتهم وفي مقدماتها فصولا عن تصحيح النية ، وترك الرياء ، والاعتبار بالإخلاص ، وذكر الآداب والرقائق . . حتى إنه لا يكاد مؤلف في العلم والأخلاق والتربية والآداب يخلو من التأكيد على ربط العلم بالإيمان قولا وعملاً . يقول الغزالي مخاطباً تلميذه : أيها الولد ، لو قرأ رجل مائة ألف مسألة علمية وتعلمها ولم يعمل بها لا تفيده إلا بالعمل . . ولو قرأت العلم مائة سنة ، وجمعت ألف كتاب لا تكون مستعداً لرحمة الله تعالى إلا بالعمل « وأن ليس للإنسان إلا ما سعى »[١٣] . ويروي ابن عبد البر بسنده عن **عبد الرحمن بن غنم** ، قال : حدثني عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : كنا نتدارس العلم في مسجد قباء ، إذ خرج علينا رسول الله فقال : تعلموا ما شئتم فلن يأجركم الله حتى تعملوا[١٤] .

هذه الأمور وغيرها ، كشخصية المعلم ، وتنسيق الدروس ، وعدم الإطالة فيها ، والمساواة بين الطلاب ، ومحبة المعلم لطلابه ، ورغبة الطالب بالعلم ، واختياره المادة العلمية ، لا تخفف من الجزاء فحسب ولكنها تعدّ معالجات تربوية لها آثارها في الصحة النفسية المباشرة وغير المباشرة .

ظواهر تربوية في النظام التأديبي التراثي

وإذا تأكد لدينا أن العقاب وبخاصة البدني منه ، ليس أصلاً في تراثنا التربوي ، وربما حدث لظروف عفوية أو قسرية أو عارضة فإن من مخففات جزائها التي مر الحديث عن بعضها ما لم تعهد مثلها التربية الحديثة ، وكانت موضع اهتمامات التراث متناسقة مع ظواهر تأديبية تربوية نصنفها إلى :

(١) المثوبات : فقد عرض التراث لأشكال منها ، ولم يلزم المربي بواحدة منها ، ونوجز بعضها فيما يلي :

(أ) التصويب والتحسين والتهنئة ؛ يقول **الخطيب البغدادي :** وإذا أصاب المسؤول بالصواب فعلى الفقيه أن يعرّفه إصابته ويهنيه بذلك ليزداد في العلم رغبة . ويروي بسنده عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كيف صنعت في استلامك الحجر ؟ قلت : استلمت وتركت . قال : **أصبت** . ويروي البغدادي أيضاً بسنده عن علقمة ، قال : كنا بحمص ، فقرأ عبد الله سورة (يوسف) ، فقال رجل : ما هكذا أنزلت ، فقال له عبد الله : لقد قرأتها على رسول الله ، فقال : **أحسنت**[١٥] .

(ب) مدح المجد والثناء عليه وإشاعة ذلك بين الطلاب ؛ يقول النووي : وينبغي أن يحرضهم على الاشتغال في كل وقت . . . . فمن وجده حافظاً مراعياً له أكرمه وأثنى عليه ، وأشاع ذلك ما لم يخف فساد حاله بإعجاب ونحوه . . . . إلى أن يقول : وينصفهم في الحث فيعترف بفائدة يقولها بعضهم وإن كان صغيراً[١٦] .

(ج) إشعار الأحداث والأطفال برجولتهم في المستقبل وسيادتهم بالعلم وحده ؛ فقد قال **هشام بن عروة :** كان أبي يقول : إنا كنا أصاغر قوم ، ثم نحن اليوم كباراً ، وإنكم اليوم أصاغر ، وستكونون كباراً ، فتعلموا العلم تسودوا به قومكم ويحتاجوا إليكم . . . .[١٧] .

(د) تخصيص جلسات درسية خاصة للمتفوقين والنابهين ؛ يقول البغدادي : وإذا كان في جملة المتفقهة حدث أو صبي له حرص على التعلم ، أو آنس الفقيه منه ذكاءً أو فطنة فليقبل عليه ، ويصرف اهتمامه إليه . . . .[١٨] .

(هـ) ذكر فضائلهم إلى خارج المدرسة ؛ يقول البغدادي : يستحب للفقيه أن ينبه على مراتب أصحابه في العلم ، ويذكر فضلهم ، ويبين مقاديرهم ليفزع الناس في النوازل بعده إليهم ويأخذوا عنهم . وروى بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أرحم أمتي أبو بكر ، وأشدها في دين الله عمر ، وأصدقها حياءً عثمان ، وأفرضهم زيد ، وأقرأهم أبيّ ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ ، وإن لكل أمة أميناً ، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح**[١٩] .

ومما يجدر التنويه به استلهاماً مما سبق :

١ — أن المثوبات معنوية فردية وجمعية قاصرة على التشجيع والثناء ، وهي ليست كما تبدو ردود فعل وإنما هي أسلوب تربوي مستمر . وأحياناً تكون مادية ، ويتحمل أعباءها المعلم نفسه كأبي حنيفة وعبد الله بن المبارك .

٢ — أن المثوبات تهدف إلى إثارة همم الطلاب الآخرين للتنافس العلمي ، والتسابق الدرسي في جو تربوي بناء .

٣ — أن تطبيق المثوبات لا ينبغي أن يكون واحداً على جميع الطلاب ، بمعنى أن المثوبة يجب أن يدرس المربي أثر تطبيقها الإيجابي حسب نفسيته وأوضاعه الخاصة حتى يتجنب آثارها الجانبية على الطالب المثاب وعلى الطلاب الآخرين .

(٢) العقوبات : كما عرض تراثنا أنماطاً من العقوبات يقتصر المربي على بعضها كلما اقتضت إلى ذلك ضرورة يرجح في تقديرها مصلحة الطالب المعاقب ، أو المدرسة كمؤسسة تربوية ، أو رعاية قطاع كبير من الطلاب . وقد استلهم مربونا تخفيف العقاب والإعراض عنه بادئ ذي بدء من آثار نبوية عديدة ، منها :

أ — تعليم المعاقب خطأه قبل تعنيفه : فقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن **أبي هريرة رضي الله عنه** ، قال : قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم : علّموا ولا تعنّفوا ، فإن العلم خير من العنف . وقال **سفيان بن عيينة :** كان يستحبُّ للعالم إذا عَلم أن لا يعنف ، وإذا عُلم أن لا يأنف . . .[٢٠] .

ب ـ تكرار المعنى وإعادة الموضوع لمن لم يفهمه ليس موجباً للعقوبة ؛ يقول **العلموي** : . . . ومن لم يفهم تلطف في إعادته . . . ويعلل ذلك بقوله : إنه ربما استحيا (الطالب) من قوله : لم أفهم ، وسبب هذا : إما رفع كلفة الإعادة أو لضيق الوقت ، أو حياء الحاضرين ، أو كي لا تتأخر قراءة بعضهم بسببه . . .[٢١] .

ج ـ لا يجوز وصف طالب بصفة ثابتة فيها منقصة له ؛ يقول النووي : ولا يقتصر على خلق ينسب صاحبه إلى قلة المروءة ، ويحسن خلقه مع جلسائه ، ويوقر فاضلهم بعلم أو سن أو شرف أو صلاح ونحو ذلك ، ويتلطف بالباقين ، ويرفع مجلس الفضلاء ويكرمهم بالقيام لهم على سبيل الاحترام . . .[٢٢] .

د ـ وقد قرر التراث أموراً أخرى لا تشملها العقوبات ، وربما يعذر الطالب في فعل بعضها لأنه يدرك آنئذ أهمية ما فاته من المطلب العلمي أو الخلقي ، فالتأخير عن مجلس الدرس يعاقب عليه بتقديم السابق أو الأسبق إلى جوار المعلم ، وغرس الفضائل والعادات الحسنة والإقلاع عن مساوئها يستدعي التدرج تارة والمقايسة على زملاء الطالب تارة ثانية ، وتعليم محاسن تلك الفضائل ومساوئ الرذائل تارة أخرى ، والأغلاط العلمية ترد إلى تصويباتها من العالم نفسه أو من الطلاب ، أما الإهمال والتقصير فقلما يوجد لدى الطالب لأن طلب العلم المتخصص التزام وليس بإلزام .

ومما يسترعي انتباه المربي أن العقوبات المدرسية الحالية قد تشمل أسباباً سابقة لم يعاقب عليها التراث التربوي ، بل يكل أمر معالجتها إلى الطالب نفسه ، فهي الأجدى بالعلاج والتقويم ، فقد ذكر أن من أسباب العقاب المدرسي : التأخر عن موعد الدرس والمدرسة ، وعدم الانتظام في الصف خارج الفصل ، والتكلم مع الآخرين أثناء الحصة ، وعدم تأدية الواجبات المدرسية ، والالتفات والانشغال أثناء الدرس ، والمشاكسة ، ثم السرقة والغش في الامتحان[٢٣] .

وأهم العقوبات التي توقع على التلاميذ كما يذكرها المدرسون والمديرون متسلسلة تنازلياً هي : التأنيب والتعنيف أمام التلاميذ ، الفصل المؤقت من المدرسة ، العقاب البدني ، تبليغ الوالدين بسلوك التلميذ ، الفصل النهائي من المدرسة . . .[٢٤] .

ويظهر أن العقوبات في التراث التربوي تتناول الأمور التالية :

أ ـ التعنيف حين تقصير الطالب وإهماله ، ولكن بشروط : يقول النووي : وينبغي أن يحرضهم على الاشتغال في كل وقت ، ويطالبهم بإعادة محفوظاتهم ، ويسألهم عما ذكره لهم من المهمات . . . ومن وجَدَه مقصراً عنَّفه ، إلا أن يخاف تنفيره[٢٥] .

ب ـ إساءة الأدب مع طالب مثله توجب انتهار المعلم له : فهو المسؤول قبل أي إنسان عن الوضع التربوي وهو الذي يقدر نوعية الانتهار ووتيرته . يقول العلموي : وإذا أساء بعض الطلبة أدباً على غيره لم ينتهره غير الشيخ إلا بإشارته[٢٦] .

ج ـ إساءة الأدب مع الشيخ توجب انتهار طلّابه وانتصارهم له : وهذا نوع من الوفاء والتقدير للمعلم ، وتحصين لقيمة العلم والتربية اللذين يقدمها المربي عصارة فكره ووجدانه . يقول العلموي : وإن أساء أحد أدباً على الشيخ تعين على الجماعة انتهاره ، وردوه ، والانتصار للشيخ بقدر الإمكان وفاء لحقه[٢٧] .

د ـ التخيير بين الزجر والطرد وعقوبات أخرى : وذلك في حالات الانتقاص من شخصية المعلم والتطاول عليه ، والهزء به في الخطاب والمجلس ، واتهامه بالجهل ، والتهجم على الدين . . . يقول العلموي : . . . أو يوقع بينه وبين أحد بنقل ما يسوءه كاستنقاص به ، وتكلم فيه أو يقول له : فلان يود لو أقرأ عليه كالحاث له في أمره ، وتركت ذلك لأجلك ، ففاعل ذلك مع كونه ارتكب مكروهاً أو حراماً ، أو كبيرة مستحق للزجر والإهانة والطرد والإبانة ، ويضيف إلى ذلك قوله : وإذا سبق لسان الشيخ إلى تحريف كلمة ألا يضحك ولا يستهزئ ، ولا يعيدها كأنه يتنادر بها عليه . . . . إلى أن يقول حكم العقوبة : وفاعل ذلك مما ذكر مع شيخه معرض نفسه للحرمان والبلاء والخسران ، مستحق للزجر والتأديب والهجر والتأنيب[٢٨] .

هـ ـ العقاب البدني : ويقصد به « إحداث ألم حسي عن طريق الضرب ، أو تكليف التلميذ أن يكون في أوضاع غير مريحة فترة من الزمن ، أو تكليفه القيام بعمل مرهق ممل طويل ، أو حرمانه من الطعام والشراب ، أو حبسه فترة من الزمن ، أو غير ذلك مما يترك ألماً مؤقتاً أو دائماً ، كبيراً وصغيراً ، وتتم أمثال هذه العقوبات عادة تحت توجيه المدرسة ، وقد يكون الباعث على التفكير في مثل هذه العقوبات هو الحرص على صالح التلميذ مع توافر العطف والرحمة ، **ولكنها تنطوي في كل الأحوال على نوع من الاعتداء على شخصية التلميذ ، وقد تثير في قلبه الحنق والعداوة والشعور بالظلم ، وتؤدي إلى الفصل بين التلميذ والمدرّس** »[٢٨] .

وقد عولج العقاب البدني في التربية القديمة والحديثة لدى المربين في الشرق والغرب ، بين مجيز ومانع ومفصِّل . وتتجه التربية الحديثة إلى الامتناع عنه أيًّا كان شكله وشدَّته .

ولكن مما يعتز به تراثنا السبق إلى تحريم العقاب البدني ، ومنه : الضرب شرعاً وتربية . وإبراز الضرب في تراثنا على أنه شكل للقسوة ، وشطط في العنف قد يؤدي بالتلميذ إلى عاهة

مؤقتة أو دائمة لا تفقد العلاقة الرحيمة التي يجب أن تكون دائماً بين المدرّس وتلميذه وحسب ولكنه ينمي لديه عقدة النفور والكراهية للمدرسة، وللعلم على السواء. مما جعل أعلامنا يهملونه في مؤلفاتهم غالباً أو يعرضون له بالقدح والكراهية في بعض الأحيان. وممَّن فصَّل الحديث عنه ابن حجر الهيتمي المكي (٩٠٩ ـ ٩٧٤هـ) الذي يقول بعد تفريع الموضوع: إن أصحابنا صرحوا بأنه لا يجوز للمعلم ضرب الصغير إلا إذا أذن له أبوه، وإن علا، ومثله الأم أي وإن علت.... ثم يعلل ذلك بقوله: وذلك لأن التعزير (الضرب هنا) عقوبة، وهي لا تجوز إلا للولي، ومن في معناه ممن مر، والمعلم ليس في معنى الولي، وإنما هو نائب عنه، فتوقف تعزيره على الإذن، وليس مجرَّد الإذن في التعليم إذناً في الضرب، لأنه لا يستلزمه، وقد رأينا من يأذن فيه وينهى، فسكوته عنه يحتمل رضاه به وعدمه، فلا يجوز الإقدام عليه إلا بالتصريح.

ولقد بلغنا عن شيخ الإسلام **التقي السبكي** (وهو علم تربوي كبير) أنه كان ينهى مؤدب أولاده عن ضربهم على نحو الحفظ... وما ادعاه عن الإجماع الفعلي لا يعتد به، لأن الضرب الواقع من المعلمين للأولاد بغير إذن أوليائهم إنما منشؤه جهلهم فلا يعتد بفعلهم، على أن العقوبات يحتاط وتدرأ ما أمكن، كما أجمعوا عليه فعلاً بمجرد دعاوة ونحوها. إذا تقرر ذلك فالمنقول، وهو المذهب المعتمد الذي لا يجوز لشافعي مخالفته، أنه لا يجوز لمعلم الضرب إلا بعد إذن أب، فوصي، فقيِّم، فأم ونحوها ممن مر. وهذا الترتيب، وإن لم أر من ذكره، لكنه ظاهر، وعليه يحمل قول (القمولي): الظاهر أن الوصي وأمين الحاكم كالأب، فإذا وجد الإذن المعتبر جاز للمعلم الضرب على كل خلق سيئ صدر من الولد، وعلى كل ما فيه إصلاح للولد. والظاهر أنه يرجع في الضرب للإصلاح لتكاسله عن الحفظ وتفريطه فيما علمه إلى ظنه واجتهاده، وأما الضرب لوقوع فحش منه كهربه أو إيذائه لغيره، أو تلفظه بما لا يليق فلا بد من تيقنه له بالمعاينة، أو إخبار من يقبل خبره بأنه فعل ذلك... ثم يقول: ويشترط أيضاً في جواز التعزير أن يظنه زاجراً له من غير ضرب مبرح... **فلا يجوز المبرح إجماعاً، ولا غيره على الأصح لأنه لا يفيد...** ثم يقول: **لو قال للمتعلم ابتداءً: اقرأ، فقال: لا أحسن، لم يجز له ضربه إجماعاً، لأنه لم يفعل ما يوجبه، بل فعل ما يمنعه، وهو الاعتذار بأنه لا يحسن إلا المأمور به....**[٢٩].

وإذا نقل شيخ الإسلام **ابن حجر الهيتمي** تحريم الضرب ولاية فإنه نقل أيضاً تحريمه عن الإمام السبكي وغيره تربيةً، وحسبنا في ذلك تربية رسولنا الكريم أنه لم يعرف عنه ضرب أحداً قط، حتى قال عنه صحابته، ومنهم المسيء بصلاته: معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: بأبي وأمي، ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، والله ما ضربني، ولا نهرني ولا سبني. قال: إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وتلاوة القرآن[٣٠].

من مراجع البحث

١ ـ تحرير المقال في تربية الأطفال: لابن حجر الهيتمي المكي (مخطوط).

٢ ـ الدر النضيد في أدب المفيد والمستفيد: للبدر الغزي (مخطوط).

٣ ـ صحيح البخاري، وشرحه: فتح الباري: لابن حجر العسقلاني، وكتب الصحاح الأخرى.

٤ ـ رسالة أيها الولد: للغزالي.

٥ ـ المجموع في شرح المهذب: للنووي.

٦ ـ جامع بيان العلم وفضله: لابن عبد البر القرطبي.

٧ ـ الفقيه والمتفقه: للخطيب البغدادي.

٨ ـ المعيد في أدب المفيد والمستفيد: للعلموي، طباعة: أحمد عبيد.

٩ ـ العقوبات المدرسية، بحث ميداني: الدكتور محمد إبراهيم كاظم.

١٠ ـ التربية وطرق التدريس: الدكتوران: صالح عبد العزيز، وعبد العزيز عبد المجيد.

التعليقات والهوامش

(١) من كتاب: العقوبات المدرسية: الدكتور محمد إبراهيم كاظم، ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٣) انظر فصل: وظيفة المدرسة في كتاب: التربية وطرق التدريس للدكتورين صالح عبد العزيز وعبد العزيز عبد المجيد: ٨٢/١ ـ ٨٧.

(٤) انظر الرسالة السابقة، ص ٢٢، ٢٣.

(٥) مقدمة المجموع: ٣٠/١.

(٦) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (١٣٥٨) في كتاب الجنائز وغيره، ومسلم (٢٦٥٨) في القدر.

(٧) مقدمة المجموع: ٣٠/١.

(٨) جامع بيان العلم: ١٢٧/١.

(٩) من كتاب: المعيد في أدب المفيد: ص ٦٨.

(١٠) انظر مثلاً: الدر النضيد (القسم الثاني ـ آداب المعلم مع طلبته) من ورقة ١١٨.

(١١) في أدب المفيد: ٤٢.

(١٢) المصدر السابق: ٤٣.

(١٣) من رسالته: أيها الولد، ص ٢٠.

(١٤) رواه ابن عدي في الكامل والخطيب في التاريخ: ٦/٢، وانظر المجموع في تحرير النية: ٣٠/١.

(١٥) ذكره البغدادي في كتابه: الفقيه والمتفقه: ١٣٤/٢.

(١٦) في المجموع: ٣٣/١.

(١٧) ذكره في: الفقيه والمتفقه: ٩٠/٢.

(١٨) المصدر السابق: ١٣١/٢، وانظر المجموع: ٣٤/١.

(١٩) المصدر السابق: ١٣٩/٢، وانظر المناقب في كتب الصحاح.

(٢٠) المصدر السابق: ١٣٧/٢، وانظر حديث معاوية ابن الحكم السلمي في المصدر السابق أيضاً.

(٢١) أدب المعيد، ص ٥٠.

(٢٢) المجموع: ٣٣/١.

(٢٣) انظر جدول رقم (١)، ص ٣٤ وبعده من كتاب: العقوبات المدرسية: الدكتور محمد إبراهيم كاظم.

(٢٤) المصدر السابق، ص ١٦٣.

(٢٥) المجموع: ٣٣/١.

(٢٦) و(٢٧) أدب المعيد: ص ٧٨.

(٢٨) المصدر السابق، ص ٦٨، ٦٩.

(٢٩) من رسالته: تحرير المقال في تربية الأطفال (مخطوط) من ص ٣٦ ـ ٤٥.

(٣٠) ذكره الخطيب البغدادي بسنده في كتابه: الفقيه والمتفقه: ١٣٤/٢، وأخرجه النسائي في سننه: ١٤/٣ في: الكلام في الصلاة، وأحمد بن حنبل في مسنده: ٤٤٧/٥، ٤٤٨.

لاشك أن الحديث عن شوقي هو حديثٌ عن الأدب العربي المعاصر في أوج ازدهاره فهو حديث ـ في نفس الوقت ـ عن حقْبةٍ جَمعت جيلاً من الشعراء ـ أبرزهم شوقي ، ومن الصعب أن يجتمع أقطاب هذا الجيل في عصر من العصور وناهيك بأسماء كشوقي وحافظ إبراهيم وإسماعيل صبري وخليل مطران ومحمد عبد المطلب ... إلخ .

شوقياتٌ مجهولةٌ في كتابٍ مجهول

بقلم : مصطفى يعقوب



★ أحمد شوقي ★

« ويكاد النقاد ـ كما يقول **الزيات** ـ يُجْمعون على أنّ شوقي كان تعويضاً عادلاً عن عشرة قرون خلت من تاريخ العرب بعد المتنبي لم يظهر فيها شاعرٌ موهوب يصل ما انقطع من وحي الشعر ويجدّد ما اندرس من نهج الأدب »[١] . وقد خلّف شوقي نتاجاً ضخماً من الشعر والنثر ، ففي الشعر كان ديوانه المعروف **بالشوقيات ومسرحياته الشعرية كمصرع كليوباترا ومجنون ليلى وقمبيز وعنترة** فضلا عن قصائده للأطفال وكتاب « **عظماء الإسلام** » أما نثره فقد جمع طائفةً كبيرة منه في كتاب أسماه « **أسواق الذهب** » وبعض القصص **كأميرة الأندلس وورقة الآس** وغيرهما من النثر المرسل لشوقي .

الشـوقيـات

هذا من أمر نتاج شوقي ككلّ شعراً أو نثراً ، أما عن ديوان شعره الذي اشتهر باسم « الشوقيات » والذي سوف نخصّه بالحديث فنقول : إنه قد صدر لشوقي أول ما صدر الجزء الأول من « الشوقيات » في عام ١٨٩٨ م عن مطبعة الآداب والمؤيد بمصر ، بمقدمة له قال في ختامها : « وقد عزمتُ بحول الله ومشيئته على أن أنشر في آخر كل عام هجري ما يحصل عندي من منظوم أو منثور ولو قلّ عدده وصغر حجمه وأنْ أجعل ذلك بمثابة أجزاء متتالية للشوقيات تسمى باسمها وتكون لها متمّمة »[٢] .

ويبدو أن شواغل شوقي قد حالت دون الوفاء بهذا الوعد فقد أعاد طبع هذا الجزء عام ١٩١١ م دون أن يضيف إليه شيئا من شعره ، ثم قسم بعد ذلك الشوقيات فطبع الجزء الأول منها سنة ١٩٢٦ م مع مقدمة كتبها **الدكتور محمد حسين هيكل** وطبع الجزء الثاني سنة ١٩٣٠ م[٣] .

وقد صدر لشوقي بعد وفاته الجزء الثالث من الشوقيات وهو الجزء الخاص بالمراثي سنة ١٩٣٦ م والذي أشرف عليه ضبطاً وشرحاً الشاعر **محمود أبو الوفا** بمعاونةٍ من **حسين شوقي** نجل الشاعر وأخيراً صدر الجزء الرابع سنة ١٩٤٣ م وقد كتب مقدمته وشرحه وعلّق عليه الأديب **محمد سعيد العريان** ، ويضم هذا الجزء متفرقات في السياسة والتاريخ والاجتماعيات وأشعاره الخاصة التي قالها في أبنائه ثم الحكايات ثم ديوان الأطفال وأخيراً شعره في مداعبة الطبيب والسياسي الشهير **محجوب ثابت** والمعروفة **بالمحجوبيات** .

تلك هي الشوقيات بأجزائها الأربعة والتي تولت طبعها المكتبة التجارية الكبرى بمصر وهي الطبعة الشهيرة للشوقيات وعنها وحدها قد تمت إعادة طبعها أكثر من مرة ولاسيما من قِبَل بعض دور النشر في بيروت . **وعلى الرغم من اشتهار هذه الطبعة وانتشارها بين أيدي القراء في سائر أنحاء الوطن العربي إلاّ أنها لم تكن بالطبعة الكاملة التي تحوي كل ما قاله شوقي من شعر وذلك لأسباب ثلاثة :**

أولها : إنّ شوقي نفسه قد حَجَب بعض شعره باعترافٍ سجّله هُوَ في مقدمة الجزء الأول من الشوقيات في طبعته الأولى الصادرة في عام ١٨٩٨ م بقوله





★ د . محمد حسين هيكل ★ ★ خليل مطران ★

« على أنّ ما جُمِعَ في « الشوقيات » ثُمّ طُبِعَ ليس هو كل ما قيل فقد أسقطتُ منه الكثير وعثرت على غيره ولكن في الزمن الأخير فأما ما أسْقِط عمداً فأكثره من قولي في زمن الصبا الذي لا يؤمن فيه على المرء الغرور . ولا يسلك الفتى فيه سبيلا إلا وهو مضلَّل عثور . وقد خشِيتُ أن يقع مثل ذلك في أيدي الناشئة فأسأل عن وقعه ويكون أثمهُ أكبر من نفعه »(٤) .

ومن المعروف أن شوقي أسقط من شعره أهاجيه التي قالها في **أحمد عرابي** زعيم الثورة العرابية فلم يثبتها ضمن شعر الشوقيات وهي ثلاث قصائد نشر الأولى وهي بعنوان « عادلها عرابي » **بالمجلة المصرية** والتي كان صاحبها **خليل مطران** في ١٥ يونيو ١٩٠١ م بإمضاء « نديم » ومطلعها :

صغارٌ في الذّهاب وفي الإيابِ أهـــذا كلّ شأنك ياعرابــــي

ونشر الثانية بجريدة « **اللواء** » في ١٩ سبتمبر ١٩٠١ م بدون توقيع ومطلعها :

أهلاً وسهلاً بحاميها وفاديهـا ومرحبـاً وسلامـا ياعرابيهــا

ونشر الثالثة أيضا بجريدة « اللواء » في ١٢ يناير ١٩٠٢ م بدون توقيع ومطلعها :

عرابي كيْفَ أوفيكَ الملامـا جَمَعْتَ على ملامَتِكَ الأنامـا

وعلى الرغم من أن شوقي لم يوقع بإمضائه الصريح على تلك القصائد وأسقطها من شوقياته إلا أن الدكتور **أحمد الحوفي** قد أثبت أنها له على نحو فصّله تحت عنوان « **قصائد شوقي في عرابي** » في كتابه « **وطنية شوقي** »(٥) .

وثانيها : كان من المفروض أن يكون الجزء الرابع من الشوقيات ـ والذي صدر بعد وفاة شوقي ـ في طبعته الأولى سنة ١٩٤٣ م جامعاً حاوياً لكل ما أُسْقِطَ من شعر شوقي إلا أنه لم يكن كذلك كما جاء في مقدمة الأستاذ محمد سعيد العريان الذي أشرف على طبعه حيث قال « **على أنّ ذلك الجزء ليس هو كل ما بقي من شعر شوقي بعد الأجزاء الثلاثة الأولى ولكنه كل ما دُفِعَ إليّ مما تهيّأ لجامعه أن يجمعه وأرى شيئاً ما قد فاته أو هو قد أغْفَلَ نشره استجابة لبعض الدواعي العامة أو الخاصة** »(٦) . ومن العجيب في الأمر أن تُهْمَة عدم اكتمال هذا الجزء ـ الجزء الرابع ـ لا تقع على من جَمَعَ ما تفرّق من شعر شوقي بعد وفاته ، بل إن **رقابة المطبوعات** قد أسقطت قصيدتين ولم تأذن بنشرهما فيه وقت صدوره فقد جاء بحاشية المقدمة للأستاذ سعيد العريان قوله : « **وليس يفوتني أن أشير إلى قطعتين لم تنشرا في هذا الجزء إحداهما بعنوان « دنشواي » والأخرى بعنوان « الرقيب » وكنت قد هيّأتهما للنشر في الطبعة الأولى في موضعهما في باب « المتفرقات » ولكن رقيب المطبوعات لم يأذن في نشرهما لظروف هذا المنع في ذلك التاريخ (١٩٤٣ م) ثم غاب عني أصلهما فلم يتهيأ لي نشرهما في هذه الطبعة كذلك** »(٧) .

وثالثها : أن شوقي وهو كما نعلم من قَدْره في صناعة الشعر كان أحيانا ما يتناول شعره الذي سبق أن نشره في الدوريات بالحذف وإسقاط ما لم يرق له من أبيات ، وقد كانت لكاتب هذه السطور مساهمة متواضعة في الكشف عن بعض الأبيات المجهولة والتي أسقطها شوقي فلم يثبتها في شوقياته ، ولعلها هي المرة الأولى التي يعلم القراء أن شوقي وهو أمير الشعراء كان يتصرّف في شعره بالحذف والتبديل .

ففي قصيدته في رثاء « **فتحي ونوري** » وهما طياران عثمانيان قَدِما إلى مصر في سنة ١٩١٣ م يقودان طائرتهما فسقطت بهما فماتا فكان لمصابهما في مصر أسفٌ شديدٌ وقد استهلّ شوقي قصيدته بقوله :

انظر إلى الأقمار كيف تَزُولُ وإلى وجوهِ السعْدِ كيف تحول

وقد عثرنا على تلك القصيدة في نصها الأصلي الذي نشر في مجلة « **رعمسيس** » الصادرة في أبريل عام ١٩١٤ م وبمقارنة النص الأصلي بنصّ الشوقيات وجدنا أبياتا قد أسقطها شوقي من النص الأصلي وهذه الأبيات هي :

وإلى الفراقد كيف تُنْثَر في الثرى أشلاؤهـــنّ حجـــارةٌ ونصيلُ

حيث يلي هذا البيت « وإلى الجبال الشمّ كيف يميلها .... البيت »

ومن الأبيات المحذوفة والمفقودة في الشوقيات :

ماالميْت من همل الأنام كهالكٍ زالت بـه دُنْيـا وبـادَ قبـيلُ
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر عمرٌ لو عملت طويلُ
لا تذهب الحسنات في إثر الفتى إن الزمـان بنشرهـن كفـيلُ(٨)

ديــوان شـوقــي

و« **ديوان شوقي** » هو الاسم الذي اختاره **الدكتور أحمد الحوفي** عضو مجمع اللغة العربية وأستاذ الأدب العربيّ بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة بدلا من « **الشوقيات** » حيث أعاد جمع أشعار أحمد شوقي على أساسٍ من التوثيق والتّبويب والشرح والتعقيب ويقع في جزئين كبيرين صَدَرا عن دار نهضة مصر عام ١٩٨٠ م . وقد خصّص الدكتور الحوفي ضمن ما ذكره في مقدمته لـ « ديوان شوقي » بعد ترجمة يسيرة لحياة شوقي ولمحة من فنونه الشعرية فصلاً هاما بعنوان « **عيوب الشوقيات** » أورد فيه بعض المآخذ على الشوقيات بأجزائه الأربعة غير أن أهم فصول المقدمة على الإطلاق ما جاء في ختامها وتحت عنوان « **عملي بالشوقيات** » استعرض فيه الدكتور الحوفي عمله بالشوقيات بدايةً من إطلاقه اسم « ديوان شوقي » بدلا من الشوقيات وتقسيمه الديوان إلى الموضوعات التي يتميّز كل منها بطابعه الخاص وهي الوصف والتاريخ والسياسة والتحية .... إلخ معتمداً في هذا التقسيم على الطابع العام للقصيدة واجتهاده في توثيق أكثر القصائد بالرجوع إلى الطبعة الأولى والثانية من الشوقيات والرجوع أيضا إلى الجرائد اليومية وبعض المجلات الأسبوعية ذاكرا في هامش أكثر القصائد المصادر التي رجع إليها ووثّقها منها ثم تغيير عنوانات بعض القصائد التي لا تدلّ على موضوع القصيدة ووضع عنوانات لقصائد الغزل التي كانت بغير عنوانات ذاكراً كلّ عملٍ في موضعه . **وتكمن أهمية هذا الفصل لا ممّا سبق ذكره فحسب ولكن ـ وهو ما نعتبره بيت القصيد في « ديوان شوقي » ـ فيما أضافه الدكتور أحمد الحوفي من عدد غير قليل من القصائد المجهولة والتي ظلّت قابعةً في بطون الدوريات الصادرة في حينها**

شوقيات مجهولة في كتاب مجهول

حتى كشف النقاب عنها الدكتور الحوفي وأثبتها في « ديوان شوقي » وهي إضافة لها قيمتها وأثرها الكبير للباحثين في الشعر العربي المعاصر وفي شعر شوقي خاصةً .

ذكرى الشاعرين

كانت لوفاة **حافظ إبراهيم** ومن بعده أحمد شوقي رنّة أسف وحزن شديدين في مصر والعالم العربي فشرعت الأقلام في رثائهما شعراً ونثراً مما ليس إلى حصره من سبيل وأفردت الدوريات المختلفة أعداداً خاصّةً في تأبينهما والإشادة بشعرهما والتنويه بأدبهما والعكوف عليه درساً وبحثاً وتحليلاً بأقلام جمهرة كبيرة من الأدباء والنقاد ولاسيما من معاصري الشاعرين ، وأُلفتْ الكثير من الكتب التي تتناول حياتهما وشعرهما – ولا سيما شوقي – ، ولعل أهم هذه الكتب « **حافظ وشوقي** » للدكتور **طه حسين** و« **شوقي أو صداقة أربعين سنة** » **لشكيب أرسلان** فضلا عن مقالات الدكتور **زكي مبارك** في شوقي التي جمعتها مؤخراً ابنته **كريمة زكي مبارك** في كتاب بعنوان « **أحمد شوقي بقلم زكي مبارك** » صدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٧ م . ومن بين هذه الكتب الكثيرة والعديدة التي أُلفتْ عن شوقي أو عن حافظ أو عنهما معاً سواء بأقلام المعاصرين لهما أو اللاحقين من الدارسين والباحثين في الأدب العربي الحديث فإنّ كتاباً واحداً من بين هذه الكتب لم يُرْزَق من الشهرة نصيباً فلم يذكره الباحثون في شعر حافظ أو شوقي ضمن مصادرهم من المؤلفات التي تناولت حياة وأدب الشاعرين فأصبح مجهولا أو أشبه بالمجهول على الرغم من أهميته ونفعه للباحثين في الأدب العربي الحديث وخاصة في أدب حافظ وشوقي ، وهذا الكتاب هو « **ذكرى الشاعرين** » والذي صَدَر منذ أكثر من خمسين عاماً وتحديداً في شوال عام ١٣٥١ هـ أي بُعَيْدَ وفاة أحمد شوقي ، وهذا الكتاب المجهول من إعداد أديب سوري لا نعرف عنه سوى أن اسمه **أحمد عبيد** ، نقول من إعداد لأنه ليس تأليفا كما هي عادة الكتب المؤلفة فلم يكن نصيب هذا الأديب السوري من التأليف سوى مقدمة نثرية وخاتمة شعرية ، أما الكتاب فهو عبارة عن طائفة مختارة من المقالات والقصائد التي قيلت في حافظ وشوقي بالإضافة إلى بعض أشعارهما التي لم تنشر في ديوانيهما .

وعلى الرغم من أن الكتاب ليس تأليفا إلاّ أنه لا يخلو من فائدة على قدر كبير من الأهمية لأسباب ثلاثة :

أولها : أن ما أورده أحمد عبيد في كتابه « ذكرى الشاعرين » من مقالاتٍ وأبحاث وأقلام أئمة البيان من معاصري حافظ وشوقي والتي تتناول حياة وشعر الشاعرين يتجاوز حدود المقال أو البحث الأدبي إلى أبعد من ذلك بكثير حيث تعتبر هذه المقالات والبحوث وثائق أدبية وتاريخية – بكل المقاييس – تكشف عن الكثير من الجوانب الخفية في حياة وشعر الشاعرين مما لا غنى للباحث في شعر حافظ أو شوقي عنها وحسب القارىء بعض عنوانات تلك المقالات أو إن شئنا الإنصاف والدقة في التسمية تلك الوثائق الأدبية ، فكتب **إبراهيم عبد القادر المازني عن** « حافظ الرجل » وكتب **الشيخ عبد القادر المغربي** « حافظ واللغة العربية » ... إلخ وعن شوقي كتب شيخ العروبة **أحمد زكي باشا** « ذكريات عن شوقي » وكتب **أنطون الجميل** عن « شاعرية شوقي ومميزاتها » وكتب **الدكتور منصور فهمي** «الفلسفة في شعر شوقي » أما الشاعر **شفيق جبري** فقد كتب « أحمد شوقي شاعر لم يظهر مثله من ألف سنة » .... إلخ .

ومما يزيد في قيمة تلك الوثائق الأدبية أن أغلبها مجهول قابع في بطون صحف ودوريات قد بَعُدَ العهدُ بها فباتت عسيرة التناول والتداول .

ثانيها : أن تلك المقالات المختارة توضّح للباحث في الأدب العربي الحديث – إبّان عصر الشاعرين – الحركة الأدبية في مصر مُفصّلةً بما يحوى هذا التفصيل حال النقد الأدبي ومذاهبه وقتها ، ويبدو أن صاحب « ذكرى الشاعرين » قد تعمّد اختيار هذه المقالات عن حافظ وشوقي ليكون مجموعها دراسةً شاملةً حول الحركة الأدبية في مصر ، وكما قال هو في خاتمة مقدمة الكتاب « وإننا آثرنا فيما اخترناه لهذا الكتاب ما فيه من دراسة وتحليل لشعر الشاعرين وأدبهما أو تفصيل لأخبارهما وأحوالهما ليكون الناظر فيه ملمّا بالحركة الأدبية في هذا العصر الذي هو من أحفل عصور الأدب وأروعها ، وحسبه روعة وحفولا ، أن يكون فيه هذان الشاعران العظيمان وأن يكتب عنهما أساطين الشعراء والكتاب ما ندون بعضه في هذا الكتاب » .

وثالثها : وهو بيت القصيد وذروة الفائدة في هذا الكتاب ، فبعد أن استعرض أحمد عبيد طائفة من المقالات التي تدور حول الشاعرين أَوْرَدَ طائفةً من شعرهما حَرِصَ أن تكون تلك الأشعار مما لم تنشر في أي من ديوانيهما ، وقد أدرك جامعو ديوان حافظ إبراهيم هذه المزية في « ذكرى الشاعرين » لدى جمعهم ما تفرق من شعر حافظ فاستعانوا بما نشره أحمد عبيد من أشعار لحافظ إبراهيم لم تنشر في دواوينه التي أصدرها في حياته[٩] ، وفات جامعو شعر شوقي سواء « الشوقيات » بأجزائه الأربعة أو « ديوان شوقي » الذي جمعه الدكتور أحمد الحوفي أن يصنعوا نفس صنيع جامعي ديوان حافظ فظلت بعض الشوقيات مجهولة غير منشورة لا يعلم عنها القارىء أو الباحث في شعر شوقي شيئاً .

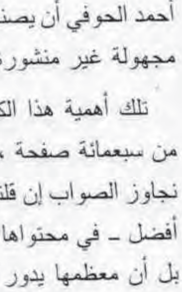
تلك أهمية هذا الكتاب المجهول عن حافظ وشوقي والذي قاربت صفحاته من سبعمائة صفحة ، وهي أهمية – كما نرى – ليست بالشيء القليل ولعلّنا لا نجاوز الصواب إن قلنا إن مجرّد جَمْع تلك المقالات التي تم اختيارها بدقة وعناية أفضل – في محتواها – من مؤلفات عديدة عن حافظ وشوقي لا تتضمّن جديداً بل أن معظمها يدور في فلك التكرار .

وفي نهاية الكتاب يرثي أحمد عبيد ، حافظ وشوقي بقصيدة طويلة أو على حد قوله « مرثيتان في قصيدة » بعنوان « **أفول القمرين** » ، ومطلعها :

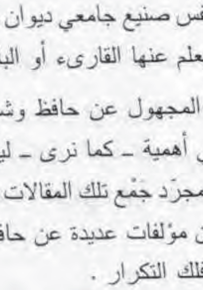
أهكذا الموتُ أنفاسٌ نؤدّيهـا	إلى الحياة فلا يُرْجى تقاضيها
أهكذا الموت صحوٌ لا سبات به	أو غفوةٌ لا يذوق الصحو غافيها

ويرثى حافظ بقوله :

★ محمود أبو الوفا ★



★ د . أحمد الحوفي ★



من للقوافي وقد أودى مُفَوّقها ... وللبلاغة إذ ولّى مُوشّيها
ياحافظ الشعر والآداب قد نظمتْ ... بك المنونُ قصيدَ الموت ترويها
ماكان شعرك إلا وَحْيَ ملهمة ... يهيب بالقوم غافيها وساهيها
ملكت ناصية الفصحى فما شردت ... عنك الأوابد قاصيها ودانيها
فكان قولك منثوراً ومنتظماً ... مثل اللآليء في شتّى مجاليها
وسار ذكرُكَ في الأقطار منبسطاً ... مسير شعرك في أقصى نواحيها

الشوقيات المجهولة

أورد أحمد عبيد فصلا عن شوقي في كتابه بعنوان « **أحمد شوقي ـ أشعار له لم تنشر في ديوانه** » وبالنظر إلى تلك الطائفة من الأشعار نجد أن بعضها قد عرف طريقه إلى الشوقيات في الجزئين اللذين نشرا بعد وفاته إلا أنه ـ في نفس الوقت ـ قد أورد أشعاراً لم نجدها في « الشوقيات » ولم يستدركها الدكتور أحمد الحوفي ضمن ما استدركه من قصائد مجهولة في « ديوان شوقي » **وهي شوقيات مجهولة يقرؤها القارىء الآن لأول مرة ويسرنا أن نهديها إلى القراء من الأدباء ومحبي شعر شوقي .**

الشوقية الأولى

وهي بعنوان « **كأني بالحمام** » ويبدو أنه قد قالها في أخريات حياته بدليل أنه لم يثبتها في الجزئين الأولين من الشوقيات اللذين صدرا في حياته ، وقد حام شوقي حول هذه المعاني كثيراً ولاسيما البيت الثالث الذي يذكرنا ببيته المشهور :

فمن يغتّر بالدنيا فإني ... لَبِسْتَ بها فأبليت الثيابا

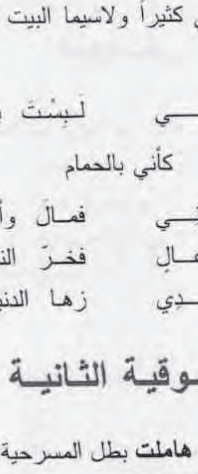
كأني بالحمام

كأنّي بالحمام أشابَ ركني ... فمالَ وأيّ ركنٍ لا يميلُ
وأدركني ونجمُ صباي عالٍ ... فخرّ النجمُ وأزدوج الأفول
فلا يغرركما ولدَيّ بعدي ... زها الدنيا ومنظرها الجميل

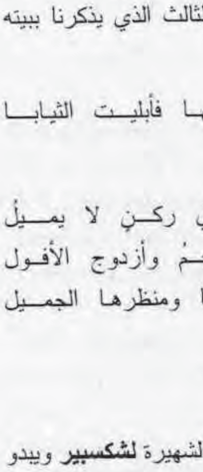
الشوقية الثانية

وقد قالها شوقي على لسان **هاملت** بطل المسرحية الشهيرة **لشكسبير** ويبدو أن الشيخ **سلامة حجازي** قد استعان بها في بعض المواقف الغنائية لدى تمثيله مسرحية « هاملت » ومن الطريف أنه عندما عزلت **بريطانيا الخديو عباس حلمي** ونصّبَتْ عمّه **السلطان حسين كامل** خَلَفاً له وأنشد الشيخ سلامة في رواية « هاملت » هذا البيت

★ شكيب أرسلان ★



★ د . زكي مبارك ★



عمٌ يخونُ وأمٌّ لا وفاءَ لها ... أمٌّ ولكن بلا قلبٍ ولا كبدِ

استُدْعِيَ سلامة حجازي إلى الشرطة للتحقيق معه وطلبوا منه استبعاد هذا البيت من الرواية وقد تم ذلك في الليلة التالية(١٠) ، ويقال إن الحكومة المصرية وقتها قد أوقفت عرض الرواية على الفور(١١) ، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو هَلْ تَعْكِسُ هذه الشوقية المجهولة التي قالها شوقي على لسان هاملت رأي شوقي في عزل الخديو عباس حلمي وتنصيب عمّه سلطانا على مصر مستتراً وراء هاملت كما استتر وراء حكايات الأطفال التي قالها على لسان الحيوان والطير ؟

على لسان هاملت

دهرٌ مصائبه عندي بلا عددِ ... لم يجْنِ أمثالها قبلي على أحد
عمٌّ يخون وأمٌّ لا وفاءَ لها ... أمٌّ ولكن بلا قلبٍ ولا كبدِ
جَنَتْ عليّ هموم العيش قاطبةً ... وقبلها ما جَنَتْ أمٌّ على ولد
لما مَدَدتُ يدي بالشرّ منتقماً ... مِنها نهاني أبي عن أنْ أمدّ يدي
رحْماك رحْماك ياذاك الخيال ويا ... أمّاه رفْقاً ويأعادي الهوى اتئد
أنا الشقيّ المعنّى المبتلى أبداً ... وقفت أمسي ويومي للأسَى وغدي
أمشي وراء خيالٍ لا يفارقني ... كأنّه نَكَدِي في العيش أو كمدي
وأهجر الوجْدَ للثاراتِ أطلُبها ... ومثْل وجدي قلوب الناس لم تجد
هويتُ والنفس لا تسلو ضغائنها ... فضعْتُ بين الهوى والحقدِ بالرشد
إن ضقت يادارنا الدنيا بنا أملاً ... في دارنا الخلد آمالٌ بلا عدد
صباي ودّعْ شبابي سرْ حمامي حن ... دنياي زولي خيالَ الشقوة ابتعد

الشوقية الثالثة

وهي قصيدة غزلية تتجلى فيها براعة شوقي في صناعة الشعر أكثر مما يظهر من الوجدان وليس هذا بالشيء الغريب على شوقي لأنه لم يكن بالشاعر الغزل كما هو معروف عنه .

قالت وقلت

وسقيمةُ الأجفان لا من علّةٍ ... تُحْيي العميد بنظرةٍ وتميتُه
وَصَلَتْ كتربيها الحديثَ بضاحكٍ ... ضاح كمؤتلف الجُمان شتيتُه
قالت تغرّبت الرجال فقلت في ... ضيمٍ أريد بجانبي فأبيتُه
قالت نُفيت فقلت ذلك منزلٌ ... وَرَدْتَه كلّ يتيمةٍ ووردتُه
قالت رماك الدهر قلت فلم أكن ... نكساً ولكن بالأناةِ رميتُه
قالت ركبت البحر وهو شدائدٌ ... قلتُ الشدائد مركبٌ عُودتُه
قالت أخِفتَ الموتَ قلت أمِفْلتٌ ... أنا من حبائله إذا ما خِفْتُه
لو نلت أسباب السماء لحطّني ... أجَلٌ يحلّ لحينه موقوتُه
قالت لقد شمت الحسود فقلت لو ... دام الزمان لشامتٍ لحفلتُه
قالت كأنّي بالهجاء قلائداً ... سارتْ فقُلت هَمَمْتُ ثم تركتُه
أخذت به نفسي فقلت لها دعي ... ما شاعت الأخلاق لا ما شئتُه
من راح قال الهجر أو نطق الخنا ... هذا بياني عنهما نزّهتُه
الله علّمنيه سمحاً طاهراً ... نزه الخلال وهكذا علمتُه

شوقيات مجهولة في كتاب مجهول

الشوقية الرابعة

وهي مقطوعة تتألف من بيتين ، ويحفل ديوان شوقي بقدر غير قليل من هذه المثاني .

قل للزمان

قُل للزمان يصبّ من أحداثه ... أوْ لا يصبّ فما بنا إشفاق
غمرت مصائبه فأغرقنا بها ... والغَمرُ فيه تستوي الأعماق

الشوقية الخامسة

وهو نشيد قد وضعه شوقي لجميعة الشبان المسلمين فآثر أن يجعله منوّع القافية كما فعل من قبل في نشيد أبي الهول[١٢] .

نشيد الشبان المسلمين

العز للإسلام ... منارة الوجود
هداية الإمام ... ومطلع السعود

....

عصابة الصدّيق ... وراية الفاروق
والحق والوسيلة ... والسمحة الظليلة
ومعقل الفضيلة ... وغابة الأسود

....

الفرس في لوائه ... والهند في ضيائه
في الأرض صار كالعلم ... بغرّة تمحو الظلم
بين الكتاب والقلم ... مظفرّ الجنود

....

الشام من أسرته ... ومصر نور غرّته
من هالةٍ لهالة ... يمزّق الجهالة
ويهزم الضلالة ... ويحْطِم القيود

....

علاقة القلوب ... وعودة الشعوب
مشى هدى ورحمة ... بينهم وذمة
فليس بين أمّة ... وأختها حدود

الشوقية السادسة

وهي مقدمة شعرية كتبها شوقي في تقديم ديوان الفجر الأول للشاعر **خليل شيبوب** وكان رائداً من رواد التجديد في الشعر وقد طبع هذا الديوان في عام ١٩١٢ م عن دار العرب للبستاني بالقاهرة :

الشعر

الشعر صنفان فباقٍ على ... قائله أو ذاهبٌ يوم قيل
مافيه عصريٌّ ولا دارسٌ ... الدهر عمرٌ للقريض الأصيل
لفظٌ ومعنى هو فاعمد إلى ... لفظٍ شريف أو لمعنى نبيل
واخلق إذا ما كنت ذا قدرةٍ ... ربَّ خيالٍ يخلق المستحيل
ما رفع القالة أو حطّهم ... إلا خيالٌ جامدٌ أو مُنيل
من يصف الأبل يصف ناقةً ... طارت بهم وارتفعت ألف ميل
سائل بني عصرك هل منهمُ ... من لبس الإكليل بعد الكليل
وأيهم كالمتنبّي أمروٌ ... صَواغ أمثالٍ عزيز المثيل
والله ما (موسى) وليلاته ... وما (لمرتين) ولا (جيرزيل)
أحقّ بالشعر ولا بالهوى ... من قيسِ المجنون أو من جميل
قد صوّر الحب وأحداثه ... في القلبِ من مستصغر أو جليل
تصوير من تبقى دمى شعره ... في كل دهرٍ وعلى كل جيل

*

الهوامش

(١) تاريخ الأدب العربي ـ أحمد حسن الزيات ص ٥٠١
(٢) فصول (مجلة النقد الأدبي) ـ المجلد الثالث ـ العدد الثاني مارس ١٩٨٣ ص ٢٧٢
(٣) ديوان شوقي تبويب وشرح د . أحمد الحوفي ج ١ ص ١٤
(٤) فصول (مجلة النقد الأدبي) ـ مصدر سابق ص ٢٧٢
(٥) وطنية شوقي ـ د . أحمد الحوفي ص ١٨٣
(٦) الشوقيات ـ ج ٤ ص ٥
(٧) المصدر السابق ص ٧
(٨) مجلة البيان ـ العدد ٢٣٥ أكتوبر ١٩٨٥ ـ شوقي والتغيير والتبديل في شعره ـ مصطفى يعقوب عبد النبي
(٩) ديوان حافظ إبراهيم ـ ضبط وتصحيح وشرح أحمد أمين وآخرين ـ الطبعة الثانية ص ٩٢
(١٠) زكريا أحمد (سلسلة أعلام العرب) ـ صبري أبو المجد ص ١٤٩
(١١) المسرح الغنائي العربي ـ محمود كامل ص ١٧
(١٢) الشوقيات ج ١ ص ١٤٥

*

قصة قصيرة

بقلم: عبدالله باقازي

الغياب الأصفر

فجأة اختفى طبيب القرية .. !!

بحث عنه الكبار والصغار، النساء والشيوخ في كل أرجاء القرية ... وفي الثنيات، تحت الأشجار التي اكتست بالإصفرار، وتساقطت أوراقها الصفراء بتناثر ...

لم يكن طبيباً للقرية فحسب بل كان صيدليها، وواصف الأدوية والعقاقير لأهلها، وعارفاً بالنبات وغذائه ... كان « مصدر المعرفة الكلية للقرية »، لكنه « غاب فجأة »، اختفى ذات صباح، وقد كان حاضراً المساء الذي مضى...

رجال عجزة فقدوا الأدوية التي تساعدهم على النهوض، فتهاووا على الأرض وقبعوا يرمقون الأفق الأصفر البعيد ...

نساء حوامل يخشين على مافي بطونهن ... أطفال يعانون من أمراض شتى ... أشجار ذبلت واصفرت، وأشجار باسقة تهاوت ودلقت ثماراً صفراء، سرعان ما أصابها الجفاف وهي تلامس الأرض ...

في الصباح الباكر، يهرع أهل القرية يحملون أوجاعهم ... الشيوخ يتحاملون على السير ... الأطفال يقاومون الإعياء والأمراض ... والنساء يخشين على مافي الأرحام ... يهرع الجميع، يصافحون الشمس ... يبحثون عن دفء واحمرار فيها، فيمتد من خلال الشمس شعاع أصفر يلون أزقة القرية وثنياتها، ويلوّن الأجساد والوجوه والعيون بصفرته، ويمتد هذا الإصفرار طوال اليوم ...

بكى شيوخ لهذا الغياب، وبكت نساء، وصرخ أطفال في هلع ... ونزلت دموع كثيرة ملأت ساحة القرية كان لها لون أصفر ...

ذبلت زهور وأصفرت ... وأصبحت قناديل المنازل تئن وتلهث في ذبول، وأصبح للهيبها هذا الإصفرار المهتز اللاهث ...

طيور جميلة ملوَّنة كانت تملأ سماء القرية تغريداً وغناءً ... صمتت، وهزلت وبدت غير قادرة على الطيران ...

من يملك إعادة طبيب القرية الغائب .. ؟! .. من يعرف السرّ ... ؟؟! .. أسئلة تنمو ثم تذبل وتصفرّ ... !

زحفت الأمراض أكثر إلى الشيوخ والنساء والرجال والأطفال، لكن الجميع بقي ينتظر .. ! وذات أصيل ... خرج شيوخ القرية متحاملين، ونساؤها .. خرج الأطفال يئنون وبقي الجميع يستشرفون « **الأفق** » ربما انبثق « **الطبيب** » العائد في أية لحظة ... حدَّقوا في الشمس المصفرة، تلوَّن الأفق كله بالإصفرار، ولا بارقة تلوح « للغائب، » الذي غاب ...

الصمت انتشر على الأفق، وعلى الأفواه، وعلا منازل القرية ... كان صمتاً أصفر ...

طال مكوث الشيوخ والنساء والرجال والصبية ... وأطلّ « الانتظار » من العيون وهناً أصفر ...

لا أمل ... لا بارقة تلوح، وعلى الجميع أن يعودوا حيث أوشك المساء أن يهبط ... بقرب حلول «**المساء**»، تسرب «**الخوف**» إلى النفوس من عدم عودة « الغائب »...

في أثناء عودة الجميع المتعبة، هبط « ماء » أصفر بلَّل الأجساد، والأشجار، فتهاوت بعض الأشجار، وامتلأت طرقات القرية بورق أصفر متساقط، وقطرات ماء صفراء تعلوها وتملأ الطرقات ...

وعند الوصول إلى القرية - ثانية - ... تسللت إلى دماء الشيوخ والنساء والرجال والأطفال « **فيروسات** » غريبة، أحالت الدماء في العروق إلى لون « أصفر »، تهاوت على أثره كثير من الأجساد أرضاً ...

صرخت النساء في هلع الصرخات الأخيرة، وتلاشت الصرخات في الأفق الأصفر الباهت للقرية الهامدة .. !!



قصة قصيرة

بقلم: عبدالقوي إبراهيم جلهوم

حدث في قلب الليل

لا مفر من الجلوس مع الليل لحين الانتهاء من «غبيط الحمار»، شغلني عن تكملة خياطته أحداث البارحة. لا أخاف أن عاود مجيئه. على العكس أتمنى حضوره كي أمسك به وأقول للناس: ها هو الذي اتهمتوني بالهذيان لحظة أن أنبأتكم بحقيقته.. أين ذهبت «المسلة».. تعودت أن أغرسها كلما فرغت من العمل بها في الركن الأيمن للحائط المقابل لباب الحجرة.. لعلها ظهرت لأحد الصغار فاستلها ليلعب بها. لا مندوحة من إيقاظ الزوجة من النوم لتبحث عنها.. الحظيرة ضاقت ولا بد من تكملة «**الغبيط**» ليعرف الحمار شغله في الصباح مع الوحل.. ما هذا. إنها «المسلة» بعينها مغروسة في العرق الخشبي الذي يتوسط سقف الحجرة. لو ارتفعت قامتي ضعف ما هي عليه فلن تطول ذراعاي السقف. من يكون فعل.. نعم.. نعم.. تذكرت. إن رجل الليلة الفائتة. أثناء كان يهددني بقوله: سوف يحل بك غضبي، انتزع «المسلة» وكانت في يدي ثم طوح بها. وحين نظرت لأعلى وجدتها مغروسة في المكان الذي أراها فيه الآن...

رغم أنه ناداني في قلب الليل، فقد فتحت له الباب. أيقظت الزوجة. أخذت تلبي حاجة بطنه حتى خوت «الخزانة» من لبن الجاموسة. أتى على كل الزبد وكانت ستبيعه في **سوق الثلاثاء** لننفق منه على والدي المريض.. قال: إن نفسه تلح عليه في طعام الطيور.. ظنت المرأة أن «**العشة**» لن تخسر سوى «ديك». ضجرت عندما أنبأتها أنه يلح في طلب الثالث.. قالت وأنا أرجوها ذبح الرقم الأخير: سوف أطرق باب أبويك لأستنجد بهما... خشيت أن يسمعها الرجل وهي ترفع صوتها. مسحت على شعرها. طوقتها بذراعي. ذكرتها بالجزاء الحسن للأعرابي الكريم الذي يقرأ علينا ابننا حكايته من كتاب المطالعة... يطلب أن يأكل أوزاً.. لا يوجد. زوجتي لا تجيد تربيته.

— اسرق.

ماذا يقول؟. أأسرق!! حقاً ما تقوله فيه زوجتي إنه.... بدأ يفور في داخلي بحر من الغضب.. أتريد أن أكون حدوتة القرية.. سيطوفون بي راكباً فوق حمار أجرب.. سيجري الصغار من حولي قائلين: (حرامي الوز حرامي الوز).

— اذبح الجاموسة..

أجننت يا رجل.. خير الجاموسة هو الذي يصبرنا على خسارتنا في زرع القطن.

— لا بد وأن تذبحها..

أشعر وكأن الغضب يسيل مني ليسبح في الحجرة. أيتكلم بلغة الأمر في بيتي!! سخونة شديدة أحس بها تموج في رأسي. خُيِّل إليَّ أنني إذا لم أكن حازماً معه سوف أحترق.

— ارحل يا رجل من بيتي.

انتزع «المسلة» من يدي وطوح بها. خلع نعليه وصار يدك بكعبيهما فوق الأرض.

— إذا لم تذبح الجاموسة سوف يحل بك غضبي..



سمعت زوجتي بصياحنا فأيقظت أبوي. صرخت أمي لما هالها من طول قامة الرجل. اندفعت مسرعاً نحو الحظيرة. أمسكت بالفأس. سأقاومه قدر ما أستطيع. الدفاع عن النفس مشروع. يريد أن أذبح له الجاموسة!! لو أدى الأمر سوف أحفر له بئراً في الحظيرة.. يتبعني أبي حاملاً المطرقة الحديدية. امتلأت الدار بصراخ المرأتين في البيوت. انفض الجمع وهم يستهزئون بنا. سرق الرجل الأنظار وهرب دون أن يراه غيرنا....

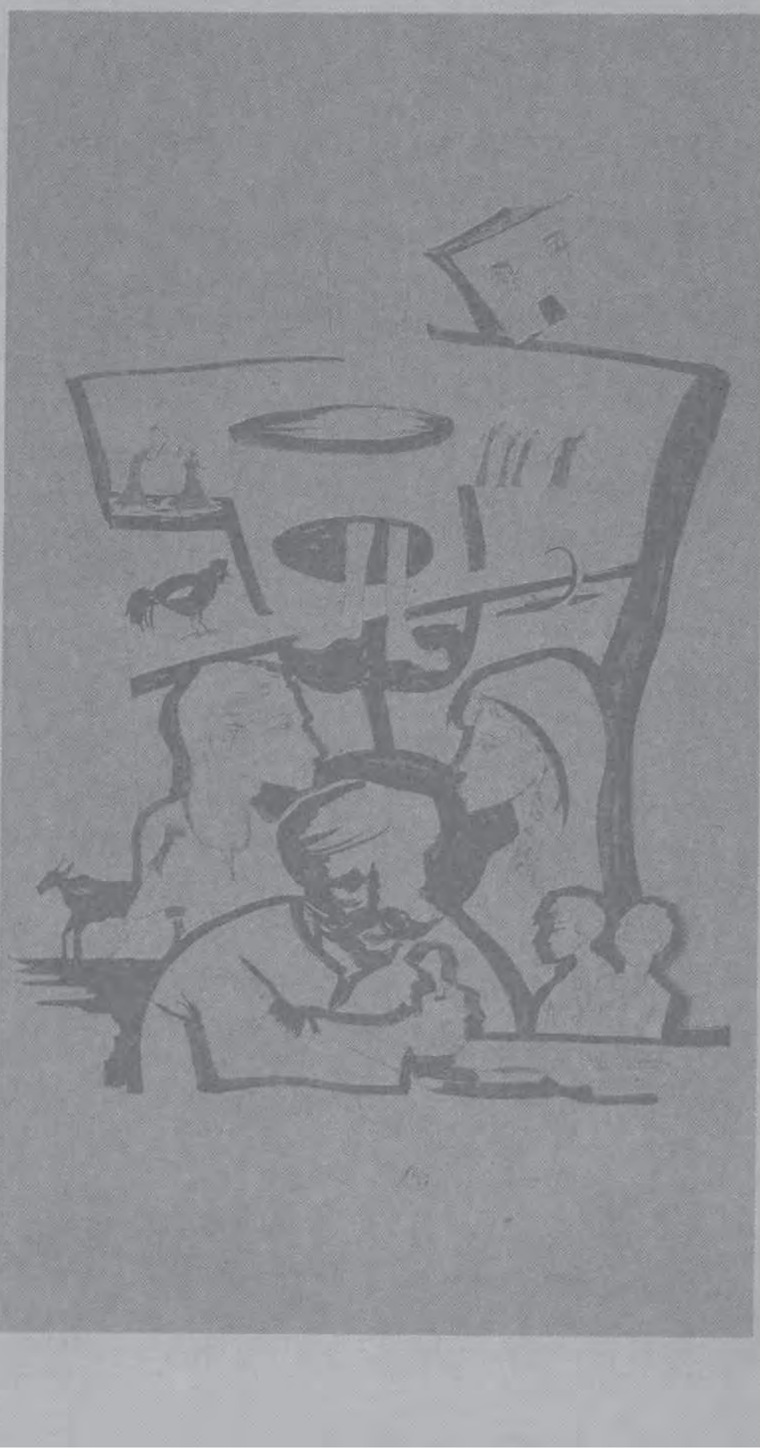
تراجعت عن إحضار السلم. كنت أنوي الصعود فيه لسحب «المسلة» من العرق الخشبي.. كأن شيئاً ما يجذب «المسلة» داخل العرق.. لم يعد يبدو لها أثر. تظهر مكانها علامة مستديرة سوداء اللون. بدأ السواد يتفرق مشكلاً دائرة كبيرة. لم أشعر بفراغ الدائرة إلا بعد رؤيتي للنجوم في السماء. أرى أرجلاً آدمية تتدلى من فراغ السقف، يهبطون واحداً وراء الآخر. كان هو آخر من هبط. يبدو على نفس هيئته ليلة أمس. تبددت الشجاعة التي كانت تحضرني قبل مجيئه. أشعر بعدم الفرق بيني

وبين باب الحجرة الذي كنت أنوي الهرب منه . التصقت متجمداً . صار كل واحد منهم يخرج من جيبه لفافة تتحول بمجرد أن يضعها أمامه إلى مائدة . . مرَّ خارجاً . . بعد لحظات عاد وفي يده مقود الجاموسة . لم أتحمل رؤية سكينه وهو ينفذ في الجاموسة تعليماته . أحسست بالدماء تعود لتسير في جسدي . دبت في نفسي شجاعة لست أدري من أين جاءت . هجمت على يده أعض فيها . جعلتني دفعته لي بيده الأخرى أحتضن الباب . . . استبطأت زوجتي في فتح حجرتها لي فكسرت الباب . . قومي واملئي الدنيا صياحاً . إنهم يذبحون الجاموسة . . لماذا لا ترد ؟ عيناها مفتوحتان !! لماذا إذاً لا ترد ؟ لماذا لا تتحرك . الأطفال !! يبدو الأطفال على هيئتها . أجسامهم مثلها متصلبة . عدت إلى الجاموسة وأنا أشعر وكأن السكين لا ينحر إلا في جسدي . وجدت لحمها مبعثراً على موائدهم . . كلما أسبهم كلما ازدادوا ضحكاً . ذهبت وكان كل عضو في جسدي يصرخ نحو حجرة أبوي . قوته في شبابه لا يزال أثرها يجري في شيخوخته . لا بد وأنه سيتغلب على مرضه ويقوم لمساعدتي . . . ماذا أرى ؟ . إنهما على نفس الحالة التي عليها عيالي !! . . عثرت عيناي على الفأس فلم أتردد في حملها . لا يهمني أن أموت في سبيل أن أشفي غليلي ولو بجرح أحدهم . يختطفون الفأس بسهولة لم أتوقعها . يطير بها من الدائرة المفتوحة في السقف وهو يقول :

ـ إذا لم تكف عن هجيتك فإننا سوف نخطف منك الدار . . لم أبال بما يقول . إنه لا بد يخرف . . سأذهب لإحضار الفأس الأخرى . إنهم يخرفون . كيف سيخطفون الدار ؟ ! سأمسك بالفأس جيداً . أتفاءل خيراً أنني سأنجح في طعن أحدهم . سوف آخذ بثأرك يا جاموستي . لم تفلح الفأس في إحداث أثر في جبهته . صار يهز فيها بين يديه وهو يقول :

ـ ضيعت عليك الدار .

يختفون فجأة من نفس الدائرة التي جاءوا منها . الجدران تتأرجح !! أمعقول سيحدث ما قالوا عنه !! بدأت الدار وكأنها تنوي التحرك دائرياً . توجهت إلى حجرتها . قومي لنهرب . سوف يسرقون الدار . سيسرقونك معها . . كانت أمنيتها أن أداعبها مثل ما ترى في « التلفزيون » وأقول لها يا حبيبتي . . قومي يا حبيبتي سوف يسرقونك . أطفالي . ولدي الكبير . . قم . خذ معك أمك وأخواتك . كانت أمنيته أن يلعب بقطار مثل ابن الجيران . ضيق ذات اليد كان يحول بيني وبين رغبته . قم يا حبيبي . أقسم أنني سوف أستدين على محصول القطن ، وأشتري لك القطار . . الدار تلف حول نفسها . جريت نحو حجرة أبوي . ما الذي سلبكما الصوت وأبطل الحركة . إنني في حاجة إليكما أكثر من حاجتي وأنا في المهد . خرجت إلى الشارع لعل أحداً من الجيران يبحث معي عن نجدة . كلما أحاول أن أدفع بصوتي ليرتفع يعود كسيراً شاكياً وهنه . . تتحول الدار إلى عجلة تعمل بسرعة . أصبح رغم شعوري أنه لا يسمعني أحد : خذوها خذوها ولكن اتركوا العيال . اتركوا أبوي . صرت أتأمل الدار وهي ترتفع آملاً أن يتركوا لي الأسرة . . رفعت يدي لألطم وجهي حسرة بعد أن وجدتني أعمى . لم أدر أنني فقدت رأسي إلا بعد أن أطبقت بكفي على الهواء . . . . .



* *

إعداد : رؤوف وصفي

قصة من الخيال العلمي: محطة الفضاء

كانت تدور في عظمة وشموخ على بعد عشرين ألف كيلو متر .. إنها محطة الفضاء (**السلام**) كانت فريدة في النظام الشمسي وربما في الكون كله .. لأنه من بين جميع الكواكب التي تدور حول الشمس كانت هي وحدها من صنع مهندسين وعلماء فضاء .. وقد تم نقل العتاد اللازم لبناء هذه المحطة بواسطة صواريخ عملاقة من ثلاث مراحل اطلقت بتوقيت واحد من عدة دول .. وبمجرد أن وصلت المرحلة الثالثة من هذه الصواريخ إلى المدار المحدد لها حتى القت بما تحمل من عتاد ومواد لتصبح طليقة عند ذلك الارتفاع في عمق الفضاء كما تم جلب المعادن من مناجم القمر .. لقد كان الهدف من إقامة محطة الفضاء (السلام) استخدامها مرفأ لهبوط سفن الفضاء المتجهة للقمر والمريخ والزهرة ولتزويدها بالوقود .. ولدراسة الشمس والنجوم وتطورها بواسطة تلسكوبات بصرية والتي تستخدم الأشعة تحت الحمراء .. ونقطة تفتيش على الأقمار الصناعية المختلفة الأنواع والأهداف والتي أصبحت تبدو في السماء كإبر فضية تشق نسيج الفضاء ولمراقبة الصواريخ العملاقة ذاتية الدفع العابرة للقارات والقيام بالإنذار المبكر عند حدوث هجوم على أي دولة .

القمر الصناعي .. القاتل:

عندما نادتني مراقبة الفضاء من كوكب الأرض كنت أكتب التقرير اليومي من غرفة العمليات ذات القبة الزجاجية فوق أحد محاور محطة الفضاء التي كانت مصممة على شكل عجلة هائلة من مادة البلاستيك المقوى بالصلب .. وتحوى بناء مركزيا في مقبضها يتصل بممرات تجري على طول أنصاف الأقطار الممتدة إلى الحافة . وهي تدور حول محورها أثناء دورانها حول الأرض بحيث تولد قدراً كافياً من القوة الطاردة المركزية لتعويض ما قد يصيب حواس المهندسين والعلماء ورواد الفضاء نتيجةً للشعور بانعدام الوزن أي بدلا من الجاذبية الأرضية ..

لم تكن غرفة العمليات بالمكان المناسب للعمل ذلك أن المنظر الرائع الذي يتجلى أمامي يغمر النفس بشتى الأحاسيس إذ تبدو السماء سوداء حالكة رغم أنني أرى الشمس والنجوم مضيئة في نفس الوقت وتتضح معالم النجوم وتبهرني بوميضها البراق على غير الصورة المألوفة من فوق سطح الأرض .. لأن الغلاف الجوي يحجب الرؤية .. أما الشمس فيشتد ضياؤها وتظهر حول حافتها السنة لهب أحمر تعقبها هالة فضية عظمى .

وعلى بعد أمتار من غرفتي .. كنت استطيع أن أرى مجموعة من المهندسين الذين يتحركون في الفضاء بواسطة أجهزة صاروخية محمولة على ظهورهم ، كانوا يقومون بتركيب أجزاء من محطة الفضاء ، كانوا يبدون لي كأنهم فرقة باليه تقوم برقصاتها البطيئة الحركة .

أجبت :

ـ أنا مراقب الفضاء .. ما الخبر ؟

جاءني الصوت واضحا من عشرين ألف كيلو متر .. فقد استخدمت أشعة الليزر في الاتصالات بكفاءة عالية ..

ـ الرادار عندنا يظهر صدى صغيرا على بعد حوالي كيلو متر من محطة الفضاء أيمكنك أن تزودنا بتقرير عنه ؟

أخذت أفكر في الأمر لثوان ، إن أي مادة تتفق مع مدارنا بهذه الدقة من الصعب أن تكون شهبا .. ربما كانت شيئا سقط منا أو لعلها قطعة أثاث حملها الهواء الصناعي من داخل محطة الفضاء ، ولكن عندما استخدمت أجهزة الرصد التي تعمل بالكمبيوتر .. سرعان ما تبينت خطئي ..

اعدت الاتصال بمراقبة الفضاء .

ـ (**لقد وجدته .. إنه قمر صناعي عسكري يستخدم لتدمير الأقمار الصناعية الأخرى** .. أرى قمراً صناعياً قاتلاً ، وهو مخروطي الشكل بأربعة هوائيات وجهاز لإطلاق أشعة الليزر .. وعدسات تصوير تليفزيونية في قاعدته وزاوية ميل المدار ٧٠ درجة وارتفاع أقل بُعد للمدار عن الأرض ٩ آلاف كيلو متر ، وارتفاع أقصى بعد للمدار ٢١ ألف كيلو متر) .

كنت أعلم أن بعض الدول المعادية اطلقت عدة أقمار صناعية قاتلة لمحاولة تعكير

صفو السلام الذي أصبح يسود العالم في القرن الحادي والعشرين ، ولإشعال حرب فضاء بين الدول ، ومن بين هذه الأقمار الصناعية العسكرية تلك المزودة بالرؤوس النووية والتي تدور في مدار منخفض حول الأرض في انتظار إشارة بدء الهجوم ويطلق عليها (القنابل المدارية) وأخرى تعترض وتدمر الأقمار الصناعية الأخرى باستخدام أشعة الليزر تلك الأشعة التي تسير في خطوط مستقيمة ومتماسكة ومن ثم تركز طاقتها عند نقطة محددة فيكون لها تأثير مدمر .

ادركت بسرعة أنني الشخص الذي سيقوم بهذه المهمة فقد كنت لا أجرؤ على إيفاد أحد مهندسي التركيب ... ذلك أننا كنا متأخرين عن الجدول الزمني ، وتأخير يوم واحد في هذه العملية يكلف مئات الألوف من الدنانير .. فإن كل شبكات التليفزيون على كوكب الأرض كانت تنتظر بلهفة لتوجه برامجها عن طريقنا .. ومن ثم تقدم أول خدمة عالمية للإرسال التليفزيوني المجسم ...

قلت في اقتضاب ...

ـ سأخرج وآتي به .. وسأرسل تقريرا عنه فيما بعد

لم يكن الأمر يسوؤني البتة ، فقد انقضى اسبوعان لم أخرج فيهما وكان السأم قد أدركني من جداول المؤونة وتقارير الصيانة وكشوف الرصد اليومية .. وكل المفردات الأخرى التي تجعل مهمة مراقبة محطة الفضاء مملة للغاية .. بعيداً عن كوكب الأرض وطني ، الوحيدة التي مررت بها في طريقي إلى باب الخروج هي (**أونجا**) القطة التي حصلنا عليها منذ عدة أسابيع فقط .. ولاحظت أنها فقدت الكثير من وزنها ، إن الحيوانات الأليفة تعني الكثير لرواد الفضاء الذين يبعدون عن كوكب الأرض آلاف الكيلو مترات ولكن ليس من هذه الحيوانات الكثير مما يستطيع أن يتكيف وهذه البيئة التي تتسم بانعدام الوزن .. واكتشف العلماء أن القطط هي أكثر الحيوانات قدرة على التكيف ، راحت (أونجا) تموء في حزن شاكية ما تعاني .. ولكني كنت في عجلة من أمري ولم يتسع وقتي للعب معها ...

واتجهت بالسلم المتحرك إلى حيث رداء الفضاء رقم (٥) .. ولعله من واجبي أن أذكر هنا أن الأردية في محطة الفضاء (السلام) تختلف تماما عن تلك التي يرتديها رواد الفضاء الذين يستوطنون القمر والمريخ والزهرة ... فأرديتنا الفضائية هي في الواقع سفن فضاء صغيرة لا تتسع إلا لشخص واحد .. كانت أسطوانات قصيرة غليظة من معدن الألومنيوم المقوى .. طولها نحو ثلاثة أمتار مزودة بمحركات نفاثة دافعة وتعمل بتحكم الكمبيوتر ولها عدة أطراف يمكن أن تمتد إلى الخارج نحو عشرة أمتار ويمكنها التقاط أي شي من الفضاء ..

وما أن استقر بي المقام داخل هذه السفينة الخاصة حتى ضغت على زر التشغيل وتحققت من العلامات فوق اللوحة الالكترونية الكبيرة التي تواجهني.. وكانت المؤشرات في منطقة الأمان، فأنزلت خوذتي الشفافة ـ التي تحوي جهاز الاتصال ـ فوق رأسي وفي هذه المرحلة القصيرة لم اهتم مطلقا بالاطمئنان على المخازن الداخلية في رداء الفضاء .. والتي كانت تستخدم لحمل الطعام والمعدات الخاصة في الرحلات الفضائية الطويلة ..

نقلني السلم المتحرك إلى باب الخروج ثم قامت مضخات بخفض الضغط إلى الصفر وببطء شديد .. انفتح الباب الخارجي .. ودفعتني آخر آثار الهواء إلى الفراغ فانقلبت رأسا على عقب .



في عمق الفضاء : لم أكن قد ابتعدت عن محطة الفضاء أكثر من خمسين متراً حتى أصبحت كوكباً قائما بذاته .. عالما صغيراً خاصاً بي .. كنت حبيس اسطوانة صغيرة متحركة يطالعني منظر رائع للكون بأسره ، ولم تكن لي حرية كاملة على الحركة داخل رداء الفضاء فقد كان المقعد المبطن والأحزمة الواقية تمنعني من الالتفات أو الحركة وإن كنت مستطيعاً أن أصل إلى جميع الآلات والمخازن .. بيدي أو قدمي .. إن العدو الأكبر في الفضاء هي الشمس التي قد تصيب الشخص بالعمى في ثوان وبمنتهى الحرص فتحت **المرشحات المظلمة** في جانب رداء الفضاء وأدرت رأسي لانظر إلى المشهد الرائع لكواكب المجموعة الشمسية خاصة **زحل والمشتري** ، وفي الوقت نفسه أدرت الجهاز الخارجي الواقي من الشمس بحيث تكون عيناي في مأمن من الوهج الشديد الذي لا يحتمل .

سرعان ما اكتشفت فوق الشاشة المرئية أن هدفي هو جسم براق من معدن شديد اللمعان .. فاتجهت إليه وبعد أربع دقائق من الاندفاع المنتظم بدا لي أن السرعة كانت كافية فخفضت التيار

وقدرت أنني سأجتاز بقية المسافة في خمس دقائق وتكفيني خمس دقائق للعودة ومعي القمر الصناعي القاتل ، وفي ذلك الوقت عرفت أن شيئا مروعا قد حدث ..

أسرار الكون الغامضة :
لم يكن السكون يسود رداء الفضاء تماما كما سادها في تلك اللحظات ... كنت مستطيعا أن أسمع صوت جهاز الأكسجين والصوت الخافت للمحركات وترديد أنفاسي بل إنني لو انصت جيدا لاستمعت إلى الايقاع الرتيب لدقات قلبي ..

وهذه الأصوات الرتيبة تتجاوبها جنبات سفينة الفضاء غير مستطيعة أن تهرب إلى الفراغ المحيط بي .. إنها الصورة الخلفية التي لم يلحظها أحد عن الحياة في الفضاء فالشخص لا يدري بها إلا إذا تغيرت .

لقد تغيرت الآن ، فقد أضيف إليها صوت لم استطع التعرف عليه كان صوتاً مكتوماً متقطعاً . إن شيئاً رهيباً يوشك أن يحدث ، تجمدت أوصالي في الحال وحبست أنفاسي وحاولت أن اتبين مصدر الصوت الغريب لم تزودني مؤشرات اللوحات الالكترونية بأي دليل فقد كانت ثابتة في مواضعها ولم يكن ثمة ضوء أحمر ينذر بالخطر وكان في هذا بعض العزاء ولكنه لم ينف القلق تماماً .. فقد تعلمت منذ زمن طويل .. أن اعتمد على غرائزي في مثل هذه الأحوال ، وقد كانت تومض الآن في أعماقي طالبة مني العودة إلى محطة الفضاء قبل أن يفوت الأوان ... إنني حتى الآن لا أرغب في استعادة ذكرى الدقائق التالية ، حين غمر الذعر عقلي كالمد المتزايد مغرقا سدود العقل والمنطق التي يجب أن يقيمها كل إنسان ضد الأسرار الغامضة للكون .. وعرفت وقتئذ ما معنى أن يواجه الإنسان الجنون .. فما من تفسير آخر كان يناسب الحقائق التي تواجهني فلم يعد في الإمكان التظاهر بأن الصوت الذي كان يزعجني ناشئاً عن خلل في الآلات ومع أنني كنت في عزلة تامة في عمق الفضاء بعيداً عن أي إنسان آخر أو عن أي شيء مادي .

إلا أنني لم أكن وحدي داخل سفينة الفضاء .. في تلك الدقائق المروّعة التي تجمد لها القلب ، بدا أن شيئا ما كان يحاول دخول سفينتي ، شيئاً خفياً كان يحاول أن يختبيء من فراغ الفضاء القاسي ، ورحت اتحرك في جنون داخل السفينة افتش في أركانها لم يكن هناك شيء ما بالطبع ولا يمكن أن



يكون ومع ذلك استمر الصوت الغريب أوضح من ذي قبل ..

المفاجأة : وبرغم الهراء الذي أشيع عنا فليس صحيحاً أن رواد الفضاء يؤمنون بالخرافات ، ولكن هل يمكن أن يلومني أحد بعد أن استنفدت كل مصادر المنطق . لا أدري ما الذي أتى لذاكرتي في هذا الوقت بالذات كيف مات **المهندس تامر** زميلنا في محطة الفضاء غير بعيد عن هذا المكان لم أكن قد عرفته قط ولكن قدره أصبح الآن فجأة ذا أهمية بالغة لي .. فقد طرأت على ذهني فكرة مروعة .. إن رداء الفضاء التالف أثمن من أن يلقى به .. حتى ولو كان السبب في قتل أحد رواد الفضاء ، بل يتم اصلاحه ويعاد تسجيله تحت رقم جديد ثم يصرف لرائد فضاء آخر .. ماذا يلمّ بروح رجل يموت بين الكواكب بعيداً عن عالمه ، ألا تزال هناك ياتامر تتعلق بالشيء الأخير الذي يربطك بوطنك البعيد ؟ .

وبينما كنت أحارب الكابوس الذي كان يتكاثف من حولي .. بدا لي أن الأصوات الخافتة كانت تأتي من جميع الجهات على أنه بقي لي أمل واحد اتعلق به كان يجب علي – اكراما لسلامة عقلي – أن أثبت أن هذه لم تكن سفينة الفضاء الخاصة بالمهندس تامر والتي أدت إلى موته ، وأن الجدران المعدنية المتألقة التي تلتقي حولي بإحكام ... لم تكن أبداً نعش أي إنسان من قبل .

حاولت عدة مرات أن أضغط على الزر الصحيح للاتصال بمحطة الفضاء وأن أوفق إلى موجة الإرسال الخاصة بالطوارىء ..

لهثت أقول :

– إلى محطة الفضاء .. إنني أواجه المتاعب انقذوني .. إني

ولكن لم أتم عبارتي أبدا فقد قالوا لي فيما بعد أن صرختي أفسدت وحدة الاتصال . ولكنهم لم يقدّروا أنني كنت رجلاً وحيداً في العزلة التامة التي تفرضها سفينة الفضاء .. وكان يربت ظهر عنقي شيء ما ..

ولابد أنني اندفعت إلى الأمام وارتطمت بشدة بالطرف الأعلى من جهاز الكمبيوتر .. وعندما وصلني فريق الإنقاذ بعد بضع دقائق كنت لا أزال مغشيا علي وكنت آخر شخص في محطة الفضاء بأسرها الذي علم بما حدث ....

وعندما استعدت رشدي بعد حوالي الساعة ، كان جميع أطبائنا يلتفون حول فراشي ولكن انقضى وقت طويل دون أن يهتموا بالنظر إليّ ..

فقد كانوا مشغولين باللعب مع ثلاث قطط صغيرة كانت قد ولدتهم (أونجا) منذ بضعة أيام في داخل صندوق التخزين لرداء الفضاء رقم ٥ .

* *

قصة قصيرة

بقلم: طه الدسوقي أبو شحاته

أحزان الليل

غلف الصقيع القرية النائمة في حضن الليل . أشعة القمر المغسولة ترتجف على بقع الماء المنتشرة في الوحل . قطرات المطر المتساقط من الأشجار والبيوت تبدو بقايا لحن حزين . الرياح باردة تطوف بالشوارع ... تصفع البيوت ... تطرق الأبواب والنوافذ ... تؤرق الأحلام . وهناك وراء الأبواب ... غفت عيون ترقب الصبح .

امتدت يده إلى الغطاء . غطى رأس أخيه النائم . جال ببصره الحائر ثم حدج المصباح القابع في الركن البعيد . إنه الوحيد الذي يشع النور في البيت.

هاله ما آل إليه المصباح أصبح نوره ضئيلاً واهناً . ربما نفد زيته . في الصباح سيملؤه زيتاً مجدداً فيه الحياة . فلينتظر الصبح . استلق بجوار الصغير...



أغمض عينيه ونباح الكلاب يترامى إلى سمعه من بعيد .

تنبه من غفوته على صوت أخيه الذي هب مفزوعاً . كان الصغير يحدق ذاهلاً بوجه شاحب ويدان مرتعشتان .

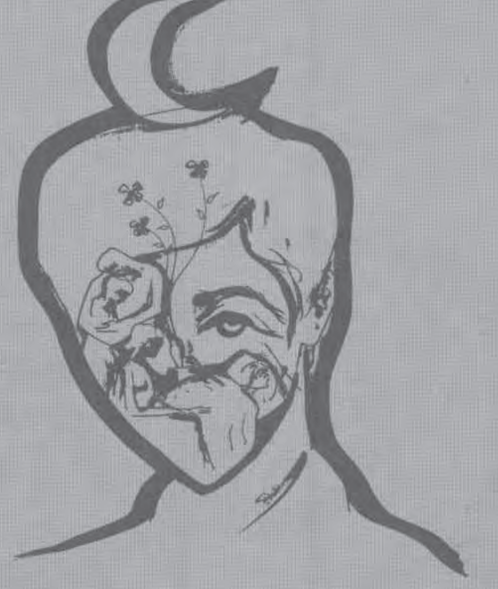
ـ ماذا بك؟

ـ لا أعرف .. إني خائف .

ـ كابوس ... لا تخف ... أنا بجوارك .

عاد الصغير إلى نومه . لم تبدد كلمات أخيه

قصة - أحزان الليل



مخاوفه ، فحوطه بذراعيه الصغيرتين باحثاً عن الأمان في صدره .

هطلت الأمطار بشدة ... توحشت الريح ... ارتفع عويلها ممزوجاً بعواء الذئاب انطلقت تصارع الأشجار والبيوت والأحلام . تبدد أي أمل لبزوغ الفجر في تلك الليلة الظلماء . فزع الصغير .

ـ ماذا بك ؟

ـ لا أعرف .

ـ لا تخف ... أنا بجوارك .

ازداد المصباح خفوتاً . امتلأت الصدور بخوف مجهول . غشي النفوس انتظار مخيف تعلقت القلوب هناك بأطراف القرية ... حيث المستشفى .

ظلت العجوز مؤرقة برائحة الدواء والسهر والآلام . رَنَت ببصرها نحو ابنتها الشاحبة المختفية في قاع السرير الأبيض . أرهفت السمع لأنينها الواهن . حدقت وجهها الذابل المريض . رأت الدموع تسيل من عينيها الغائرتين في محجريها . في رفق مسحت عنها الدموع ... نادت عليها .. أضاءت المريضة بعينيها المودعتين .

ـ ماذا بك ... لمَ تبكين .

ـ الأولاد ... رأيتهم منذ لحظات . الصغير كان يناديني .

ـ أوهام يا ابنتي . الأولاد بخير . غداً تبرئين من مرضك وتعودين إليهم . ستفرحين وتلعبين كالأطفال . سيمتلئ البيت حباً وبهجة وحياة .

انفرج ثغر المريضة عن ابتسامة ميتة ثم رحلت ببصرها في عالم ما . أدركت العجوز عبث المحاولة . لم تفلح في إعطائها هذا الأمل الكاذب البعيد .

نشب الرعد أظافره في صدر القرية كالوحش الهائج . اقتحمت السحب السوداء القلقة سماء القرية . انزوى القمر بعيداً بعيداً ... في آخر ركن مظلم . هب الصغير مهتاجاً . بحث بعينيه المذعورتين عن المصباح .

ـ ماذا دهاك اليوم ...

ـ المصباح ..!! رأيت زجاج المصباح يتحطم .. رأيتني أصرخ .

ـ ها أنت ترى المصباح ... لا زالت فيه بقية من النور .

دفن الصغير رأسه تحت الغطاء بينما ظلت عيناه تحدقان في الظلام .

توقف المطر ، هدأت الريح الثائرة . عاد القمر يتلصص خلف السحب المتقطعة كعذراء تستحي الإبصار .

نظرت العجوز إلى ابنتها بعينيها الدريتين ، اشتمت رائحة الموت الذي خبرته عبر سنوات عمرها الطويل . دنت من المريضة . رأت دمعة أخيرة تسيل عبر تجاعيد الوجه المودع . ودت لو تسمع صوتها ... تودعها الوداع الأخير . لكنها ... لم تشأ أن تزعج الروح في تلك اللحظات الهائلة . وانطفأ النور في العيون الغاربة . وتفطر قلب العجوز وهي تسحب الغطاء فوق ابنتها الراحلة .

دفع الصغير الغطاء صارخاً .. انطفأ المصباح . ضمه أخوه بين ذراعيه ، لكن عبثاً حاول أن يعطيه شيئاً مفقوداً . كان الظلام حالكاً ، سأل الصغير جزعاً :

ـ لماذا انطفأ المصباح .

ـ نفد الزيت .

ومن خلال النافذة ... رنت أبصارهما نحو السماء .

وفاضت عيونهما بالدمع بينما كان القمر يرتعد في رحم السماء .

مُحاسَبَة

أ

أجر :

عائد العمل الذ يدفع نقداً أو عينا للعامل نظير جهوده في أداء عمل ما . وهناك أنواع مختلفة من الأجور ، **فالأجر الأساسي** هو ذلك الذي يعطى للعامل عن العمل المعين من أجله ، دون الملحقات الأخرى المقررة لهذا العمل أو التي تصرف نظير المجهود الإضافي الذي قد يؤديه العامل . **والأجر الإضافي** هو ذلك الذي يحصل عليه العامل علاوة على أجره الأساسي . أما **الأجر العيني** فهو الامتيازات التي يقدمها صاحب العمل للعمل بصفة مستمرة وتعتبر جزءا من الأجر كالسكن والطعام والعلاج .. إلخ . **والأجر بالإنتاج** يكون عائد العمل الذي يدفع للعامل نظير ما حققه من إنتاج بغض النظر عن الزمن الذي قضاه في العمل ، وهو قريب الشبه من الأجر بالقطعة الذي يحتسب على أساس عدد الوحدات التي يقوم العامل بإنجازها . ومن أنواع الأجور أيضا :

أجر الوقت وهو العائد الذي يدفع للعامل أو الموظف عن وقت العمل على أساس الساعة أو اليوم أو الأسبوع أو الراتب الشهري الثابت .

ب

بدل :

مبلغ يصرف عادة للعمال طبقا لظروف معينة . **فبدل السكن** على سبيل المثال هو ذلك المبلغ الذي يؤديه صاحب العمل الذي لا يستطيع أن يقدم لبعض فئات العاملين سكنا يقيمون فيه . **وبدل الغذاء** هو المبالغ الإضافية التي تدفع للعاملين في منشأة ما نظير عدم تقديمها الطعام عينا لهم مع وجودهم في المنشأة أثناء الفترات التي يتم فيها تناول الطعام ، كما يمنح هذا البدل أيضا في حالة تطلب العمل مستوى معينا من التغذية كما هو الأمر في بعض الصناعات الشاقة والثقيلة . **وبدل الأمومة** هو تلك المبالغ التي تدفع علاوة على الأجر للعاملات عند الوضع لتغطية نفقات الإقامة بالمستشفى والعلاج ... إلخ . **وبدل طبيعة العمل** هو المبلغ الذي يصرف للعامل لتعويضه عما يتعرض له من إرهاق أو خطورة بسبب الظروف التي تحيط بعمله أو لترغيب بعض الفئات التي يكثر الطلب عليها في قبول العمل ، ومن أمثلة ذلك بدل الصحراء ، والبحر ، والاغتراب ، والخطر ، والعدوى ... إلخ .

ت

تدقيق الحسابات :

يعني هذا الاصطلاح ما يقوم به آخرون من عمليات للتحقق من السجلات المحاسبية لمؤسسة ما . ويشمل تدقيق الحسابات عادة مراجعة السجلات على المستندات الأصلية التي أدت إلى نشوء المعاملات المسجلة فيها ، والتثبت من الأرصدة الدائنة والأرصدة المدينة بالتحقيق المباشر ، والتأكد من وجود الأصول الثابتة (كالمعدات والمنشآت الدائمة والأرض والمباني) ومن قيمتها .

وهناك نوع آخر من تدقيق الحسابات يعرف باسم **تدقيق الحسابات الداخلي** ، وفيه يقوم شخص من بين موظفي شركة أو مؤسسة ما ـ يعمل في دائرة مستقلة ـ بمراجعة المحاسبة والأعمال المرتبطة بها ، وذلك بهدف قياس فعالية وسائل المراقبة الداخلية وتقييمها .

ث

ثنائي :

نظام عددي يستخدم في إعداد برامج الحاسبات الآلية ، لا يستخدم فيه غير رقمين اثنين هما : الصفر والواحد ، ويطلق على هذا النظام أيضا اسم : **نظام العد الثنائي** Binary Code .

ج

جدول المرتبات :

جدول يتضمن المرتبات المتعلقة بفئات العاملين والدرجات الوظيفية

المختلفة لجميع العاملين والموظفين في مؤسسة ما .

جرد الموجودات :

هو التقدير الدوري الذي يجرى لجميع البضائع الموجودة في مؤسسة ما لأخذها بعين الاعتبار عند إقفال الدفاتر .

حـ

حساب الأرباح والخسائر :

هو موجز بالإيرادات المكتسبة والمصروفات التي تم تحملها خلال مدة محددة لمؤسسة ما . ويتم إعداد هذا الموجز من واقع **حساب الربح** (الزيادة في الإيرادات) **وحساب الخسارة** (الزيادة في المصروفات) . وقد يشتمل هذ الموجز أيضا على **الضرائب المدفوعة** عن الأرباح **وحصص الأسهم** المعلنة .

حساب التكاليف القياسية :

إحدى طرق محاسبة التكاليف ، والتي يتم بموجبها تقرير تكاليف السلع القياسية المنتجة بكميات محددة وفي ظروف معينة وذلك قبل بدء الإنتاج الفعلي لهذه السلع . **ويهدف هذا النوع من الحساب إلى وضع أساس علمي لمقارنة التكاليف الفعلية للإنتاج به** حتى يمكن اتخاذ القرار المناسب بشأن تخفيض السلع أو عدم تخفيضها .

خـ

خطط الأجور التشجيعية :

النظم المالية التي تربط بين مقدار الأجر وكمية الإنتاج وذلك بهدف رفع الإنتاجية والأداء إلى مستوى قياسي .

وهناك أنواع مختلفة من هذه الخطط ، من بينها **خطة هالسي التشجيعية** Halsey Premium Plan وخطة (ركر) Rucker Plan وخطة (سكانلن) Scanlon Plan وخطة (لنكولن) Lincoln Incentive وخطة (اميرسون) Emerson Efficency Plan .

• وقد ابتكر (هالسي) خطته في عام ١٨٩١ م ، وكانت أول خطة تشجيعية لتحسين النظام العادي للعمل بالقطعة ، وبموجب هذه الخطة يكافأ العامل على الإنتاج الإضافي بمنحه مكافأة تحسب على أساس سعر القطعة (كأن يدفع له مثلا ٥٠٪ من قيمة الوقت الموفر) بالإضافة إلى أجره العادي المضمون الذي يتقاضاه في الساعة .

• **أما خطة (ركر)** فهي مشروع تشجيعي يحق لجميع الموظفين الذين يتقاضون أجورهم بالساعة أن يشتركوا فيه ، وفي هذا المشروع تقاس الزيادات في الإنتاج قياسا دقيقا كل شهر ، ثم تقسم الأرباح الناتجة منها بين صاحب العمل والموظفين .

• **وبموجب خطة (سكانلن)** يتم الاتفاق بين صاحب العمل والعاملين على تكاليف قياسية للعمل مبنية على أساس كل وحدة منتجة . وكل وفر يتم تحقيقه بعد ذلك نتيجة لخفض في التكاليف يقسم بالتساوي بين العاملين وبين صاحب العمل .

• **أما خطة (لنكولن)** التشجيعية فهي تجمع بين المشاركة في الأرباح والاستفادة من مقاييس الأداء الموضوعة نتيجة لدراسة العمل وتقدير الاستحقاق . وقد وضعتها شركة **(لنكولن الكترك)** الأمريكية في **كليفلند** ، وبموجبها تقسم المكافأة بين أعضاء الإدارة والموظفين (باستثناء رئيس الشركة ورئيس مجلس إدارتها) بعد دفع ٦٪ إلى المساهمين . وهي تبنى على أساس ما أسهم به كل شخص في نجاح الشركة . **والهدف العام لهذه الخطة هو تحقيق الشعور بوحدة مصلحة الموظف والإدارة .**

• **وتحدد خطة (اميرسون)** مستوى قياسيا للإنتاج بالنسبة للعامل متوسط الكفاءة . وتضمن هذه الخطة للعامل حدا أدنى من الأجر إذا بلغ مستوى الإنتاجية ٦٦٪ ، أما إذا زاد معدل الإنتاجية عن ذلك فإنه يحصل على مكافأة تتصاعد تدريجيا ، لذلك تتطلب هذه الخطة وضع جدول بالنسبة لكل وظيفة أو عملية إنتاجية يبين درجات الكفاية الإنتاجية المختلفة ومقدار النسبة المئوية الواجب إضافتها إلى الأجر الأساسي بالنسبة لكل درجة من هذه الدرجات .

د

الدائن :

طرف يستحق له مال نتيجة لصفقة جرت بالدين يكون الطرف الآخر فيها هو المدين .

دراسة الجدوى :

الدراسة المتعلقة بالمشروعات الاستثمارية ، والتي تهتم بتحديد البيانات التي يلزم توفيرها لتقويم هذه المشروعات والمفاضلة بينها ، وتحديد إيرادات المشروع الاستثماري وطرق التنبؤ بها ، وتحديد كل من التكاليف الاستثمارية للمشروع وتكاليف تشغيله ، وكذلك تحديد العمر الاقتصادي للمشروع .. إلخ .

ر

الراتب :

هو تعويض ثابت يدفع في العادة **أسبوعياً أو شهرياً أو سنوياً** لقاء القيام بعمل أو خدمة معينة . ويبنى هذا التعويض على أساس حد أدنى معين من ساعات العمل في اليوم أو الأسبوع .

الرصيد الدائن :

رصيد الحساب الذي يزيد فيه مجموع المبالغ المدينة على مجموع المبالغ الدائنة .

ز

زيادة عبء العمل :

نظام يطلب بموجبه إلى العامل القيام بواجبات ومسؤوليات إضافية دون زيادة أجره ، كتكليفه بتشغيل عدد أكبر من الآلات بنفس الأجر ، أو تكليفه بأداء عمل جانبي ليس من اختصاصه .

س

سجل الأجور :

يطلق هذا الاصطلاح على **الكشف أو البيان** الذي يتضمن **أسماء العمال والأجور المستحقة لهم** مع بيان الاستقطاعات والمبالغ الواجبة الصرف . كما يطلق أيضا على السجل الذي يشتمل على إجمالي ميزانية **الأجور** التي يؤديها صاحب العمل خلال فترة زمنية معينة .

ش

شرائح الأجور :

تعبير **يستخدم في المحاسبة المالية** للدلالة على المدى الذي يتدرج فيه الأجر بين حدين : أدنى وأعلى .

ص

صافي الأجور :

عائد العمل الصافي الذي يدفع للعامل بعد استنزال مختلف الاستقطاعات ، والذي يقوم العامل بالإنفاق منه على كافة مطالبه الخاصة .

ض

ضريبة القيمة المضافة Value Added Tax :

ضريبة تفرض على السلعة في كل مرحلة من مراحل صنعها أو توزيعها بحيث تكون متناسبة مع الزيادة المقدرة في القيمة النهائية لبيع هذه السلعة .

ط

طريقة التسديد :

طريقة لتقييم المشروعات التي تمول بمصروفات رأسمالية ، يتم فيها مقارنة **الدخل الإضافي** أو **المدخرات المتوقعة بالنفقات الصافية** ، وذلك بقسمة هذه النفقات على الدخل والمدخرات ، فمثلا إذا كانت المدخرات البالغة ربع مليون ريال قد تحققت من استثمار مبلغ مليون ريال ، فإن الفترة التي سيتسدد فيها الرأسمال هي أربع سنوات . وتعرف هذه الطريقة أيضا بتسمية أخرى هي : طريقة **استرجاع رأس المال** *Payback Method* .

ع

عطـــاء :

سعر يعرضه بائع محتمل على مشترٍ محتمل أو بالعكس ، وذلك عندما لا يتمكن الفريق الذي بدأ الصفقة من تحديد السعر بنفسه .

غ

غياب :

عدم الحضور إلى العمل ، ويعبر عنه غالباً في الحسابات المالية بنسبة مئوية : عدد الغائبين بين كل مائة موظف خلال فترة زمنية محددة كيوم عمل أو نوبة عمل .

ف

فترة أداء الأجر :

المدة التي تتخذ أساساً لحساب الأجر والتي تحدد دورية صرفه للعامل ، مثل صرف الأجور للمستخدمين **شهرياً** ولعمال الإنتاج **أسبوعياً** في بعض المصانع والشركات المنتجة .

ق

القيد المزدوج :

نظام مسك الدفاتر الذي يعكس ثنائية حركات التسلم والصرف ، والذي يستوجب تسجيل كل معاملة مرتين .

القيمة الدفترية :

القيمة المبينة في السجلات الحسابية لأصل من الأصول تمييزا لها عن

قيمته الحقيقية أو قيمته السوقية . **والقيمة الدفترية تساوي الثمن الأصلي مطروحا منه الاستهلاك المتجمع .**

القيمة الصافية :

مفهوم في المحاسبة **يشير إلى زيادة القيمة الدفترية لجميع الأصول على الالتزامات** . وتكون القيمة الصافية في حالة الشركات هي حقوق المساهمين ، بينما تمثل الرأسمال المستثمر في مؤسسة ما .

ك

الكفــاءة :

يستعمل هذا الاصطلاح عموما للدلالة على **فعالية أداء العمل الصحيح في الوقت والمكان الملائمين** . كما يقصد بها أيضا : **القدرة على تحقيق النتيجة** المقصودة طبقا لمعايير محددة سابقاً ، وتزداد الكفاية كلما أمكن تحقيق النتيجة تحقيقاً كاملاً .

وتحدد نسبة الكفاءة بقسمة الساعات القياسية للإنتاج الفعلي على الساعات الفعلية للإنتاج الفعلي ، ثم يضرب الناتج في مئة .

ل

لوحة الارتحال:

سجل على شكل جدول لإظهار البيانات الكمية عن حركة العمال أو المواد أو المعدات بين أي عدد من الأماكن خلال أية فترة معينة من الزمن .

م

المحاسبة :

يُعنى **علم المحاسبة** بالمبادىء والأساليب التي تستخدم في إنشاء وحفظ وتحليل سجلات العمليات المالية في أي مؤسسة تجارية أو غير تجارية . وتهتم **إدارة المحاسبة** بوضع أساليب تسجيل العمليات وحفظ السجلات والقيام بتدقيق الحسابات الداخلي ورفع النتائج إلى **الإدارة العليا** . وتعنى **المحاسبة الإدارية** Management Accounting بتحليل وتقديم البيانات المالية والبيانات المتعلقة بالتشغيل التي تساعد الإدارة على القيام بواجباتها فيما يتعلق بالتخطيط والمراقبة والتنفيذ بصورة فعالة . وتختص المحاسبة الإدارية بتحديد التكاليف ومراقبة الميزانية وغير ذلك من المعلومات التي تساعد الإدارة العليا على اتخاذ قراراتها .

مراقب الحسابات :

المسمى الوظيفي للموظف التنفيذي المسؤول عن حفظ السجلات الخاصة بالأمور المالية الداخلية في مؤسسة ما ، بالإضافة إلى مسؤولية عن **إعداد التقارير** عن هذه الأمور **ومراقبتها** . وقد يكون مراقب الحسابات مسؤولاً كذلك عن إنشاء وحفظ المقاييس والميزانيات والتنبؤات لغرض مراقبة الأعمال وقياس مستويات الأداء بمراجعتها على الخطط الموضوعة .

الميزانية العمومية :

بيان يوضح باختصار الوضع المالي لشركة ما أو مؤسسة ما في تاريخ معين . كما يبين نوع وقيمة المصادر التي نتجت منها الأموال ومختلف الطرق التي استثمرت وأنفقت هذه الأموال فيها . وتتألف الميزانية العمومية العادية من عمودين رأسيين ، **أحدهما للأصول والثاني للالتزامات** . وإعداد هذه الميزانية بصورة دورية يساعد على إجراء مقاصة بين الإيرادات والمصروفات الخاصة بفترة معينة .

ن

النسبة الحالية :

نسبة تستعمل في المحاسبة **بهدف قياس سيولة أي شركة** والتعرف على قدرتها على الوفاء بالتزاماتها القصيرة الأجل ، أي ديونها الحالية . وهي تساوي مجموع الأصول الحالية مقسوماً على مجموع الالتزامات الحالية . وكلما قلت هذه النسبة كلما كان ذلك دليلا على زيادة السيولة .

هـ

هندسة القيمة Value Engineering :

طريقة ابتكرت في **الولايات المتحدة الأمريكية** يحلل بواسطتها ـ بصورة منهجية ـ كل عنصر وكل عملية داخلة في صنع السلعة ، وفحص وظيفتها وفائدتها بالنسبة إلى التكاليف التي تم تكبدها . **والهدف من هذه الطريقة هو تحقيق منفعة متساوية من السلع والخدمات بتكاليف أقل .**

هيكل الأجور :

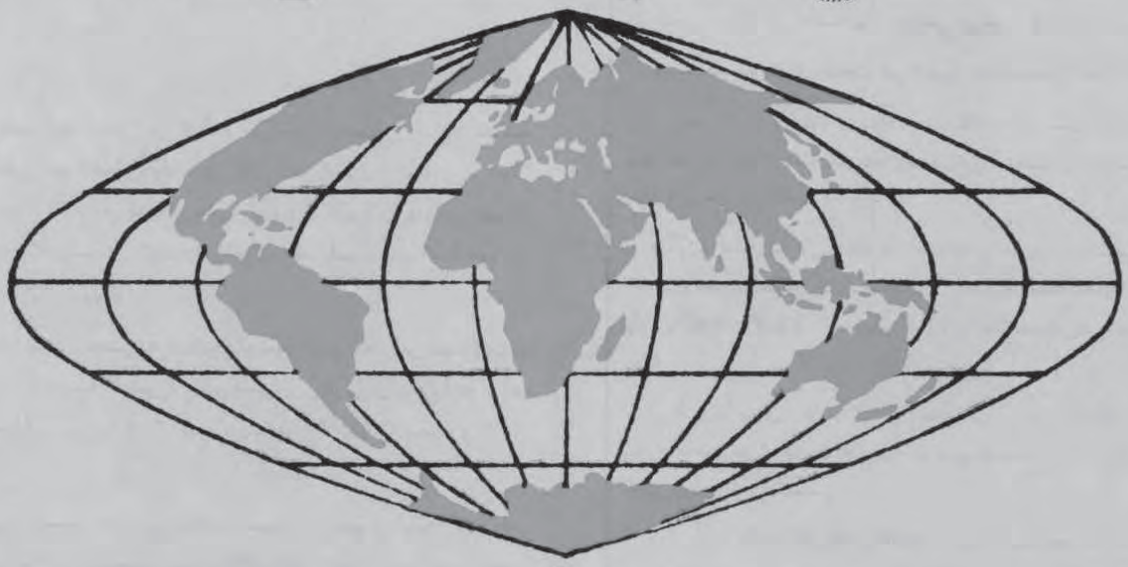
مفهوم يقصد به المراتب المختلفة للأجور لأي شركة أو مؤسسة ، والتي تبدأ بالحد الأدنى للأجور ، وتلي ذلك فئات مختلفة كل منها أعلى من الأخرى حتى تصل إلى الحد الأعلى للأجور .

و

وضع الميزانية :

إجراء يتم بواسطة **رسم الأهداف المطلوب تحقيقها في مدة معينة** في المستقبل (سنة واحدة في العادة) ، والسياسات والأساليب والموارد التي تستخدم في **تحقيق هذه الأهداف** .

الحركة الثقافية في شهر



- □ وفاة الأديب والصحافي السعودي علي حافظ .
- □ مسابقة عن تاريخ الطائف .
- □ مهرجان دولي حول الفن التشكيلي في بغداد .
- □ كشف أثري في العراق .
- □ سعوديان يفوزان بجائزتين في مصر .
- □ مسابقة لتشجيع الإبداع العلمي بين الشباب العرب .
- □ كتاب عن القصة الفلسطينية يصدر في ألمانيا ، وترجمة آخر إلى الألمانية .
- □ إنشاء متحف لابن بطوطة في الصين .
- □ إقامة ندوة حول الآداب الأفريقية .

في الوطن العربي



★ علي عبد القادر حافظ ★

السعودية

وفاة علي حافظ

انتقل إلى رحمة الله تعالى في السابع من شهر رمضان الكريم **الكاتب والأديب الرائد علي عبد القادر حافظ** عن عمر ناهز الحادية والثمانين ، حيث كان من مواليد عام ١٣٢٧ من الهجرة بمدينة الرسول ﷺ ، وفيها تلقى علومه الأولية ، ثم التحق بالدراسة في **المسجد النبوي الشريف** ، وبعد عدة سنوات حصل على شهادة التدريس منه .

بدأ حياته العملية كاتباً . **بمديرية المالية بالمدينة المنورة ، ثم رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة ، ثم مديراً لفرع وزارة الزراعة ، ثم رئيساً لبلدية المدينة** حتى عام ١٣٨٥هـ ، حيث تفرغ لأعماله الخاصة وللكتابة أيضاً .

أسس مع أخيه **السيد عثمان حافظ** صحيفة « **المدينة المنورة** » عام ١٣٥٦هـ ، واشتركا في إدارتها وتحريرها قرابة الثلاثين عاماً حتى انتقل امتيازها إلى « **مؤسسة المدينة للصحافة** » ، وكانت هذه الصحيفة أسبوعية ، حيث استمرت في الصدور أسبوعياً ، ثم مرتين في الأسبوع من المدينة المنورة ، ثم أفلح الفقيد مع أخيه وأولاده في إصدارها بشكل يومي من **جدة** في عام ١٣٨٢هـ . ولجهدهما في تأسيس هذه الصحيفة الرائدة ، فقد قدمت لهما الصفحة الأولى من العدد الأول من « المدينة » محفورة على معدن الفضة ، وتتوسطها صورة الملك عبد العزيز بارزة بالذهب تغمده الله بواسع رحمته ، وذلك بمناسبة افتتاح مبنى الصحيفة في شارع الصحافة بجدة عام ١٤٠٣هـ .

شارك في حياته في عضوية **مؤتمر الأدباء السعوديين الأول** الذي أقامته وأشرفت عليه **جامعة الملك عبد العزيز بجدة** عام ١٣٩٤هـ ، ومنح ميدالية الريادة في ذلك المؤتمر ، كما شارك في عضوية **المؤتمر الصحفي العالمي في طوكيو** عام ١٣٩٨ هـ ، وفي **مؤتمر الصحافة الإسلامية الذي نظمته رابطة العالم الإسلامي بقبرص ، ومؤتمر الإعلام الإسلامي المنعقد في جاكرتا بأندونيسيا** عام ١٤٠٠هـ .

أما عن مؤلفاته ، فله كتاب (**فصول من تاريخ المدينة المنورة**) وكتاب (**سوق عكاظ**) ، وكتاب (**أربعة أيام في الباحة**) ، وكتاب (**حقوق الإنسان في الإسلام**) ، وديوان شعر بعنوان (**أولادنا**) .

ومجلة « الفيصل » تشارك أقرباء وأصدقاء وقراء الراحل الرائد العزاء وتدعو له بأن يتغمده الله بواسع رحمته .. وإنا لله وإنا إليه راجعون .

المسلمون والحضارة الغربية

موضوع ندوة عقدت في الرياض خلال شهر شوال ١٤٠٨هـ تحت إشراف وتنظيم **الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد** ، بالتعاون مع **مكتب رابطة العالم الإسلامي بالرياض** .

شارك في هذه الندوة كل من سفير جامبيا **الدكتور عمرجاه** ، وسفير سيرلانكا **أبو بكر هاشم** ، **والدكتور محمد مرتضي صديقي ، والدكتور جعفر شيخ إدريس ، وجعفر كلارك** .

كلمة



بورخس .. الفنان المنسي

« خورخي لويس بورخس » الكاتب النابض بالفن والحياة والتأملات ، من الأرجنتين ، ولد في عاصمتها « بوينس آيرس » عام ١٨٩٩ م .

كانت آخر أنفاسه قد انقطعت في الغربة ، حيث توفي عام ١٩٨٦ م بأوروبا .

كتب ما يقارب من خمسين مؤلفاً ــ حسب قوله في إحدى الندوات ــ . لم يصلنا منها بالعربية إلا نتفاً قليلة مترجمة ومبعثرة في الصحف والمجلات . واهتماماته ــ الكتابية ــ هي فن القصة .

بالعربية صدر له أول مجموعة قصصية ــ مترجمة ــ بلغتنا هي : « تقرير برودي وقصص أخرى » ترجمتها الشاعرة اللبنانية « **نهاد الحايك** » ١٩٨٨ م بغداد **وزارة الثقافة والإعلام** . وقد قدمت المترجمة هذه القصص في سلة جميلة من اللغة الفنية .

لم يكن « بورخس » من أولئك الذين يتعاملون بترف مع الكتابة .. لقد تساير معها كجزء أساسي من الحياة ، وقاوم عذاباتها حتى تصالحت معه ، عبر سفر طويل من العمر والتجربة والاكتشاف .

ورأى أن « **الكاتب الذي يكتب الأشياء التي يقصدها فقط .. كاتب ضحل** » (في حوار معه بجامعة إنديانا بالولايات المتحدة . مارس ١٩٧٦ م) .

صارع بتمكن كل القواهر الطبيعية التي نالت من قنوات المعارف التي يتمتع بها كائن الإنسان ، فهو تدرج في ضعف البصر إلى أن فقده تماماً ، وراح يستعين في الكتابة والقراءة بالأصدقاء والمقربين أحياناً .

بالطبع ..

هذه التفصيلة الجانبية ، لم تصده عن المضي بحب وإيمان نحو الإبداع والمتابعة وتلمس الحياة الزاخرة دوماً بالاندهاشات والجديد . فماذا كان يعني الفن ، وبالتحديد الكتابة عند « بورخس » ؟ . يقول :

« إن على الكاتب أن يكتب ببراءة معينة ، ولا ينبغي أن يفكر فيما يفعل ، وإلا فإن ما يكتبه لن يكون شعره على الإطلاق » .

في عام ١٩٢٣ م نشر « كتاب شعر » ــ حسب قوله ــ ، وهو أول مؤلف له استقى منه استرجاعاته الإبداعية التي جاءت بعد مرحلته تلك ، ولعل في هذا نوعاً من استلهام ماضيه الجميل الذي عاشه في مدينته « **بوينس آيرس** » ، الماضي الذي وصفه بالجمال .. ليس لأنه ارتبط بالصبا ، بل لأن العلاقات الاجتماعية والروابط الإنسانية كانت خالية من التشابك .

وقد رأى « بورخس » أن الشعر هو جوهر الحياة ، فهو رحيق التجربة الإنسانية ، والقادر على إخراج كل التهادمات بإيجاز وشفافية .

مع أن قصصه ـ في مجموعته المترجمة ـ لا تعتمد كثيراً على العبارة الشعرية التي كان يمكن أن تؤثر على بنائه القصصي .. فهي تعني بالحكمة واستنباط المثل من واقع المعايشة وليس التنظير أو المثل الجاهز .

نجد بروزاً للنفس الروائي ، وسيطرة للتفاصيل التي غالباً ما تتمكن من أصحاب الكتابة الروائية ذوي السن المتقدمة والمفعمة بالتجربة والتأمل . لنقرأ بعض الاستنباطات التي نحتها مثلاً :

« وكان يحب الكذب لا يخدع الناس بل لإبهاجهم » .

« على أية حال لا يختار الإنسان مكان ولادته » .

« أدركت في تلك الليلة أنه ليس من الصعب أن نقتل إنساناً أو أن نقتل » .

« نحن المسنين نكثر الكلام » .

« إن الحقيقة هي التي تجرح » .

« لست في قميص الراصد ـ هنا ـ ولا حتى المتتبع ، بل الإيماءة فقط ، ذلك أن معرفتي به محدودة ، وهزني قلمه الذي يبعث فيك شيئاً ما ربما تماثل أو قل ـ تطابق ـ مع إيقاع الحياة بتفاصيلها في البلاد النامية .

ولا يعني هذا بالتحديد ما جاء في كلمة الغلاف من أنه « حتى أن بعض هذه القصص لو حذف اسمه منها ووضع عليها اسم مؤلف عربي لما أحس القارئ بذلك » .

لعل هذا القول ينطبق على كتابات له أخرى استلهم فيها « وقائع من التاريخ العربي » ـ كما في الغلاف كذلك ـ ، لكنا لم نلحظها في هذه المجموعة . حيث نتطلع إلى أعمال له أخرى للمترجمة خاصة فيما يتعلق بالقصة .

لا يستطيع القارئ أن يثب على صبغة العنف التي تنطلي بها قصص المجموعة ، فالسكاكينية والمبارزة طغياناً ، يؤكد على اختلاط التوق والمغالبة في داخله . ولعله في سؤال حول هذه التفصيلة نوّه بأن :

« لا أعتقد بأنني كنت سأكون جندياً بارعاً .. خاصة بسبب بصري الضعيف ، لذا فإن لديّ النزعة لأن أفكر في الأشياء بتلك الطريقة » ـ يعني طريقة المبارزة ـ « ثم إن بعض أصدقائي سفاحون ، ويدخلون في مبارزات بالسكاكين » . أغلق مجموعته المترجمة : « تقرير برودي وقصص أخرى » وأذكر قوله :

« وطني يتدهور ..

إنني أشعر بالحزن تجاه ذلك ، وعندما أفكر في طفولتي أشعر بالسعادة حقاً ، وأفكر بالناس إذ كانوا أسعد مما هم عليه اليوم » .

عبد العزيز مشري ـ الدمام

• « تقرير برودي وقصص أخرى » قصص قصيرة ، سلسلة المائة كتاب ، ترجمة : نهاد الحايك ، مراجعة : الأب البير أبونا . وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٨ م . الطبعة الأولى ـ ١١٣ ص حجم متوسط .

• حوار مع « بورخس » في كتاب « بورخس في الثمانين » ترجمة على هيئة مقالة حوارية منقولة للأستاذ مبارك الخالدي ، « اليوم الثقافي » ، العدد ٤٧٦٢ » .

تاريخ الطائف

موضوع مسابقة طرحها نادي الطائف الأدبي وذلك ضمن مشاركاته في برامج **الترويح السياحي** لصيف هذا العام ، والذي سيبدأ في الخامس عشر من هذا الشهر .



★ عبد العزيز مشري ★

وتشجيعاً من النادي للمتسابقين ، فقد رصد جوائز للفائزين بها ، مع طبع الأبحاث الفائزة .

معهد التراث السعودي

أقيم في جدة معرض للتراث السعودي وذلك تحت إشراف وتنظيم **دار التراث والثقافة والفنون بجدة .**

احتوى المعرض على أكثر من ثمانمائة قطعة أثرية بين حلي ، وأدوات استعمال يومية ، وألبسة ، وعملات ، وطوابع قديمة ، كما احتوى على عدد من الصور والرسوم واللوحات الزيتية .

شارك في المعرض الذي استمر عشرة أيام **المجلس الثقافي البريطاني** بمجموعة صور قديمة ونادرة عن السعودية ، بالإضافة إلى مشاركة **المكتب السعودي للسياحة والطيران .**

ندوة نسائية

أقيمت في رحاب جامعة الملك سعود بالرياض خلال شهر شوال ١٤٠٨ هـ الماضي **ندوة نسائية بعنوان « الانتماء »** ، أحيتها كل من **الدكتورة فاتنة أمين شاكر ، والدكتورة ثريا العريض** .. حضر الندوة العديد من المهتمات ، كما حضرها عدد من المهتمين عن طريق الدائرة التليفزيونية المغلقة .

كتب جديدة

• **« تأثير الإشعاع المؤين على الإنسان »** ، تأليف **الدكتور حمد إبراهيم الجار الله** ، صدر في **الظهران .**

• **« إبحار في الزمن المر »** ، بقلم **حمد الراشد** ، صدر عن **دار مطابع البلاد ..**

• **« بوح السنابل » ، مجموعة قصصية** للقاص **عبد العزيز مشري** ، صدرت عن **نادي الطائف الأدبي .**

• **« الملف التاسع والعاشر »** ، صدر عن **نادي الطائف الأدبي .**

• **« الأندية الأدبية في سطور »** ، صدر في **الطبعة الثانية** عن **نادي الطائف الأدبي .**

• **« الدعوة إلى الإسلام .. وتحديات الإعلام المعاصر »** ، تأليف **الدكتور عبد المنعم خضر** ، صدر عن **فرع جمعية الثقافة بالقصيم .**

• **« انطلاقة مارد » ، مجموعة شعرية** للشاعر **عبد الرحمن سليمان رفه** ، ستصدر **بالمدينة المنورة .**

• **« الوسائل المفيدة للحياة السعيدة »** ، تأليف **الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله** ، **كتيب صدر عن إدارة الثقافة والنشر بجامعة**

في الوطن العربي



★ د . علوي الهاشمي ★ ★ سعد الجبيلي ★

الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ضمن سلسلة « الداء .. والشفاء » .

● « قيثارة العشاق » ، مجموعة شعرية للشاعر سعد يحيى الجبيلي ، صدر في الرياض .. وقد سبق أن صدر له ديوانه الأول بعنوان : « أول الطريق » .

● « بحوث ودراسات في اللغة العربية وآدابها ، ج١ ، صدر عن كلية اللغة العربية التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

مصـــــر

سعوديان يفوزان بجائزتين

أعلن مركز الوطن العربي بالاسكندرية عن نتائج مسابقته « مسابقة الوطن العربي الأدبية الأولى في الشعر والمسرح والقصة » ، حيث فاز بالجائزة الأولى في الشعر ، الشاعر « حسين عجيان مسعد العروي » من المملكة العربية السعودية . كما فازت الكاتبة السعودية « رجاء محمد عالم » بالجائزة الثانية في مجال « النص المسرحي » بعد أن حجبت الجائزة الأولى .

هذا ومن المقرر أن توزع الجوائز خلال هذا الشهر (يونيه) .

مسابقة لتشجيع الإبداع

تنظم الهيئة المصرية العامة للكتاب بالتعاون مع منتدى الفكر العربي في عمان مسابقة لتشجيع الإبداع العلمي بين الشباب من المحيط إلى الخليج .

تتضمن المسابقة الاشتراك ببحوث ودراسات أو اختراعات في مجال الفيزياء ، والكيمياء ، والتَّصحر ، ودراسات البيئة ، والدراسات المائية . وستقوم الهيئة بنشر الأعمال الفائزة ، كما ستسلم الجوائز للفائزين في معرض الكتاب القادم بالقاهرة في شهر يناير من العام القادم ١٩٨٩م .

البحـــرين

برنامج ثقافي

أقام « نادي الحالة » ، في المنامة برنامجاً ثقافياً شارك فيه العديد من

الزاوية الطبية

إصابات الوجه علاجها ودور جراحة التجميل في التغلب عليها

تعتبر إصابات الوجه من الإصابات ذات النوعية الخاصة لما تحدثه من آثار نفسية وعضوية يجدر بنا التغلب عليها ، وقد لوحظ أن ٧٢٪ من إصابات الوجه تكون مصحوبة بإصابات أخرى في الرأس والعنق وغيرهما .

وسوف نعرض الآن بعض الأمور الهامة التي تساعد في تشخيص وعلاج إصابات الوجه وكذلك دور جراحة التجميل في هذا المضمار .

عادة ما تكون الإصابة ناتجة عن حادث أو مشاجرة أو غيرهما ، ويجب على الطبيب إدراك سبب ونوع الإصابة وكذلك نوع الآلة المستخدمة في إحداثها . ويتم فحص المريض على المراحل الآتية :

١ ـ فحص وجه المصاب لإدراك التماثل في جزئي الوجه ومعرفة الجزء المصاب منهما .

٢ ـ جس الوجه باليد لبيان وجود الكسور من عدمها ، ولمعرفة مناطق التألم ، عمق الإصابة أو وجود أجسام غريبة في مكان الإصابة مثل بقايا زجاج مثلاً أو غيرها .

٣ ـ يُغسل الجرح أو الإصابة بالماء الغزير لإزالة الأشياء العالقة به ، ويمكن الإستعانة بفرشاة معقمة لإزالة الأجسام الغريبة الملتصقة بجوانب الجرح مما يساعد على التئامه وعدم تلوثه بعد ذلك .

٤ ـ يُستكشف الجرح تحت ضوء قوي وتثبت أطراف الجزء المصاب مع ملاحظة وجود أية علامات في الأجزاء المصابة وخياطتها معاً بدقة بالخيوط الجراحية وذلك بعد



★ مراحل التئام جرح في الجبهة بعد وضع الرباط الضاغط لمنع تكون الندوب ★



★ قسطنطين زريق ★ ★ بروكلمان ★ ★ محمد الشقحاء ★

المثقفين ، حيث أحيوا أمسيات ثقافية ، ومحاضرات ، منها محاضرة بعنوان **(فلسفة الإيقاع الشعري)** ، ألقاها **الدكتور علوي الهاشمي** ، وندوة في **علم النفس** ، وندوة حول **الفلسفة** ، وندوة عن **الكمبيوتر** ، وندوة حول **الفن التشكيلي** ، وندوة حول **التراث الشعبي** .

كتب جديدة

● **« أضواء على الحركة التشكيلية في البحرين »** ، تأليف **عبد الكريم العريض** ، صدر عن **جمعية البحرين للفن المعاصر** .

فلسطين

كتب جديدة

● **« دراسات فلسطينية : مجموعة أبحاث وضعت تكريماً للدكتور قسطنطين زريق »** ، بإشراف **الدكتور هشام نشابه** ، صدرت عن **مؤسسة الدراسات الفلسطينية** .

سورية

كتب جديدة

● **« أصداء أورفيوس »** ، **تأليف عماد مصطفى** ، صدر عن **دار طلاس في دمشق** .

● **« لقاءات الفلاسفة »** ، **مجموعة مقالات ودراسات أعدّها إبراهيم فاضل** ، صدرت عن **وزارة الثقافة السورية** .

● **« كارل بروكلمان في الميزان »** ، تأليف **شوقي أبو خليل** ، صدر في **دمشق** .

● **« أقاصيص دمشقية »** ، تأليف **عيسى درويش** ، صدرت عن **دار طلاس بدمشق** .

● **« الغريب »** ، **مجموعة قصصية** للقاص **محمد الشقحاء** ، صدرت عن **دار الثقافة بدمشق** .

● **« ديوان ديك الجن الحمصي »** ، جمعه وحققه **مظهر الحجي** ، صدر عن **وزارة الثقافة** ضمن سلسلة **« إحياء التراث »** .

● **« ناردين »** ، **مسرحية** بقلم **عمر راشد عمورة** ، صدرت عن **مطبعة شاهين بدمشق** .

اجراء التخدير الموضعي لموضع الإصابة

٥ ـ يُعطى الشخص المصاب المصل المضاد للتيتانوس وخاصة في حالة الإصابات الناتجة عن أجسام معدنية مثل (المُدَيّ والسكاكين) وغيرها .

٦ ـ يُنزع الخيط الجراحي بعد اليوم الخامس في معظم إصابات الوجه إذ يُعتبر الوجه من مناطق الجسم ذات الدم الوفير مما يساعد على سرعة إلتئام الجروح .

يعتبر الوجه من الأجزاء الهامة في جسم الإنسان والتي تأخذ منه جُلَّ إهتمامه ومن ثَمَّ فقد قال الشاعر العربي القديم :

ثلاثــــةٌ مُذْهِبَــــةٌ للحَــــزَنْ
الماءُ والخضرةُ **والوجهُ الحَسَنْ**

ولذا فقد إستحدثَ فرع من فروع الجراحة وهو جراحة التجميل ، ويستطيع جراح التجميل أن يعيد المظهر اللائق للوجه كما كان في سابق عهده قبل حدوث الإصابة وذلك بوضع **أنسجة حية** GRAFTS من مناطق أخرى بالجسم مثل جلد الظهر أو الفخذ وخياطتها على المكان المصاب ، وللتأكد من إمداد الرُقعة بالقدر الكافي من الدم يتبع جراحو التجميل طريقة جديدة إحياءً لإحدى طرائق الهندوس القديمة فيقطعون أحد طرفي النسيج المراد زراعته من مكانه ويخيطونه في المكان الجديد تاركين الطرف الآخر ليتغذى هذا النسيج عن طريق أوعيته الدموية الأصلية إلى أن تنمو له شرايين جديدة من موضعه الجديد ، ثم يُقطع الطرف الثاني ويُثَبَّتُ بعد ذلك .

وتحتاج هذه العملية إلى خطوات كثيرة ، وتوضح الصورة المرفقة طريقة نقل جزء من جلد الذراع إلى الوجه .

ويلجأ جراحو التجميل في بعض الأحيان إلى إستخدام أربطة ضاغطة على الجروح وذلك لمدد طويلة قد تصل إلى عام كامل وذلك لمنع تكون الندوب SCARS مما يعيد للوجه شكله الأصلي السليم

ومما هو جدير بالذكر أن جراحات التجميل قد خطَتْ خطواتٍ واسعةً ، ولذا فقد ـ أفردت كلياتُ الطب أقساماً خاصةً بها لهذا الفرع الهام من فروع الجراحة بعد أن أصبح علماً قائماً بذاته .

إعداد

بهاء الدين محمود عبد الحميد

الاسكندرية ـ مصر

المراجع

1 – Medicine Digest Vol. 7 No 10 October 1981 Diagnosis and treatment of facial injuries. By Davis W. Furnas, M.D.

2 – Practical Points In Plastis Surgery By Stephen H. Miller M.D. and others. 1983

3 – Surgery By Mohamed A. Elgendi M.D. and others.

٤ ـ الموسوعة الطبية الحديثة الجزء الخامس (ت ـ ح) تأليف أ. د أحمد عمار ـ أ. د محمد أحمد سليمان، وآخرون.

في الوطن العربي

اليمن

ندوة فكرية

عقدت في صنعاء ندوة حول الفكر والفن والأدب ، وذلك بهدف **دعم الانتفاضة الشعبية في فلسطين** .

شارك في الندوة عدد من الكتاب ، ونوقشت فيها أمور عديدة ، وألقيت القصائد التي تشيد بالعمل البطولي في فلسطين .

الجدير بالذكر ، أن هذه الندوة قد عقدت خلال الفترة من ١١ إلى ١٤ من شهر يونيو (الشهر الحالي) .

العراق

الفن .. للإنسانية

سيعقد خلال شهر أكتوبر القادم في بغداد « **مهرجان بغداد الدولي الثاني للفن التشكيلي** » وذلك بمركز صدام للفنون .

دعي إلى هذا المهرجان فنانون من أكثر من ستين دولة ، إضافة إلى مدعوين آخرين يزيدون عن الأربعمائة شخص .

الجدير بالذكر أن هذا المهرجان سيعقد تحت الشعار نفسه الذي طُرح في المهرجان الأول عام ١٩٨٦م وهو « **الفن للإنسانية** » وستوزع مشاركات الفنانين على قاعات مركز صدام للفنون ، والقاعات السبع الأخرى في بغداد .

وفاة الشاعر الوايلي

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر العراقي « إبراهيم الوايلي » عن أربعة وسبعين عاماً ، حيث كان من مواليد عام ١٩١٤م في ريف **البصرة** . كتب الشعر والنقد منذ فجر شبابه ، كانت له مشاركات شعرية متعددة في الأحداث الوطنية ، وقد اشتغل بالتدريس في **جامعة بغداد** ، وتخرجت على يديه أجيال عديدة .

رحم الله الفقيد ، وأسكنه فسيح جنانه ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

كنز آشوري جديد

عثر الأثريون العراقيون على كنز أثري يحتوي على أكثر من مائتي قطعة من الحلي الذهبية ، والأحجار الكريمة المغلفة بالذهب وذلك في **منطقة « نمرود »** على بعد ٢٥ كيلو متراً ، جنوب شرق **الموصل** .





★ جبرا إبراهيم جبرا ★ ★ أمين الريحاني ★

عثر على هذا الكنز في ضريح ملكي في قصر **الملك آشور ناصر بال الثاني ٨٨٣ ـ ٨٥٩ ق . م . ويضم تماثيل صغيرة صنعت من الأحجار الكريمة المتنوعة على شكل حيوانات أسطورية ، إضافة إلى كمية من الأختام التي صنعت من العقيق والمواد الأخرى .**

ويذكر ، أن (نمرود) من المستوطنات القديمة التي اتخذها الملك شلمنصر الأول ١٢٨٠ ـ ١٢٦٠ ق . م مقراً لامبراطوريته ، ثم اتخذها الآشوريون عاصمة لهم حتى حكم **الملك سرجون الثاني** .

كتب جديدة

● « **مملكة عبد الله** » ، **مجموعة شعرية للشاعر حميد سعيد** ، صدرت عن **دار الشؤون الثقافية العامة في بغداد** .

● « **الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي ١٨٨٥ ـ ١٩٨٥م** » ، تأليف **شوكت الربيعي** ، صدر عن **دار الشؤون الثقافية** .

● « **أبواب ومرايا** ـ مقالات في حداثة الشعر » ، تأليف **خيري منصور** ، صدر عن **دار الشؤون الثقافية العامة** .

● « **السياسة الدولية .. والشرق الأوسط** » ، تأليف **كارل براون** ، ترجمة **عبد الهادي حسين جياد** ، مراجعة **الدكتور سعد ناجي جواد** ، صدر عن **دار الشؤون الثقافية العامة** .

● « **الانطباعية** » ، تأليف **جان ليماري** ، ترجمة **فخري خليل** ، صدر عن **دار المأمون للترجمة والنشر في بغداد** .

● « **الأمثال في القرآن الكريم** » ، إعداد **محمد جابر الفياض** ، صدر عن **دار الشؤون الثقافية في بغداد** .

● « **الخطوات الضائعة** » ، رواية بقلم **الكاتب اليخوكاربنتير** ، ترجمة **سالم شمعون** ، صدرت عن **دار المأمون في بغداد** .

● « **الورقة الخضراء** » ، **مختارات من الشعر الروسي** ، صدرت في كتاب عن **دار المأمون** .

● « **أيلول بلا مطر !!** » ، **مجموعة قصص** انجليزية وأمريكية ، اختارها وترجمها **جبرا إبراهيم جبرا** ، صدرت عن **دار المأمون** .

لبنان

جائزة جواد بولس

حصل الدكتور حارث البستاني على جائزة (جواد بولس) ، وذلك عن كتابه الصادر بالفرنسية « **قرطاجة ابنة صور** » ، إذ قررت لجنة الجائزة أن هذا الكتاب يجسد الطموح اللبناني في نشر الثقافة والحضارة ، ولأن التراث القرطاجي كان مصدراً للحضارة ، فإن الكتاب قد استحق الجائزة .



★ السياب ★

كتب جديدة

• صدرت الكتب التالية عن دار الجيل في بيروت :

• « **مؤلفات الريحاني الكاملة** » .

• « **سرّ الإشارة الحمراء** » ، قصة من **تأليف رجاء عبد الله** ، صدرت ضمن سلسلة « **مغامرات الجيل البوليسية** » .

• « **كيفية الزكاة** » ، تأليف **عبده غالب أحمد عيسى** .

• « **التليفزيون والأطفال** » ، تأليف **الدكتور جان جبران كرم** .

• « **قضايا السرد عند نجيب محفوظ** » ، بقلم **الدكتور وليد نجار** ، صدر عن **دار الكتاب اللبناني ضمن سلسة « المكتبة الجامعية »** .

• « **مشاهد شعرية من حياة العرب القدامى** » ، جمع وتنسيق وتعليق **الدكتور كمال اليازجي** ، صدر في **جزءين عن دار الجيل** .

• « **وتشرق غرباً** » ، **رواية من تأليف ليلى الأطرش** ، صدرت عن **المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت** .

• « **القادمة من الشرايين** » ، **مجموعة قصص** للقاص **زياد كمال حمامي** ، صدرت عن **دار الصداقة ببيروت** .

الجزائر

أساليب تدريس العلوم الإسلامية

نُظمت في **جامعة العلوم الإسلامية بمدينة قسنطينة** خلال شهر أبريل/نيسان الماضي الندوة الدولية الثالثة حول « **مناهج وأساليب تعليم العلوم الإسلامية** » . دارت أعمال المشاركين فيها حول ثلاثة محاور **أولها : طرق ووسائل تدريس العلوم الإسلامية بين القديم والحديث** ، واشتمل ثانيها **على مسائل استعمال الوسائل التقنيَة الحديثة في تدريس العلوم الإسلامية وخزن وتصنيف معلوماتها ومعطياتها ومناهجها** ، وتطرّق ثالثها إلى **مسألة توحيد المصطلحات وتبادل المؤلفات المتعلّقة بهذه العلوم** . وتضمنت الندوة إلقاء عدّة محاضرات من قبل العديد من المفكرين الإسلاميين من عدّة دول في العالم . وقد استمرت فعاليات الندوة يومين كاملين .

تاريخ الجزائر

نُظمت في **مدينة الجزائر** خلال شهر أبريل/نيسان الماضي **ندوة مشتركة جزائرية ـ إيطالية** استمرت ثلاثة أيام ناقش خلالها بعض كبار مؤرخي البلدين بعض القضايا المتعلقة **بتاريخ الجزائر** وخاصة تلك التي تتمحور حول **العلاقات الجزائرية ـ الإيطالية في العصر الحديث** . وتمحورت فعاليات الندوة حول المواضيع التالية :

★ العلاقات الجزائرية ـ الإيطالية قبل عام ١٨١٥م .

★ العلاقات الجزائرية الإيطالية بعد عام ١٨١٥م .

★ المصادر والمراجع الإيطالية ذات العلاقة بتاريخ الجزائر .

محاضرات

• « **فضل الجهاد في سبيل الله** » ، **محاضرة ألقاها سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز في الرياض** .

• « **القصيدة .. والواقع** » ، **محاضرة القاها الدكتور أحمد كمال زكي بنادي الرياض الأدبي** .

• **دور الإعلام في توجيه الرأي العام** » ، **محاضرة القاها الدكتور عبد القادر طاش بجدة** .

• « **دور المرأة في المحافظة على الحياة الزوجية** » ، **محاضرة القاها الشيخ عبد العزيز المسند في أبها** .

• « **ترتيب الأبواب النحوية عند تعليم غير الناطقين بالعربية** » ، **محاضرة** أقيمت **بمعهد اللغة العربية التابع لجامعة أم القرى بمكة المكرمة** .

• « **نحو منهج تربوي لثقافة الطفل** » ، **محاضرة القتها الدكتورة خيرية السقاف** بفرع **جامعة الملك فيصل بالأحساء** .

• « **التقوى .. وطرق وقايتها** » ، **محاضرة القاها سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز في جامعة الملك سعود بالرياض** .

• « **خصائص القيادة الناجحة في الإسلام** » ، **محاضرة القاها الأستاذ يحيى المعلمي في أبها** .

المغرب

كتب جديدة

• « كتاب السيّاب النثري » ، مجموعة مقالات بقلم **حسن الغرفي** ، صدرت في كتاب **بالمغرب** .

الكويت

كتب جديدة

• « **هجرة الكفاءات العلمية العربية ، ودور مجلس التعاون في الإفادة منها** » دراسة بقلم **الدكتور محمد رشيد الفيل** ، صدرت في **كتيب ضمن حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت** .

تونس

كتب جديدة

• « **وزراء بورقيبة** ـ دراسة ترسم ملامح الوزير التونسي في عهد الحكم الفردي » ، إعداد **الدكتور منير الشرفي** ، صدر في **تونس** .

• « **بحوث في النص الأدبي** » ، **مجموعة دراسات أعدّها الدكتور محمد الهادي الطرابلسي** ، صدرت عن **الدار العربية للكتاب بتونس** .

في العالم





★ ابن بطوطة ★ ★ أمين معلوف ★ ★ سوينكا ★

الصين :

متحف لابن بطوطة

تكريماً للرحالة العربي (ابن بطوطة) ، وغيره من الرحالة الآخرين المشهورين ، **قرر مجلس بلدية مدينة تشيونتشو الصينية إقامة متحف تذكاري باسمه .**

الجدير بالذكر أن (ابن بطوطة) ، قد زار هذه المدينة ووصف ميناءها بأنه مماثل لميناء الاسكندرية .

فرنسا :

أحدث الكتب

• « **مجموعة مختارة من القصص العربية القصيرة** » ، كتاب صدر عن « **منشورات جان كلود لاتيس** » الباريسية ضمن سلسلة « **آداب عربية** » ، وبمساهمة **معهد العالم العربي في باريس .**

• « **سمرقند** » ، رواية للكاتب **أمين معلوف** ، صدرت باللغة الفرنسية عن دار « **جان كلود لاتيس** » **الباريسية .**

بريطانيا :

أحدث الكتب

• **صدرت الكتب التالية عن شركة (فريمن) في أوكسفورد :**

★ « **باليونتولوجيا الفقاريات والتطور** » ، تأليف **روبرت كارول .**

★ « **بيع العلم : كيف تغطي الصحافة العلم والتكنولوجيا** » ، تأليف **دوروثي نيلكين .**

★ « **الاقتصاديات المصغرة** » ، تأليف **كورتيس ايتون .**

★ « **المحاربان الكارهان** : الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ومراقبة الأسلحة » ، تأليف **كويت بلاكر .**

★ « **الزلازل** ـ طبعة ثانية » ، تأليف **بروس بولت .**

★ « **علم البستنة** » ، **ط ٤** . تأليف **جولز جانيك .**

★ **الوراثة والعلوم الحيوانية** » ، تأليف **ديل فان فليك وآخرين .**

★ « **مقدمة في التحليل الوراثي** » ، **ط ٣** . تأليف **دافيد سوزوكي وآخرين .**

★ « **التحليل النفسي** » ، **تأليف ماثيو هيوغ ايرديلي .**

• **وصدرت الكتب الطبية التالية عن جمعية الكتاب الإنجليزي (ELBS) في لندن :**

★ « **علم المناعة : مقدمة لطلاب الطب والبيولوجيا** » ، تأليف **د . فاير .**

★ « **الأساسي في علم المناعة السريري** » ، تأليف **هيلين شابيل ومانسل هايني .**

★ « **علم أمراض النساء** » ، تأليف **عشرة خبراء ، إصدار سير ستانلي كلايتون وآخرين .**

★ « **الطب الشرعي** » ، تأليف **كيث سيمبثون وبرنارد نايت .**

★ « **الأساسي في علم القبالة وأمراض النساء** » ، تأليف **عشرة خبراء .**

★ « **مبادئ علم الدم** » ، تأليف **ر . ثومبسون .**

★ « **الكشف السريري** » ، تأليف **مجموعة من دكاترة مدرسة أدنبرة الطبية .**

★ « **الطب العصري** » ، تأليف **مجموعة من المتخصصين من جامعة بريستول .**

★ « **الأمراض الطفيلية في الإنسان** » ، تأليف **ريتشارد نايت .**

• « **سياسات إدارة المدارس** » ، تأليف **اريك هويل** ، صدر عن **دار هودر وستوتون .**

• « **النظام التعليمي الفرنسي** » ، تأليف **هـ . ليويس** ، صدر عن **دار كروم هيلم .**

• « **جيولوجيا الرسوبيات وتأثيرها في اكتشاف المعادن** » ، تأليف **ريتشارد ادواردز وكيث اتكينسون .**

• « **الجغرافيا السكانية** : التطور والتوقعات » ، إعداد **ميشيل باكيون** ، صدر **عن دار كروم هيلم .**

نيجيريا :

ندوة حول الآداب الافريقية

أقيمت في العاصمة النيجيرية (لاغوس) ندوة دولية حول الآداب الأفريقية بحضور أكثر من مائة كاتب إفريقي يعيشون في الداخل ، أو في المهجر أمثال (سوينكا) ، أول من فاز بجائزة نوبل للآداب من إفريقيا ، وهو كاتب نيجيري .

نوقشت في الندوة عدة أمور لها علاقة بالأدب في هذه القارة ، والمستحدثات الجديدة ، خاصة بعد أن فاز أحد المنتسبين لهذه القارة بجائزة عالمية !!

الجدير بالذكر ، أن هذه الندوة قد عقدت خلال شهر مايو من هذا العام ١٩٨٨م .



★ عزيز ضياء ★ ★ غادة السمان ★ ★ جاد الحاج ★

ألمانيا :

أحدث الكتب

● « القصّة الفلسطينية » ، كتاب تأليف المستشرقة بيرخت زيكامب ، صدر عن دار بيترلانغ الألمانية .

● « كوابيس بيروت » ، للكاتبة اللبنانية غادة السمَّان ، صدر مترجماً إلى الألمانية ، أعد الترجمة المستشرقة فيرونيكا تايس .

استراليا :

أحدث الكتب

● « الأخضر .. واليابس » ، رواية بقلم الشاعر اللبناني جاد الحاج ، صدرت في سيدني .

● « نصوص شعرية بالعامية اللبنانية » ، للشاعر جاد الحاج ، صدرت في سيدني .

روسيا :

أحدث الكتب

● « ١٩٨٤ » ، رواية من تأليف جورج أورويل ، ستصدر عن اتحاد الكتاب الروس .. وقد سبق أن قام بترجمتها إلى العربية الأستاذ عزيز ضياء الناقد والأديب السعودي بمقدمة موضوعية شاملة .. وصدرت عن « تهامة » بجدة .

أمريكا :

أحدث الكتب

● صدرت الكتب التالية عن دار (كتب ساينتيفيك أمريكان) :

★ « البيولوجيا الخلوية الجزيئية » ، تأليف جيمس دارنيل وآخرين .

★ « العين والدماغ والإبصار » ، تأليف دافيد هابل .

★ « تعليم المهارات الفكرية : النظرية والتطبيق » ، تأليف جوان بويكوف من جامعة بيل .

★ « مقابلة وتفهم الناس » ، تأليف كريس لاينك من جامعة الاسكا .

رسائل جامعية

●● « البناء الفني في الرواية العربية في العراق » ، موضوع رسالة دكتوراه ، نوقشت بكلية الآداب بجامعة بغداد ، تقدم بها شجاع العماني .

●● « الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين » ، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، تقدم بها السيد عبد العزيز بن إبراهيم السليمان العمري .

●● « اتجاهات تلاميذ المرحلة الثانوية نحو القراءة وعلاقتها بالتحصيل الدراسي في اللغة العربية » ، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية التربية التابعة لجامعة أم القرى بمكة المكرمة ، تقدم بها السيد توفيق محمد نصر الله .

★ « نماذج الشخصية » ، تأليف جين لويفينجر من جامعة واشنطون .

★ « الكيمياء العضوية » ، تأليف ك . فولهارت من جامعة كاليفورنيا في بركلي .

★ « التحليل الكيميائي الكمي » ، ط ٢ . تأليف دانييل هاريس من مختبر نيكلسون في كاليفورنيا .

★ « المحركات والطاقة والانتروبي : الأساسي في علم الديناميكا الحرارية » ، تأليف جون فين من جامعة بيل .

● وصدرت الكتب التالية عن دار مورجان كوفمان :

★ « الأسس المنطقية للذكاء الصناعي » ، تأليف ميشيل جينيسريث ونيل نيلسون من جامعة ستانفورد .

★ « الذكاء الصناعي وأنظمة التعليم الشخصي » ، تأليف ايتيان وينجر من جامعة كاليفورنيا في ايرفين .

★ « محاضر مؤتمر الذكاء الصناعي لعام ١٩٨٧م » ، أربعة أجزاء .

★ « قراءات في علاقة الكومبيوتر بالإنسان » ، تأليف رونالد بيكر ووليام بوكستون من جامعة تورنتو .

★ « قراءات في إبصار الكومبيوتر » ، تأليف مارتي فيشلر وأوسكار فيرشاين .

★ « قراءات في هندسة الذكاء الصناعي والمكون اللين « السوفتوير » ، تأليف تشارلز ريتش وريتشارد ووترز .

● « تحت الحصار : صنع القرار في منظمة التحرير الفلسطينية أثناء حرب ١٩٨٢م » ، تأليف ر . خالدي . صدر عن مصلحة المعلومات في الولايات المتحدة .

● « الجامعة الأمريكية : دليل عالمي » ، صدر عن مصلحة المعلومات في الولايات المتحدة .

● « مغامرات في الشرق الأوسط : رحلات ومغامرات » ، تأليف دونالد ان . ويلبر ، صدر عن الناشر داروين .

✱

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ قيمة الجوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٧٥٠ ريالاً
ب ـ الجائزة الثانية ٥٠٠ ريال
جـ ـ الجائزة الثالثة ٣٥٠ ريالاً
د ـ سبع جوائز قيمة كل منها (٢٠٠ ريال سعودي)
هـ ـ عشر جوائز قيمة كل منها اشتراك مجاني لكل فائز لمدة عام في مجلة « الفيصل » .

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(المملكة العربية السعودية ـ ص . ب (٣) الرياض ـ (١١٤١١) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

جـ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لا يلتفت إليها .

د ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

هـ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة .

•• المسابقة ••

•• السؤال الأول :

متى تم إختراع أول قلم حبر جاف .. وما اسم العالِم الذي اخترعه ؟

•• السؤال الثاني :

اذكر أسماء مؤلفي الكتب التالية :
الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ـ السلوك لمعرفة دول الملوك ـ غوامض الصحاح .



•• السؤال الثالث :

هذه الصورة لمدينة صناعية في المملكة العربية السعودية .. ما اسم هذه المدينة ؟

•• السؤال الرابع :

عرِّف المصطلحات الوثائقية التالية :
طريقة بارو ـ كشَّاف ـ شريحة .

•• السؤال الخامس :

ما العوامل المسببة لسرطان الرحم عند المرأة ؟

•• أجوبة مسابقة العدد (١٣٠) ••

ج ١ أنشئت **وكالة الأنباء السعودية** (واس) يوم ١٣٩٠/١١/٨هـ **الموافق ١٩٧١/١/٦ م** .

***

ج ٢ **أسماء مؤلفي الكتب التالية** :
آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان : **محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي الحنفي** .
أرض المعجزات : **بنت الشاطىء** ، **د/عائشة عبد الرحمن** .
بغية الملتمس في تأريخ رجال أهل الأندلس : **أحمد بن يحيى ابن أحمد بن عميرة الضبي** .

***

ج ٣ أول طائرة في العالم طارت بأربعة محركات اسمها (**بولشوي**) ، وصممها المهندس الروسي (**إيجور سيكورسكي**) وكان ذلك في سنة (١٩١٣ م) ، وطار بها يوم ١٩١٣/٩/١٣ م .

***

ج ٤ اسم اللوحة : **شيطان مغر في مقصورة اغتيال الرئيس** ، واسم الفنان الذي رسم اللوحة (**تيم استيل**) ، وجنسيته أمريكية ، واسم الرئيس (**إبراهام لنكولن**) .

***

ج ٥ **الكلام** بفتح الكاف : المخاطبة بين الناس .
الكِلام بكسر الكاف : الجراح جمع جرح .
الكُلام بضم الكاف : الأرض الوعرة الصلبة .

***

•• نتائج مسابقة العدد (١٣٠) ••

★ فاز **بالجائزة الأولى**، وقيمتها (**٧٥٠**) سبعمائة وخمسون ريالاً سعودياً، الأخ **أحمد عدنان أحمد، مكة المكرمة** ص. ب. (٥٨٨٣).

★ فاز **بالجائزة الثانية**، وقيمتها (**٥٠٠**) خمسمائة ريال سعودي، الأخ **جاسم محمد سلمان**، بغداد ص. ب. (١٠٥٥) **العراق**.

★ فازت **بالجائزة الثالثة**، وقيمتها (**٣٥٠**) ثلاثمائة وخمسون ريالاً، الأخت **إيناس السيد بدير علي إبراهيم**، المنصورة، مصر.

★ وهناك **سبع جوائز** قيمة كل جائزة (٢٠٠) **مائتا ريال** سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

★ من **المغرب** ـ مراكش، عرصة البركة رقم (٨٥)، الأخ **أقشر مولاي الصديق**.

★ من **سورية** ـ حلب، جمعية الشهباء، الشارع الخامس، منزل رقم (٧)، الأخ **محمد وضاح صلاح الدين فارس**.

★ من **الأردن** ـ عمان، جبل اللويبدة، الأخت **خلود راشد عبد الله أبو دواس**.

★ من **السودان** ـ الأبيض، الكبانية، دار الهاتف، الأخ **أحمد محمد أحمد شرباك**.

من **لبنان** ـ البقاع، الأخت **نعيمة حسن عباس**.

★ من **سورية** ـ دير الزور، منطقة الميادين، مدرسة علي بن أبي طالب، الأخ **المعتصم بالله عبد الغفور الحامد الضويحي**.

★ من **السعودية** ـ الرياض، جامعة الملك سعود، كلية العلوم، ص. ب. (٢٤٥٥) الرياض (١١٤٥١)، الأخ **عبد الله حسين يحيى الصامطي**.

★ بالإضافة إلى **عشر جوائز**، قيمة كل واحدة منها **اشتراك مجاني، لمدة عام**، في مجلة «الفيصل» فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم:

★ من **البحرين** ـ المحرق، ص. ب. (٢٣٨١٨)، الأخ **محمد سلطان مبارك**.

★ مَن **اليمن** ـ ذمار، مكتب المواصلات، الأخ **عبد الوهاب علي محمد السوسوه**.

★ من **الجزائر** ـ ولاية المسيلة، الأخت **شفية حماني**.

★ من **موريتانيا** ـ نواكشوط، ص. ب. (١٨٣٩)، الأخ **أحمدّو بن أحمد بن عمر بن عبد القادر**.

★ من **المغرب** ـ أكادير، كلية الشريعة، الأخ **عفيف محمد بن الهاشمي بن عبد الكريم**.

★ من **العراق** ـ بغداد، حي الإدريسي، محلة (٥٠٥) زقاق (٦٠) رقم الدار (٣/٣/٣٦٥) (٢١)، الأخ **ماجد عباس صويريج**.

★ من **تونس** العاصمة، نهج إبراهيم بن الأغلب عدد (٣٤) المنزة (١٠٠٤) الأخ **عبد المجيد بن ذياب الخماسي**.

★ من **مصر** ـ الإسماعيلية (٢١) شارع الأقصر، الأخ **محمد علي أحمد حمدان**.

★ من **الهند** ـ دلهي، الأخ **ريحان الحق**. Mr. Rehan-UL-Haq Rashidia Book Depot Jama Masjid - Delhi-110006, India.

★ من **فرنسا** ـ باريس، الأخ **بلول عبد العلي بن أحمد** Mr. Baloul Abdelali Ben Ahmed - 7 Impasse du Rouet Batimet A. 1-6 é Tage - Paris 14é France.

عـزيـزتـي الأم ..

الرضاعة الطبيعيّة أعظم .. وَهذه هي الأسباب:



• غذاء متكامل معقم طبيعياً . • سهل الهضم يقي الطفل الإسهال والنزلات المعوية .
• إقتصادي لايكلف الأسرة مصروفات إضافية .
• يباعد بين الولادات مما يفيد صحة الأم والطفل معاً .
• يحمي الأم من سرطان الثدي .

وقبل ذلك وأهم .. يوفر للطفل الإحساس بالحنان والطمأنينة .

مَع تحيات

سابك

الشركة السعودية للصناعات الأساسية

والشركات التابعة لها

١٤

سابك للتسويق

سابك للخدمات التسويقية

حديد صلب سافكو سماد ابن البيطار الرازي ابن سينا صدف كيميا ينبت بتروكيميا شرق غاز ابن حيان ابن زهر